تاريخ وادي القرى في صدر الإسلام

إعداد

حمد بن منصور بن عبيد أبو شامة البلوي

إشراف

الدكتورة/ غيداء عادل خزنة كاتبي

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي

كلية الدراسات العليا

الجامعة الأردنية

كانون ثاني ٢٠١٠ م

كلية الدراسات العليا
الجامعة الأردنيـــــة

قرار لجنة المناقشة

نوقشت هذه الرسالة/الأطروحة (تاريخ وادي القرى في صدر الإســـلام) وأجيــزت بتـــاريخ ٢٠٠٩/١٢/٣١

أعضاء لجنة المناقشـــــــــة	التوقيـــــــــــــــع
الدكتورة غيداء عادل "خزنة كاتبي"، مشرفاً أستاذ مشارك – تاريخ الاقتصاد الإسلامي	....
الدكتور سلامة صالح النعيمات، عضواً أستاذ مشارك – تاريخ العرب قبل الإسلام	....
الدكتور عصام مصطفى عقلة، عضواً أستاذ مشارك – تاريخ إسلامي	....
الدكتور حسين فلاح الكساسبة، عضواً أستاذ – تاريخ إسلامي (جامعة مؤتة)	....

تعتمد كلية الدراسات العليا
هـذه النسخة من الرسالــــة
التوقيع............التاريخ............

الإهداء

إلى روح والدي رحمه ا

إلى والدتي الغالية أمد ا في عمرها

إلى أخي فهد حفظه ا

شكر وتقدير

أتقدم بخالص الشكر والتقدير إلى الأساتذة الفضلاء في قـسم التاريخ الذين أسبغوا علي من فـضل علمهـم، وأخـص بالـشكر الدكتورة: غيداء عادل خزنة كاتبي، على متابعتها وتوجيههـا لـي طيلة فترة إعداد هذه الرسالة، فلهم مني جزيل الشكر والعرفان.

فهرس المحتويات

الفصل الثاني :

الفصل الثالث:

تاريخ وادي القرى في صدر الإسلام

إعداد

حمد بن منصور بن عبيد أبو شامة البلوي

المشرف

الدكتورة/ غيداء عادل خزنة كاتبي

الملخص

تناولت الدراسة تاريخ وادي القرى في صدر الإسلام، بداية بتحديد موقع وحدود منطقة الدراسة، ثم تناولت المعالم الجغرافية في المنطقة من حيث الجبال والأودية والشعاب، كما تطرقت للمياه والأمطار بالإضافة إلى المناخ.

كما تطرقت الدراسة إلى أهمية المنطقة من الناحية الاقتصادية، حيث تقع على خطوط التجارة القديمة، ثم تجارة قريش مع بلاد الشام، وكيف حرصت قريش على السيطرة على هذه المنطقة من خلال علاقاتها مع القبائل العربية في المنطقة، وربط هذه القبائل اقتصادياً معها من خلال إيلافها المشهور، الأمر الذي جعل الدولة الإسلامية في المدينة أن تفكر جدياً بالسيطرة على هذه المنطقة، التي شكلت أهمية كبيرة من الناحية الاقتصادية والناحية العسكرية وأنها منطقة أحتكاك مباشرمع القبائل العربية في بلاد الشام حيث عرفت بالمصادر باسم " القبائل العربية المتنصرة " لذاك حرص الرسول(ﷺ) على ضم هذه المنطقة إلى دولة الإسلام لا سيما وأن اليهود وبعض أحلافهم من القبائل العربية أخذوا يعتدون على التجار المسلمين وتجارتهم.

واستعرضت الدراسة الحياة الاقتصادية، وعوامل ازدهار الزراعة، والتجارة، ودور الطرق التجارية التي تمر بالمنطقة، وما لها من أثر في نمو التجارة وازدهارها، لا سيما وأن هذه الطرق ساعدت على وصول السلع التجارية من المناطق المجاورة كالشام ومصر واليمن وكذلك العراق.

وشكلت الحياة الاجتماعية جانباً مهماً من هذه الدراسة حيث التجارة إلى القبائل العربية القاطنة في وادي القرى، وموقفها من الإسلام، ودورها في نشرة، بالإضـافة إلـى اسـتعراض العادات والتقاليد، الأطعمة، والملابس وغيرها.

وكما حاولت الدراسة أن تقف على الملامح الثقافية في المنطقة من خلال عدة جوانـب مختلفة من أهمها الشعر والغناء.

قائمة الرموز والمختصرات

ت	:	توفي
م	:	ميلادي
هـ	:	هجري
ص	:	صفحة
ط	:	طبعة
ج	:	جزء
د. ت	:	دون تاريخ
ق.م	:	قبل الميلاد

E.I.	The Encyclopadia of Islam
E.B.	The Encyclopadia of Britannica
P:	Page

المقدمـة

لقد تركز اهتمام الدارسات الحديثة المعنية بتاريخ الحجاز في القرون الهجريـة الأولـى على المدينة المنورة ومكة المكرمة بالدرجة الأولى، ولعل السبب في ذلك؛ كون المدينـة هـي مركز الدولة الإسلامية، وعاصمة الإسلام الأولى، وأن مكـة قبلـة المـسلمين؛ غيـر أنهـا – الدراسات الحديثة - في المقابل لم تلتفت لدراسة أماكن أخرى تستحق أن تكون ضـمن دائـرة الاهتمام في تاريخ المنطقة، ومنها وادي القرى، الذي يعد من الأماكن الرئيـسة فـي الجزيـرة العربية، بما يتميز به من دور وتأثير كبير في تاريخ المنطقة.

إن عدم وجود دراسة تاريخية شاملة لوادي القرى، وأوضاعه في تلك المرحلـة، كـان كافياً –ابتداء-، لاختيار هذا الموضوع، ومحاولة دراسته دراسة شاملة لجوانبه كافة، ما أمكـن ذلك، من أجل إبراز تاريخ المنطقة وتوضيح دوره في تلك الفترة، وهذا على نحـو عـام هـو الهدف المؤمل من وراء هذه الدراسة، لا سيما وأن العديد من الباحثين قد تجاوز تلك المنطقة، أو أنهم ذكروها في سياقات عامة.

وواجه البحث صعوبات مختلفة، كان أبرزها ندرةَ المعلومات، وتبعثرها في مصادر عدة منها كتب التاريخ، والجغرافيا التاريخية، والتفسير، والفقة، واللغة، والأدب، والمعاجم، والتراجم، والأنساب، والمسوحات الآثارية، وكل ذلك يتطلب جهداً كبيراً، ووقتاً طويلاً لتتبع تلك المصادر بحثاً عن شاردة قد تفيد البحث. وقد تشح هذه المعلومات في جانب، وتتوافر في جانـبٍ أخـر، ولعل هذا ما يلاحظه القارئ في بعض جوانب الدراسة لا سيما الجوانب الإدارية والمالية.

ومن الصعوبات التي واجهت البحث أيضاً؛ عدم اهتمام الجغرافيين بحدود المنطقة مـن الناحية الجغرافية. ومنها أيضاً الاختلاف الكبير بين المصادر حول حدود الحجـاز والجزيـرة العربية، ولعل ما أسعف الباحث في هذا السياق هو تحديد بعض المصادر الجغرافيـة لأمـاكن أخرى محاذية لمنطقة الدراسة، والوقوف على الدراسات الحديثة التي قام بها بعض المهتمين.

ومن الصعوبات – أيضاً – أن المعلومات تركزت في كثير من الأحيان على القبائل البدوية وأشعارها في المنطقة؛ لا سيما فيما يتعلق بالشعراء العذريين. كما اقتصر اهتمام بعض المصادر على ذكر طرق الحج ومنازله في المنطقة دون إعطاء أية تفاصيل لهذه الطرق والمنازل، غير أن ذلك لم يمنع الباحث من توخي الدقة وفق السبل المتاحة.

تبدأ الرسالة بمقدمة، يليها دراسة وتحليل لأهم المصادر والمراجع التي استند عليها البحث، ثم أربعة فصول جاءت على النحو التالي:

حمل الفصل الأول عنوان: الإطار الجغرافي لوادي القرى، إذ تناول مسمى وادي القرى، وسبب هذه التسمية، وحدود المنطقة جغرافياً بالاعتماد على المصادر الأولية، ثم تحدث عن أبرز المعالم الجغرافية فيها كالجبال، والأودية، والحرات، وغيرها، وقدم – كذلك- صورة عن المناخ والأمطار، وتطرق – كذلك- إلى مصادر المياه في المنطقة، من آبار، وعيون، وتحدث – كذلك- عن الحياة الحيوانية والنباتية فيها. وانتهى إلى الوقوف على أبرز التجمعات السكانية في منطقة الدراسة، حسب أهمية هذه التجمعات.

وبحث الفصل الثاني في أهمية وادي القرى، والأسباب التي دفعت الرسول(ﷺ) إلى فتح وادي القرى، وإرساله الرسل والكتب إلى القبائل في المنطقة، ومن ثم فتحه الوادي وضمه إلى الدولة الإسلامية في المدينة، وإجراءاته الإدارية والمالية هناك، وتحدث عن تعيينه بعض الصحابة ولاةً على وادي القرى، وإرساله المصدقين الذين يجمعون الصدقات والزكاة من القبائل هناك. بالإضافة إلى ذكر بعض الجوانب المالية خلال المدة التي حددتها الدراسة.

وتحدث الفصل الثالث عن الحياة الاقتصادية في وادي القرى، وذلك في محورين أساسيين هما: الزراعة والتجارة، حيث تناول المحور الأول: العوامل المؤثرة في الزراعة في وادي القرى، ثم إجراءات الرسول(ﷺ)، الاقتصادية مع يهود وادي القرى، ومعاملتهم على الأرض والنخل، واقطاعه بعض الأفراد والقبائل في وادي القرى، بالإضافة إلى الملكيات الخاصة في وادي القرى، ثم تحدث عن المحاصيل الزراعية وعن أماكن زراعتها، منتهياً بالحديث عن الرعي والثروة الحيوانية في المنطقة.

أما المحور الثاني من هذا الفصل فقد تناول التجارة في وادي القرى، حيث تطرق إلى الطرق التجارية التي تمر بوادي القرى قديماً وأهميتها لتجارة قريش ثم تجارة المسلمين، بعد أن أصبح وادي القرى جزءاً من الدولة الإسلامية، فأصبحت هذه الطرق من منازل الحج الشامي والحج المصري، وتتبع ما تركه ذلك من أثر في الحياة الاقتصادية في وادي القرى، وكيف خدمت هذه الطرق الأسواق في وادي القرى إذ ساعدت في جلب السلع من تلك المناطق، ثم تطرق إلى الأسواق التجارية في وادي القرى، ثم السلع المتوافرة بها ومصادر جلبها، ثم تحدث عن النقود والمكاييل والأوزان المستخدمة عند السكان.

وتناول الفصل الرابع الحياة الاجتماعية والملامح الثقافية في وادي القرى، حيث تحدث في هذا الفصل عن العناصر السكانية في وادي القرى، المتمثلة بالقبائل العربية، ثم العناصر الأخرى، من العبيد والموالي الذين انتشروا في المنطقة وكان لهم دور كبير في ازدهار بعض الأنشطة كالتجارة، وبعض المهن الأخرى كالرعي، والبناء. فضلا عن تناول العادات والتقاليد لدى السكان، المتعلقة بالملابس، وأدوات الزينة، وأنواع الأطعمة، تطرق – كذلك -إلى طبيعة المباني والمساكن، وحاول أن يقدم بعض المعلومات المتعلقة بالحرف والصناعات أيضاً. وتناول المحور الثاني من هذا الفصل الملامح الثقافية في المنطقة، وإن كانت بسيطة، غير أنه لم يعدم بعض الشواهد الدالة على الحياة الثقافية في المنطقة في تلك المرحلة.

وقد دعمت هذه الدراسة ببعض الخرائط التي دعت الحاجة إلى وجودها في البحث، وقد رسمت بالاعتماد على المصادر الأولية، بالإضافة إلى الدراسات والمسوحات الأثرية التي أجريت في المنقطة، ودعمت – كذلك- ببعض الصور التي التقطها الباحث خلال زياراته المتكررة للمنطقة، إضافة إلى صور التقطها بعض الأثريين لبعض الأماكن التي لم يستطع الباحث الوصول إليها لأسباب فنية.

وأخيراً لا يسعني في هذا المقام إلا أن قدم شكري للدكتورة غيداء "خزنة كاتبي" لما أولتني به من متابعة وتوجيه ورعاية طيلة مرحلة إعداد هذه الرسالة، وأسجل امتناني بين يديها على صبرها علي، وتفهمها للظروف التي أحاطت بي، وجزاها ا عنّا خير الجزاء، لقد أجتهدتُ أن أقدم عملاً أكاديمياً فيه إضافة ترقى إلى المستوى الأكاديمي، فإن وفقت فمن ا وهذا هو المراد، وإن قصرتُ فمن نفسي وا ولي التوفيق.

تحليل المصادر والمراجع

اعتمدت الدراسة على مصادر متنوعة ومتعددة اقتضت الحاجة إلى أن يرجع الباحث إليها وأن يدرسها دراسة متأنية ومعمقّة، وتأتي مؤلفات السير والمغازي النبوية في مقدمة هذه المؤلفات، وعلى رأسها كتاب " السيرة النبوية لابن أسحاق(ت١٥١هـ/٧٦٢م)، التي وصلت إلينا منقّحة من قبل ابن هشام(ت٢١٨هـ/٨١٣م)[١]. وكان الرجوع إلى هذه المصادر شيئاً ضرورياً وأساسياً إذ قدمت لنا هذه المصادر معلومات عن علاقات الرسول(ﷺ) بأهالي المنطقة من جهة، وعلاقتهم بقريش من جهة أخرى، لاسيما أن للأخيرة اهتمام كبير بالمنطقة حيث تعبر من خلالها تجارتها إلى بلاد الشام، بالإضافة إلى غزوات الرسول في وادي القرى وما حوله كما تطرقت هذه المصادر إلى القبائل القاطنة في تلك المنطقة ودورها في غزوات الرسول لا سيما الأدلاء.

وأفاد البحث من كتاب "المغازي" لمحمد بن عمر الواقدي (ت٢٠٧هـ/٨٢٣م) الذي قدم معلومات قيمة حول الأحداث في وادي القرى، ويكاد الواقدي في مؤلفه هذا ينفرد عن غيرة من المصادر بذكره أحداثاً تفصيلية عن فتح وادي القرى، عدا عن المعلومات الاجتماعية القيمة حول طبيعة السكان، ومساكنهم، وتعامل الرسول(ﷺ) معهم، وأشار إلى – كذلك- طبيعة العلاقة بين اليهود في وادي القرى واليهود في خيبر والمدينة [٢]، ويعد كتاب المغازي هذا مصدراً لكثير من المصادر الأخرى حول هذه التفاصيل حتى عند بعض الفقهاء الذين انتقدوه في بعض رواياته[٣].

ويعد كتاب "الطبقات" لابن سعد(ت٢٣٠هـ/٨٤٤م) من المصادر الغنية بالمعلومات التي أفادت منها الدراسة إفادة عظيمة، إذ تضمن سرايا الرسول(ﷺ) إلى منطقة وادي القرى[٤]،

---

(١) الدوري، عبد العزيز، نشأة علم التاريخ عند العرب، ط١، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠٠٥، ص٢٦.

(2) الواقدي، محمد بن عمر(ت٢٠٧هـ/٨٢٣م)، المغازي، تحقيق مارسدن جونسن، مطبعة جامعة أكسفور، د.ت، ج١، ص ١٢، ١٨٠، ٣٢٧، ٣٨٩، ٤٠٣، / ج٢، ص ٣٦٢، ٧٦٠، ٧١١.

(3) الذهبي، الإمام شمس الدين محمد بن أحمد (ت٧٤٨هـ/١٣٤٧م)، سير أعلام النبلاء، ط٩، تحقيق شعيب الارنؤوط وحسين الأسد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م، ج٩، ص٤٥٧.

(4) ابن سعد، محمد بن سعد(ت٢٣٠هـ/٨٤٤م)، الطبقات الكبرى،ط١، تحقيق علي محمد عمر، مكتبة الخانجي القاهرة، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م، ج٢، ص١١٩

ومكاتباته مع بعض زعماء القبائل هناك[١]، كما تطرق ابن سعد في كتابه هذا أيضاً إلى وفـود قبائل وادي القرى على الرسول(ﷺ)، في المدنية سنة(٩هـ/٦٣٠م) مثل: قبيلة عذرة[٢]، وقبيلـة بلي[٣]، قبيلة سعد هذيم[٤]، وقبيلة فزارة[٥] كما أمدنا بمعلومات حـول إقطاعـات الرسـول(ﷺ) لبعض الأفراد في مناطق متعددة من وادي القرى[٦]،وذكر بعض الملكيـات الخاصـة بـبعض الصحابة والأفراد هناك أيضاً[٧].

وقدم خليفة بن خياط العصفري(ت٢٤٠هـ/٨٥٤م) في كتابه " تاريخ خليفـة" إشـارات بارزة عن النواحي الإدارية في وادي القرى في عصر الرسول(ﷺ)، ومع كونها معلومات قليلة إلا أنها ذات قيمة كبيرة في هذا الجانب[٨]، كما أشار إلى بعض مصدقي القبائل في وادي القرى في عهد الرسول(ﷺ)[٩].

ونجد عند ابن حبيب أبي جعفر محمد بن حبيب(ت٢٤٥هـ/٨٥٩م) في كتابه "المحبـر" ولاة الرسول(ﷺ)، ومصدقيه على القبائل في وادي القرى، فضلاً عن أنه قدم للدراسة معلومات مفيدة حول الأحوال الدينية والاجتماعية في وادي القرى. وقد أفاد الباحث – كذلك- من كتابـه المنمق في أخبار قريش في بعض المعلومات المتعلقة بالعلاقات الإجتماعية وصلات القرابة بين قريش وبعض القبائل في وادي القرى[١٠].

وقدم ابن شبة أبو زيد عمر النميري(ت٢٦٢هـ/٨٧٥م)، في كتابـه "تـاريخ المدينـة المنورة"، إشارات إلى جغرافية وادي القرى، وارتباط وادي القرى إدارياً بوالي المدينة المنورة،

---

(1) ابن سعد، الطبقات، ج١، ٢٢٣، ٢٣٣، ٢٧٠، ٢٧١.

(2) المصدر نفسه، ج١، ص٢٨٦.

(3) المصدر نفسة، ج١، ص٢٨٥.

(4) المصدر نفسه، ج١، ص ٢٧٥.

(5) المصدر نفسة، ج١، ص٢٥٧.

(6) المصدر نفسه، ج١، ص٢٨٦.

(7) المصدر نفسه، ج٤، ص٣٥٦. ج٥، ص٢٧٠.

(8) خليفة ابن خياط، أبو عمرو خليفة(ت٢٤٠هـ/٨٥٤م)، تاريخ خليفة، تحقيق أكرم ضياء العمري، ط٢، دار طيبة، الرياض، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، ص٦٠.

(9) المصدر نفسه، ص٦٢.

(10) ابن حبيب، أبو جعفر محمد"(ت٢٤٥هـ/٨٩٧م)، المحبر، تصحيح ايلزه ليختن شتيتر، المكتب التجاري ، بيروت، د.ت. ص ٣٣، ١٢٦، ١٦٢، ٢٦٣، ٢٦٨. المنمق في أخبار قريش، تعليق خورشيد أحمـد فـاروق، ط١، ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م، القاهرة، ص ٢٩، ٣٣، ٨٢، ٩٩، ٢٩٧.

كما قدم معلومات مفيدة عن إقطاعات الخليفة علي بن أبي طالب(رضي الله عنه)، وملكياته في عـدد مـن قرى الوادي[١].

وقدم لنا البلاذري(ت٢٧٩هـ/٨٩٢م) من خلال كتابيه: "فتـوح البلـدان"، و"أنـساب الأشراف"، معلومات قيمة ومختلفة، في النواحي السياسية، والإدارية[٢]، والاجتماعيـة وكـذلك الاقتصادية، كإشاراته لبعض الإقطاعات والملكيات الخاصة في وادي القرى، ويستند الـبلاذري في رواياته إلى جملة من روايات أهل العلم كما ذُكر في أمر وادي القرى[٣]. وكان البلاذري، ثم ابن سعد، من مصادر محمد بن عبد ا ابن سيد الناس(٧٣٤هـ/ ١٣٣٣م) في كتابـه "عيـون الأثر في فنون الشمائل والمغازي والسير" فيما يخص وادي القرى.

وأورد الطبري(ت٣١٠هـ/٩٢٢م) في كتابه " تاريخ الرسل والملوك "، معلومات عـن فتح وادي القرى وإن كانت على نحو مقتضب وهو يعتمد في معظم هذه المعلومات علـى ابـن اسحاق والواقدي، وهو يشير إلى ذلك في كثير من الأوقات، ومن هذه المعلومـات مـا يتعلـق بالمصدقين الذين بعثهم الرسول(صلى الله عليه وسلم) إلى القبائل في وادي القرى[٤]، وقدم لنا إشارات حول موقف القبائل في وادي القرى من حركة الردة وأشار إلى ردة بعض الأفراد هناك[5]. وذكر معلومـات حول سيطرة الخوارج على وادي القرى وحربهم مع الأمويين هناك[٦]. وهي معلومات أفـادت البحث على نحو كبير، وقد قدم روايات متعددة عن بعض الأحداث المتعلقة بالمنطقة والمؤثرات فيها. وما ذكره الطبري في هذه المدة وبطريقة الحوليات كان مصدراً مع كتب أخرى لمؤرخين من بعده كابن الأثير(ت٦٣٠هـ/١٢٣٢م) في كتابة "الكامل في التاريخ".

---

(1) ابن شبة، عمر النميري(ت٢٦٢هـ/٨٧٥م)، تاريخ المدينة المنورة، تحقيق علي دندل، ياسـين بيـان، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٦م،ج١، ص ١١٠، ١٣٨، ١٧٣، .

(2) البلاذري، أنساب الأشراف، ج٧، ص ١٢٢-١٢٣.

(3) يشير البلاذري في رواياته عن أمر وادي القرى بتعبير " أخبرني عدة من أهل العلم " و " قالوا ". وحـول تعابير البلاذري وأسانيده انظر: الدوري، نشأة علم التاريخ عند العرب، ص٤٣.

(4) الطبري، محمد بن جرير(ت٣١٠هـ/٩٢٢م)، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل، دار سويدان بيروت، ج٣، ص ١٦، ١٧، ٢٩ ، ٣٢.

(5) المصدر نفسه، ج٣، ص ٢٤٣، ٢٤٤، ٢٥٦.

(6) المصدر نفسه، ج٧، ص١٩٧.

ويعد كتاب السمهودي(ت٩١١هـ/١٥٠٥م) المسمى " وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى" من الكتب القيمة التي أفادت البحث في معلومات مختلفة حول القرى الواقعة فـي المنطقـة[1]، وعن بعض القبائل[٢]، ومساجد الرسول(ﷺ) في المنطقة[٣]، وتأتي أهمية هذا الكتاب بصفته ينقل رواياته عن كتب مفقودة ويعد المصدر الوحيد عنها ككتاب " أخبار المدينة " ليحيى بن الحـسن بن زبالة(ت١٩٩هـ/٨١٤م)[٤]. كما نبه السمهودي إلى مسألة مهمة حول مسمى وادي القرى، وأنه أطلق على وادٍ آخر بالقرب من المدينة المنورة غير الوادي المعـروف تاريخيـاً بعـد أن تلاشت قرى الوادي وتلاشى معها الاسم[٥] وهو الخطأ الذي وقع فيه بعض البلدنيين المتـأخرين أمثال أبي الفداء في كتابه تقويم البلدان[٦].

أمـا فيما يخص الكتب الجغرافية فإنها قد أفادت الدراسة فائدة عظيمة؛ سـاعدت فـي وضع الإطار الجغرافي للمنطقة، لاسيما أن الدراسة خصصت فصلاً كاملاً للنواحي الجغرافيـة. ويـأتي فـي مقدمـة هـذه المـصادر كتـاب المناسـك وطـرق الحـج لأبـي إسـحاق الحربي(٢٨٥هـ/٨٩٨م)، وابن رسته(ت٢٩٠هـ/٩٠٣م) في كتابه الأعلاق النفيسة، وكذلك ابن خرداذبة(ت٣٠٠هـ/٩١٢م)،وقدامـة بـن جعفـــــر(ت٣٢٨هــ/ ٩٣٩م) وقيـل (ت ٣٣٧هـ/٩٤٨م) في كتاب "الخراج"، وقد كانت الفائدة من هذه الكتب في ذكر الطـرق البريـة، ومنازل الحج الواقعة في منطقة وادي القرى، وهي منازل للحج الشامي والمصري معاً.

وقدم الحسن الأصفهاني(ت٢١٠هـ/٨٢٥م)، معلومات قيمة عن جغرافية وادي القرى، وتطور الزراعة، وطبيعة السكان، والمياه والعيون في المنطقة، عدا عن وجـود المعـادن فـي المنطقة[٧].

---

(1) السمهودي، علي بن عبد ا (ت ٩١١هـ/١٥٠٥م)، وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ط١، تحقيق قاسم السامرائي، مؤسسة الفرقان، مكة والمدينة، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، ج٤، ص٥١٤-٥١٥.

(2) المصدر نفسه، ج٤، ص ٢١٦ ، ٢٨٧، ٣٢٢، ٣٩١، ٤٣٠، ٤٦٨.

(3) المصدر نفسه، ج٤، ص٤٦٩.

(4) السيف، عبد ا بن محمد، الحياة الاقتصادية والاجتماعية في نجد والحجاز فـي العـصر الأمـوي، ط٢، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، ص٢٤.

(5) السمهودي، وفاء الوفاء، ج١، ص ٣٤١.

(6) أبو الفداء، عماد الدين بن إسماعيل (ت٧٢١هـ/١٣٢١م)، تقويم البلدان، دار المعرفـة، بيـروت،١٩٨٨م ص٥٥٢.

(7) الحسن بن عبد ا الأصفهاني (ت٢١٠هـ/٨٢٥م) ، بلاد العرب، تحقيق حمد الجاسر، وصالح العلي، دار اليمامة، الرياض، ١٣٨٧هـ/١٩٦٨م، ص ٣٩٤، ٣٩٥، ٣٩٦، ٣٩٧، ٣٩٨، ٣٩٩، ٤٠٠، ٤٠١.

وقدم كتاب "صفة جزيرة العرب" للهمداني(ت٣٣٤هـ/٩٤٥م) معلومات قيمة عن المنطقة من الناحية الجغرافية، ومواطن القبائل، وعن الطرق، والتجارة، والسلع التجارية(١).

أما المقدسي المعروف بالبشاري(ت٣٧٥هـ/٩٨٥م)، في كتابه "أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم"، فقد قدم معلومات ذات قيمة كبيرة للبحث، تضمنت إشارات عن أهمية المنطقة من الناحية الاقتصادية، وتحدث عن الطرق التجارية في المنطقة ومدنها، وكذلك النشاط الزراعي، بالإضافة (٢).

ويعد كتاب البكري(٤٧٨هـ/ ١٠٩٤م) "معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع"، من الكتب المهمة التي خدمت الدراسة، حيث تحدث عن قرى الوادي، كما تطرق لحركة انتشار القبائل في المنطقة، بالإضافة إلى إشارات مهمة حول الزراعة والمحاصيل الزراعية(٣).

أما كتاب ياقوت الحموي(ت٦٢٦هـ/١٢٢٦م) "معجم البلدان"، الذي يعد من أوسع معاجم الجغرافيا التاريخية، فقد أورد معلومات ليست جغرافية حسب، بل أورد معلومات إضافية وثمينة للدراسة، شملت المدن، والزراعة، والمياه، والطرق التجارية، والسكان، وغيرها من المعلومات المتنوعة(٤).

وأفادت الدراسة من كتاب "نخبة الدهر في عجائب البر والبحر" لشيخ الربوة (ت ٧٢٧هـ/ ١٣٤٢م)، الذي ذكر معلومات عن المعادن في منطقة الدراسة(٥).

وقدمت كتب التراجم الخاصة بالصحابة والتابعين معلومات ذات قيمة عالية، ومتنوعة، تتعلق بالاقتصاد أو السياسة أو الإدارة وغيرها، ومن ذلك كتاب "الاستيعاب في معرفة الأصحاب" لابن عبد البر(ت٤٦٣هـ/١٠٨١م) الذي ذكر إشارات مهمة حول الإدارة، والاقتصاد

---

(1) الهمداني، الحسن بن يعقوب(ت٣٣٤هـ/٩٤٥م) صفة جزيرة العرب، تحقيق محمد بن علي الأكوع، دار اليمامة، الرياض، ١٣٩٤هـ/ ١٩٨٧م، ص ٤٤، ٦٦، ٦٧، ٨٦، ٩٠، ١٠٢،

(2) المقدسي، محمد بن أحمد البشاري(٣٧٥هـ/٩٨٥م)، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مطبعة بريل، ليدن، ١٩٠٩م، ص ٢٣، ٥٥، ٥٧، ٨٣، ٨٤، ٨٥.

(3) البكري، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز(ت٤٧٨هـ/١٠٩٤م)، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، تحقيق مصطفى السقا، ط٣، مكتبة الخانجي، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.ج١، ص٨، ١١، ١٤، ٣٨، ٤٠، ٤١، ٤٣، ٣٣، ٣٥، ٣٢٩، /ج٢، ص ٤٤٦، ٤٤٧، ٦٤٣، / ج٣، ص٣٢٢/ج٤، ص ١٢١٨،.

(4) ياقوت بن عبد الله الحموي(ت٦٢٦هـ/١٢٢٦م)، معجم البلدان، دار صادر ، بيروت، ١٩٧٧م، ج١، ص٧٦، ٦٥، ج٢، ص٨٤، ٤٦٠، ج٣، ص ٥٨، ٣٣٧، ٣٨٧، ج٤، ص ٣٢١، ج٥، ص٣٣٨، ١١٦/

(5) شيخ الربوة، شمس الدين محمد بن أبي طالب(ت٧٢٧هـ/١٣٤٢م)، نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، مطبعة بريل ليدن، د.ت. ص٩٠، ٩١.

في منطقة وادي القرى، وتحدث عن بعض الإقطاعات التي وزعهـا الرسـول(ﷺ)، هنـاك[١]. واشتمل كتاب "أسد الغابة في معرفة الصحابة" لابن الأثير(ت٦٣٠هـ/١٢٣٢م) معلومات قيمـة أيضاً. وقدم كتاب "الإصابة في معرفة الصحابة" لابن حجر العـسقلاني(ت٨٥٢هـ ـ/١٤٤٨م) معلومات بارزة ومتنوعة، تناولت الملامح الإدراية، والحياة الاجتماعية، وإقطاعات الرسول(ﷺ) في المنطقة[٢]

وأفادت الدراسة – كذلك- من المصادر الفقهية المتنوعة لا سيما المتعلقة بالخراج مثـل كتاب "الخراج" لأبي يوسف(ت١٨٢هـ/٧٩٨م) ، وكتب الأموال مثل كتـاب "الأمـوال" لابـن زنجوية(ت٢٥١هـ/٨٦٥م)، وكتاب "الخراج" ليحي بن أدم(٢٠٣هـ/٨١٨م)[٣]، ومن المـصادر الفقهيـة –أيـضاً- كتـاب "الأم" للـشافعي(ت٢٠٤هــ ـ/٨١٩م)، وكتـاب "المبـسوط" للسرخسي(ت٤٨٣هـ/١٠٩١م)، وكتاب "المغني" لابن قدامة(ت٦٢٠هـ/١٢٢٠م)، وقد قـدمت هذه المصادر معلومات ذات قيمة كبيرة تتعلق بالنواحي الاقتصادية، وإجـراءات الرسـول(ﷺ)، ومعاملته يهود وادي القرى، وتحدثت عن المعاملـة والمزارعـة، وعـن معانيهـا وألفاظهـا، ومعلومات مفيدة عن المصدقين، والملكيات الخاصة في وادي القرى[٤].

وأفادت الدراسة كثيراً من دواوين الشعر، لا سيما الشعراء المعـروفين فـي المنطقـة، كديوان جميل بن معمر، وبعض الشعراء الذين ذكرتهم كتب الأدب المتنوعة، وأفادت من هـذه الأشعار في معرفة الحياة الاجتماعية وكذلك بعض الإشارات الاقتصادية المهمة.

وتناولت كتب الأدب معلومات مهمة أفادت منها الدراسة على نحو واسع، ويعد كتـاب "الأغاني"، لأبي الفرج الأصفهاني(ت٣٥٦هـ/٩٦٦م) من الكتب التي زخرت بمعلومات غزيرة شملت الجوانب الاقتصادية، والتاريخية، والثقافية، والاجتماعية، للمنطقة [5].

---

(1) ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد ا ، الاستيعاب في معرفة الأصـحاب، دار إحيـاء التـراث، ط١، بيروت، ١٣٢٨هـ، ج١، ص ١٢٥، ١٤٨، ٣٦٣، ٣٦٤ ،/ ج٢، ص ٤٢٠، ج٣، ١١٧٧،

(2) ابن حجر ، شهاب الدين أحمد بن علي العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، ج١، ص ١٣، ١١٠، ٢٣٤، ٢٩٢، ٤٠٦/ ج٢، ١٢٥، ج٣، ٣٠٩، ٣٨٣، ٤٨٠.

(3) يحيى بن آدم، كتاب الخراج، ص ٩٢، ٩٣، ١٠٩، ١٣٢.

(4) ابن قدامة، عبد ا بن أحمد، كتاب المغني، دار الفكر، بيـروت، ١٤١٢هـ ـ/١٩٩٢م، ج٥، ص ٥٥٤، ٥٨٣، ٥٨٢، ٥٨٣.

(5) أبو الفرج الأصفهاني، الحسين بن علي، كتـاب الأغـاني، تحقيـق إبـراهيم الأبيـاري، دار الـشعب، ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م، ج١، ١١٧، ٣٣٣، ج٢، ٣٥، ٣٨، ج٣، ٦٧٠، ج٨، ص٢٨٥٢، ٢٨٥٥، ٢٨٥٦، ٢٨٨١.

ووردت أشارت مفيدة في كتاب "البيان والتبيين" للجاحظ(ت٢٥٥هـ ـ/٨٦٨م) وكتـاب "الشعر والشعراء" لابن قتيبة(ت٢٧٦هـ/ ٨٨٩م) "وطبقات فحول الشعراء للجمحـي"، حيـث أورد الأخيران معلومات عن شعراء المنطقة.

وأفادت الدراسة من الكتب الموسوعية التي تضمنت معلومات كثيرة ومتنوعة، سواء عن غزوات الرسول وسراياه في المنطقة، أوالإقطاع، والقبائل ومواطنها، والزراعة، والمحاصـيل، والمياه في المنطقة، وفي مقدمتها كتاب "نهاية الأرب في فنون الأدب" للنـويري (ت٧٣٣هـ ـ/ ١٣٣٢م)، وكتاب "صبح الأعشى في صناعة الإنشا" للقلقشندي (ت٨٢١هـ/١٤١٨م) [1].

كما أفادت الدراسة من كتب المعاجم اللغوية في تفسير بعـض الألفـاظ والمـسميات المستخدمة في المنطقة وكذا في التعريف ببعض ألفاظ المكاييل والأوزان، كالصاع، والوسـق، والمد، مع وجود بعض المعلومات الأخرى فيها، ومن هذه الكتب كتاب "المخصص" لابن سـيدة (ت٤٥٨هـ/)، ومعجم "لسان العرب"، لابن منظور(٧١١هـ/١٣١١م).

ومن الدراسات الحديثة التي خدمت البحث كتاب الدكتور جواد علي "المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام"، وأفاد البحث من الدراسات التي قدمها الدكتور صالح العلي مثل كتابة "دولة الرسول في المدينة"، حيث تطرق لبداية إدارة الدولة في عهد الرسول(ﷺ)، وكيفية إدارة الأجزاء التي ضمها الرسول(ﷺ) لدولته في المدينة، وإدارة القبائل العربية هناك. كما كان للدكتور العلي مقالات بارزة نَشر بعضها في مجلة العرب، وأفادت منها الدراسة على نحوٍ كبير، تحدثت عن تحديد الحجاز، وطرق التجارة ، والإقطاعات في الحجاز على نحوٍ عام.

وأفادت الدراسة من الدراسات التي قدمها الدكتور عبد العزيز الـدوري فـي مرحلـة صـدر الإسلام، في كتبه؛ "مقدمة في صدر الإسلام"، و"مقدمة في التـاريخ الاقتـصادي الإسـلامي"، و"النظم الإسلامية".

وحفل كتاب الدكتور عبد ا السيف" الحياة الاقتصادية والاجتماعية في نجد والحجاز في العصر الأموي" بمعلومات اقتصادية واجتماعية قيمة خدمت الدراسة، وأفادت الدراسة من كتاب الدكتور عبد ا بن إدريس "مجتمع المدينة في عهد الرسول" وكتاب الدكتور عبد ا آدم نصيف العلا، "دراسة في التاريخ الاجتماعي والحضاري"، الذي قدم معلومات مفيدة عن المنطقة.

---

(1) القلقشندي أحمد بن علي ، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، تحقيق محمد حسين، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٧م، ج٢، ص١٩٧، ج٤، ٢٩٦، ٢٥٢، ٢٥٣، ٢٩٧.

ومن المراجع البارزة التي أفادت الدراسة منها: كتاب " أوليات الفتوح، حروب الردة في الإسلام " للدكتورة غيداء عادل خزنة كاتبي حيث تناول الأوضاع الاقتصادية للقبائل العربية في جزيرة العرب، وعلاقاتها الاجتماعية وموقفها من الإسلام، وأحداث الردة بعد وفاة الرسول(ﷺ).

أما فيما يتعلق بالمسوحات الآثارية فقد خدمت الدراسة خدمة كبيرة، لا سيما ما قامت به جامعة الملك سعود في المنطقة، ثم وكالة الآثار والمتاحف بالمملكة العربيـة الـسعودية، وقـد نشرت نتائج هذه المسوحات في حولية الآثار السعودية " أطلال "، إذ قدمت هـذه المـسوحات معلومات قيمة ومتنوعة تتعلق بالجوانب الاقتصادية للمنطقة، والمباني، والأدوات المستخدمة من قطع فخارية، وشواهد قبور وغيرها. فقد استفاد البحث كثيراً من هذه الحفريات والمسوحات.

وقدم كتاب الدكتور عبد ا غبان "الآثار الإسلامية في شمال غرب المملكـة العربيـة السعودية " معلومات مفيدة إذ استندت الدراسة على جانب ميداني للآثار في المنطقة وقدم في هذا الكتاب معلومات مفيدة جداً أفادت منها الدراسة على نحو مباشر وغير مباشر.

وقدمت الدراسات والبحوث الأثرية التي قام بها الدكتور الأنصاري في المنطقة معلومات مهمة عن الأوضاع الاقتصادية والحياة الاجتماعية في المنطقة. كما قام الدكتور عبد ا نصيف بمسوحات أثرية مميزة تتعلق بمصادر المياه في المنطقة، استطاعت أن تقدم معلومات قيمة حول العيون والكظائم ومصادرها في منطقة العلا وما حولها.

وأفادت الدراسة – كذلك- من جملة بحوث متنوعة أوردت معلومات جيدة عن النواحي الزراعية، والتجارية، والحمي ، وعلاقة القبائل مع الدولة البيزنطية في بـلاد الـشام، وعلاقـة السكان في وادي القرى مع بلاد الشام والدولة البيزنطية هناك، ومن هذه البحوث: " دور القبائل المتنصرة في الفتوحات الإسلامية" للدكتور محمد خريسات وبحث للدكتور فالح حسين بعنوان " من طرق استثمار الأرض في صدر الإسلام: المزارعة بين النظرية والتطبيق "، وبحـث آخـر للدكتورة غيداء عادل خزنة كاتبي بعنوان " الحمى بين الجاهلية وصدر الإسلام "، فقد أفادت هذه الدراسة من هذه الدراسات وغيرها من الدراسات، لكن تبقى المصادر الأولية هي عماد البحث وأساسه.

الفصـل الأول:

الإطار الجغرافي لوادي القرى

١- المسـمى

٢- المـوقـع والحـدود

٣- المعالم الجغرافية:

- الجبال
- الأودية
- الحِرار
- الأبارق
- الدارات

٤- المناخ والأمطار

٥- الحياة النباتية

٦- الحياة الحيوانية

٧- الميـاه

٨- مواقع التـجمعـات السكـانيـة

المسمى

يَرد اسم " وادي القرى [١]" في المصادر التاريخية والجغرافية، حيث يطلق على وادٍ كبير من أعمال المدينة، بين المدينة والشام. والوادي: عبارة عن أرضٍ منخفضة كالخليج، تنزل العرب على حافتيه وتخليه ليمر السيل من خلاله، وقد ورد في اللسان: " وَدَى الشيء إذا سال، ومنه الوادي، لأن الماء يدي فيه أي يجري فيه ويسيل، وهو كل منخفض بين جبال وآكام يكون منفذًا للسيل، والجمع أودية " [٢]، ومنه " وادي القرى "[٣] وقُرى جمع قرية، ويقال: قَرَوتُ الأرض إذا تَتَبعت ناسا بعد ناس، وقال بعضهم: ما زلت أستقري هذه الأرض قريةً قريةً؛ أي أتتبعها واحدة بعد أخرى، وقيل: هي القَرية بالفتح والقِرية بالكسر، وهما بلسان أهل اليمن[٤].

اعتادت بعض المصادر على تعليل أسماء المواضع والمدن: إما تعليلاً لغويا أو تعليلاً اصطلاحيا، فقد تُنسب إلى أقوام أو أشخاص، سكنوها من قبل، والأخير تعليلٌ لا ينطبق على منطقة "وادي القرى" - على الأقل - زمن الدراسة، أما بالنسبة إلى ربط التسمية بكثرة القرى المنتشرة على هذا الوادي، فهو أمر ينطبق على واقع وادي القرى المشهور بخصوبة أرضه وكثرة مياهه وعيونه، حتى أصبح مستَقَرا لكثيرٍ من القبائل العربية القديمة؛ كالمعينيين مثلاً الذين أقاموا بعض المراكز الرئيسة على طول الطريق التجاري القديم، وقد نشأت فيه بعض المدن التي تحولت إلى ممالك حضارية كبيرة منذ القرن الخامس قبل الميلاد، منها مملكتا ديدان[٥] ولحيان[٦] اللتان أثرَتا في تاريخ المنطقة.

---

(1) يعرف اليوم باسم "وادي العلا" نسبة لمدينة العلا وهي أهم مدن وادي القرى منذ القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي.

(2) ابن منظور، محمد بن مكرم(ت ٧١١هـ/١٣١١م)، لسان العرب، دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٤١٣هـ/١٩٩٣م، مادة (ودى)، ج١٥، ص٢٥.

(3) المطري، أبو الفتح ناصر الدين المطرزي(ت٦١٠هـ/١٢١٣م)، المغرب في ترتيب المعرب، تحقيق محمود فاخوري، وعبد الحميد مختار، مكتبة أسامة بن زيد، حلب، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م، ج٢، ص٣٤٧.

(4) ابن منظور، لسان العرب، مادة (قرا)، ج١١، ص١٤٥.

(5) مملكة ديدان: إحدى الممالك العربية التي قامت في وادي القرى، وفي العلا تحديدا ما بين القرن الخامس ق.م ذكرت في التوراة، (العهد القديم، التكوين١٠: ٦ – ٨، ٢٥: ١، ص١٦/ الأصحاح ٢٥: ١٢ – ١٣ ص١٢١٦).

(٦) مملكة لحيان: قامت على أنقاض مملكة ديدان، وامتد نفوذها من العلا والحجر، حتى العقبة وربما البترا شمالاً، حتى عرف خليج العقبة " بخليج لحيان " في المصادر الكلاسيكية، وقد سقطت على يد الأنباط =

اتفق بعض الرواة والأخباريين الذين تناولوا أصل تسمية " وادي القـرى " علـى أنهـا منسوبة إلى كثرة القرى المتناثرة على طول الوادي، فأبو المنذر هشام بن محمد الكلبي[١] يعلل سبب التسمية بذلك لأن الوادي من أوله إلى آخره قرى منظومة " [٢]، وذكر محمد بن حبيب [٣] - فيما نقل البكري - أن السقيا " قرية من قرى وادي القرى"[٤]، وتكرر عند المقدسي أن السقيا من مدن وادي القرى.. "[٥]، وذكر عدد من الجغرافيين عدةَ مواضع نُسبت إلى وادي القـرى[٦]، حيث تتبع الحسن الأصفهاني بعض هذه المواضع وتحدث عنهـا[٧]، خرداذبـة، وابـن شـبة،

=عام٢٤م. وقيل في القرن ٣ق.م. على يد المعينيين. للمزيد انظر:جواد علي، المفصل في تـاريخ العـرب قبل الإسلام، ط٢، دار العلم للملايين، ومكتبة النهضة، بغداد، ١٩٧٧م، ج٢، ص ٢٤١ – ٢٥٧. كاسـكل، ف،" لحيـان المملكـة العربيـة القديمـة "، ترجمـة منـذر البكـر، مجلـة كليـة الآداب، جامعـة البصرة،١٣٩١هـ/١٩٧١م، ص ١٧٥– ١٨٠. الأنصاري،عبدالرحمن الطيب، لمحات عن بعـض المـدن القديمة في شمال غربـي الجزيـرة العربيـة،"مجلـة الـدارة، (عـدد١)، الـسنة الأولـى، الريـاض، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م.ص٧٧-٧٩. نصيف، عبد ا آدم، العلا: دراسة في التراث الحـضاري والاجتمـاعي "ط١، الريـاض، ١٤١٦هــ ـ/١٩٩٥م، ص١١-١٥. Encyclopadia Britannica 1973- 1974

Nasif, A. Wadi AL-Kurak , The Encyclopadia of Islam.2000, XI, .vol.1.p.1044 P18-19.

(١) الكلبي،أبو المنذر هشام بن محمد بن بشر(ت ٢٠٤هـ/ ٨١٩م)، نسابة مشهور من أعلام الناس بالأنـساب، له عدة كتب من أهمها كتاب " نسب معد واليمن الكبير ".

(٢) ياقوت الحموي، ياقوت بن عبد ا بن أحمد (ت٦٢٦هـ/١٢٢٩م)، معجم البلدان، دار صـادر، بيـروت، ١٩٧٧م، ج٥، ص ٣٣٨.

(٣) محمد بن حبيب(ت ٢٤٥هـ/٨٩٧) كان مولا لبني العباس وكان من علماء بغداد بالأنساب والأخبار واللغة والشعر، له كتب مشهورة منها المحبر والمنمق في أخبار قريش.

البكري، عبد ا بن عبد العزيز (ت ٤٨٧هـ/١٠٩٥م)، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع تحقيـق مصطفى السقا، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م، ج٣، ص٧٤٣.

(٥) المقدسي، محمد بن أحمد البشاري(ت٣٨٠هـ/٩٩٠م)، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مكتبة مـدبولي، القاهرة ط٣، ١٤١١هـ/١٩٩١، ص٨٤.

(٦) ابن خرداذبة، عبيد ا بن عبد ا (ت٢٧٢هـ/٨٨٥م)، المسالك والممالك، مطبعة بريـل، ليـدن١٨٨٩م، ص١٥٠. الحربي، إبراهيم بن إسحاق(ت ٢٨٥هـ/٨٩٧م)، المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة، تحقيـق حمـد الجاسـر، دار اليمامـة، الريـاض ١٤٢٠هــ، ص٤٠٣. ابـن رسـتة، أحمـد بـن عمر(ت٣٦٠هـ/٩٧٠م)، الأعلاق النفيسة، دار إحياء التراث العربي بيروت، ١٩٨٨م، ج٣، ص١٥٢.

(٧) الأصفهاني، الحسن بن عبد ا المعروف بـ " لغد "(ت٢١٠هـ/٨٢٥م)، بلاد العـرب، تحقيـق. حمـد الجاسر، صالح العلي، دار اليمامة، الرياض، ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٨ م، ص ٣٩٥ – ٤٠٠.

والبكري منابر المدينة وأعراضها[١] ولم يذكر أحد منهم السقيا أو الرحبة أو الحجر، بل اكتفـوا بذكر وادي القرى فقط، وفي ذلك إشارة إلى أن هذه القرى داخلة في عرض آخر ضـمن هـذه الأعراض والمنابر المذكورة، وهذا ما قصده البكري بعد أن ذكر أعمال المدينـة حيـث قـال: "ولهذه المواضع أعمالٌ عريضة واسعة إلا الجار فإنه ساحلٌ "[٢] ؛ لذا، كان وادي القـرى اسـما شاملاً لعدة قرى في هذا الوادي ضمن هذه الأعراض.

وقد أكد ياقوت الحموي، الذي شاهد هذه القرى، أنه" سمي وادي القرى لأن فيـه قـرى كثيرة، وكانت من أعمال البلاد، وآثار القرى إلى الآن فيها ظاهرة إلا أنها في وقتنا هـذا كلهـا خراب، ومياهها جارية تتدفق ضائعة لا ينتفع بها أحد" [٣]، وذكر عدة قرى ومواضع نسبها إلى وادي القرى مثل: السقيا، والرحبة، وذي المروة، والعلا.

ويشير الفيروز آبادي إلى كثرة القرى في هذا الوادي، ويبدو أنه اعتمد في ذلـك علـى ياقوت الحموي[٤]، وتابعه السمهودي، إذ يقول إنّه: "وادٍ كثير القرى بين المدينة والشام"[٥]، أمـا القلقشندي فيذكر أن على هذا الوادي. " عيوناً كثيرة، عليها قرى عديدة [٦]، أي أن هنـاك عـدة قرى في الوادي أكسبته هذه التسمية.

---

(1) العرض، يطلق على بعض القرى التابعة للمدينة المنورة. انظر: ابـن خردانبـة، المـسالك والممالـك، ص١٢٨،١٢٩. ابن شبة، عمر النميري(ت٢٦٢هـ/٨٧٥م)، تاريخ المدينة المنورة، تحقيق علـي دنـدل، ياسين بيان، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٦م،ج١، ص١٧٣. البكري، معجم ما استعجم،ج١، ص٢٧١

(2) البكري، معجم ما استعجم، ج١، ص١٠.

(3) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص٣٣٨.

(4) الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب (ت٨٢٣هـ / ١٤٢٠م)، المغانم المطابة في معالم طابة، ط١، تحقيق حمد الجاسر، دار اليمامة، الرياض، ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م، ص٤٢٣.

(5) السمهودي، علي بن عبد ا (ت ٩١١هـ/١٥٠٥م)، وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ط١، تحقيق قاسم السامرائي، مؤسسة الفرقان، مكة والمدينة، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، ج٤، ص٥١٤-٥١٥.

(6) القلقشندي، أحمد بن علي (ت٨٢١هـ/١٤١٨م)، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، تحقيق محمد حـسين دار الفكر، دمشق، ١٩٨٧م، ج٤، ص ٢٩٦. البكري، معجم ما استعجم، ج١، ص ٤٣. ياقوت الحمـوي، معجم البلدان، ج٥، ص ٣٣٨.

ويكثر ذكر وادي القرى في كتب التفسير لا سيما التي تحدثت عن قوم ثمود الذين أرسل إليهم نبي الله صالح (عليه السلام)، لكنها لا تقف عند اشتقاق الاسم كثيرا غير أن بعضها قد أشار إلى كثرة القرى في هذا الوادي، وأنها معروفة حيث يمر بها العرب كثيرا[1].

ويشكك بعض الباحثين في تعليل هشام بن محمد الكلبي لمسمى وادي القرى عندما نسبه إلى كثرة القرى، فيذهب بعضهم إلى أن مسمى " وادي القرى " قد لا يكون بالأصل عربيا، وربما كان تحريفًا لمصطلح " المقاطعة العربية " أو "الكورة العربية" (Provincia Arabia) الذي أطلق على المنطقة إبان الحكم الروماني بعد قضائهم على الدولة النبطية سنة ١٠٦م وأنشأوا ما عرف تاريخيا باسم " المقاطعة العربية " أو "الكورة العربية Provincia Arabia " التي شملت معظم الأراضي النبطية بما فيها الأجزاء الجنوبية التي تضم: الحِجر، ووادي القرى. وقد أصبح يطلق على أهم الأودية هناك اسم " وادي الكورة ". وعندما انكمشت هذه المقاطعة واقتصرت على أجزاء معينة من بلاد الشام، واستقلت الأجزاء الجنوبية فقد احتفظت ببقايا هذا الاسم الذي حرف مع الوقت من " كورة عربية " إلى " قرى عربية ". وبطبيعة الحال تحول وادي الكورة إلى " وادي القرى"، ومع نمو هذه القرى وانفرادها باسم خاص بها، كفدك، وخيبر، وقرح. فقد أطلق مسمى " قرى عربية " و " وادي القرى " على أماكن بعينها فيما بعد[2].

وهذا القول يخالف الدليل القاطع من لغة العرب؛ لأننا إذا سلّمنا بصحة النسبة إلى " وادي الكورة" فإنّنَا لا نسلّم بأن له ارتباطاً بمرحلة حكم الرومان للمنطقة، لذا فهو تعليل يعوزه الدليل، لأن كلمة " كورة " كلمة عربية فصيحة، أصلها من الفعل الثلاثي (كَوَرَ)، وهو أصلٌ

---

(1) الطبري، محمد بن جرير،(ت٣١٠هـ/٩٢٢م)، جامع البيان في تأويل القرآن،ط٣، تحقيق أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الرياض،١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م،ج٢٤، ص ٤٠٦. ابن كثير، إسماعيل بن عمر(ت٧٧٤هـ/١٣٧٢م)، تفسير القران العظيم، تحقيق سامي محمد سلامة، ط٢، دار طيبة، المدينة المنورة، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م، ج٦، ص ٢٧٨.

(2) الوهيبي، عبد الله بن ناصر، " قرى عربية "، مجلة العرب، السنة٤، ج١١، ١٣٩٠هـ/١٩٧٠،ص ٩٨٣-١٠١٧. وانظر: شاكر، محمود محمد، " قرى عربية "، مجلة العرب، السنة٢، ج٩، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م، ص٧٩٧. جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج٣، ص ٥٧ – ٧٢.

صحيح يدلّ على دورٍ وتجمع.ومن ذلك الكور: الدور. يقال : كار يَكُـور العمامـة: دَورَهـا. والكُورَةُ: الصقْع، لأنه يدور على ما فيه من قُرى[1].

فكأن هذه المدن لما التفت حول وادي القرى سمي بوادي الكورة، ثم تحرف اللفظ مـع الزمن. ويعزز ما أوردنا استشهادة من القران الكريم قال تعالى:﴿ إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ ﴾[2].

ومع نهاية القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي بـدأ مـسمى " وادي القـرى " يتلاشى شيئًا فشيئًا عن المنطقة بعد أن ضعفت معظم قرى الوادي بسبب الأوضـاع الـسياسية والاقتصادية السيئة للحجاز، إثر التنافس والحروب بين العباسيين والفاطميين على الحجاز بمـا فيه وادي القرى، لا سيما بعد الثورة التي قام بها أبو حازم عبد ا بن إبراهيم والي وادي القرى المدعوم من العباسيين ضد الفاطميين، وتهديده سيادتها في الحجاز عامة، ولكنه لم يـنجح فـي مسعاه فقتله الفاطميون الذين استرجعوا الحجاز بما في ذلك وادي القرى ومعه رأس أبي حـازم سنة ٣٧٨هـ/٩٨٨م [3]، عدا عن تغير طريق الحج في مطلع القرن السابع الهجـري/ الثالـث عشر الميلادي، وصعود مدينة العلا بسبب موقعها الجغرافي المميز من بين مدن الوادي التـي حلت محل مدينة قرح، لتصبح المدينة الرئيسة في الوادي الذي أخذت معظـم قـراه بالتـدهور والاندثار، حتى في أسمائها؛ فقد أصبح يعرف بوادي العلا بدلاً مـن وادي القـرى منـذ ذلـك الحين[4].

ومع اندثار هذه القرى وتلاشي مسمى " وادي القرى " لـم يغفـل بعـض المـؤرخين المتأخرين أمثال أبي الفداء والدواداري والجزيري والسمهودي عن ذكره، وذكر الأحداث التـي جرتْ فيه لذلك نجدهم قد توهموا في هذا المسمى فأطلقوه على الوادي القريب من المدينة الـذي

---

(1) ابن زكريا، أحمد بن فارس(ت٣٩٥هـ/١٠٠٤م)، مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، الناشر، اتحاد الكتاب العرب، ١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٢م، ج ٥، ص ١١٩.

(2) سورة التكوير، آية رقم (١).

(3) الدواداري، أبو بكر بن عبد ا (ت٧٣٠هـ/١٣٣١م)، كنز الدرر وجامع الغرر، تحقيق صـلاح الـدين المنجد، ج٦، القاهرة ١٩٦١هـ ص٢١٩. الزيلعي، أحمد بن عمر، مكة وعلاقاتها الخارجية (٣٠٠هـ - ٤٨٧هـ) الرياض، جامعة الرياض (الملك سعود حاليا)، ١٩٨١م، ص٤٦. نـصيف، عبـد ا ، العـلا، دراسة في التراث الحضاري والاجتماعي، الريـاض، ١٤١٦هـ ـ/١٩٩٥م، ص٣١. العميـر، عبـد ا وآخرون " حفرية مدينة قرح (المابيات) الإسلامية بمحافظة العلا " (أطـلال)، حولية الآثـار العربيـة السعودية، وكالة الآثار والمتاحف السعودية، عدد ١٩، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م، ص٢٢٠-٢٢١.

(4) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص٣٣٨.

يضم اليوم عدة قرى أشهرها: المندسة والمليليح وأبيار نصيف[1]، وقد نبه السمهودي علـى أن هذا الوادي غير وادي القرى القديم[٢]، ويبدو أن أول من أشار إلى هذا المكان أو مهد لذلك ابن شجاع الدمشقي (ت ٦٢٣هـ / ١٢٢٦م) حيث أطلق اسم " أرض القرى " على تلك المنطقة [٣].

أما المسوحات الأثرية الحديثة والدراسات التي أجريت في تلك المنطقة، فقد أثبتت أنهـا كانت مأهولة منذ العصر الحجري، والألفين الثاني والثالث قبل الميلاد، حيث استغل الإنسان في تلك المدة موارد البيئة، لبناء المساكن الخاصة به، مما أدى إلى استقراره، ونشوء المـستوطنات والقرى في تلك المنطقة[٤]، وأن هناك عدة قرى كانت منتشرة في تلك المنطقـة وأنهـا كانـت مسكونة حتى نهاية القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي[5].

---

(1) أبو الفداء، إسماعيل بن محمد(ت٧٣٢هـ/١٣٣٢م)، تقـويم البلـدان، دار المعرفـة، بيـروت،١٩٨٨م، ص٥٥٢. الدواداري، كنز الدرر، ج٦، ص٢١٥. البلوي، خالد بن عيـسى(ت٧٦٥هـ ـ/١٣٦٤م)، تـاج المفرق في تحلية علماء المشرق، تحقيق الحسن السائح، صندوق احياء التراث الإسلامي المـشترك بـين المملكة المغربية والإمارات العربية المتحدة، الربـاط، ط١، ١٩٧٠م، ج١، ص٢٧٩-٢٨٠. الجزيـري، عبدالقادر بن محمد(ت٩٧٧هـ/١٥٦٩م)، الدرر الفرائد المنظمة في أخبار الحج وطريق مكة المعظمـة، تحقيق حمد الجاسر، دار اليمامة، الرياض ١٩٨٣م،ج٢، ص١٢٦٩. نصيف، العلا، ص٣٠.

(2) السمهودي، وفاء الوفاء، ج١، ص ٣٤١.

(3) الجاسر، " منازل الحج الـشامي لابـن شـجاع الدمـشقي "، مجلـة العـرب، ج١١، ١٢، الـسنة١٠، ١٣٩٧هـ/١٩٧٦م، ص٨٧٤.

(4) الزهراني، عوض بن علي، تل الكثيب بالعلا، دراسة أثارية مقارنة، وكالة الآثار والمتـاحف، الريـاض، ط١، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م، ص٣٨.

(5) العمير، عبد ا بن إبراهيم، وآخرون، حفرية قرح، ص٢٢٠. غبان، علي بن إبراهيم، الآثار الإسـلامية في شمال غرب المملكة، ط١، الرياض، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م، ص٤٤ – ٥٢.

الموقع والحدود

يعد وادي القرى من الأقسام البارزة في شمال الجزيرة العربيـة، وموقعـه معـروف بصورة عامة، غير أن حدوده ليست واضحة، ومع ذلك لم يتطرق الجغرافيون والمؤرخون فـي معظمهم - إن لم نقل جميعهم - إلى الحدود الجغرافية الدقيقة لوادي القـرى، فـاكتفوا بتحديـد موقعه " بين المدينة والشام " دون أية تفاصيل تذكر، ولعل ذلك يعود للأسباب الآتية:

- اختلاف المصادر على حدود الجزيرة العربية، وحدود الحجاز بصورة خاصة[١].
- اختلاف التقسيمات الإدارية للدول الإسلامية المختلفة.
- أنه تابع من الناحية الإدارية لوالي المدينة في صدر الإسلام.

ويعد الواقدي وادي القرى الحد الفاصل بين الحجاز والشام [٢]، بينما يجعله الـبلاذري " بين المدينة والشام" [٣]، ويرى ابن الفقيه أن وادي القرى مما يلي الشام [٤]، ويتابعه في ذلك كل من الحازمي[٥]، والفيروزابادي [٦]، والسمهودي [٧].

---

(1) حـول حدود جزيرة العرب والحجاز انظـر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص١٣٧. صالح أحمد العلي، تحديد الحجاز عند المتقدمين، مجلة العرب، الرياض، السنة٣، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م ج١.ص ١-٩. الوهيبي، عبد ا ، "الحجاز كما حدده الجغرافيون العرب"، مجلة كلية الآداب، جامعة الريـاض، (الملـك سعود حاليا)، ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م، السنة١، مجلد١، ص٥٣-٧٠.

(2) الواقدي، محمد بن عمر(ت٢٠٧هـ/٨٢٣م)، المغازي، تحقيق مارسدن جونس، مطبعة جامعة أكـسفور، د.ت، ج٢، ص ٧١١.

(3) البلاذري، أحمد بن محمد(ت٢٧٩هـ/٨٩٢م)، فتوح البلدان، تحقيق محمود نصار، دار صـادر، بيـروت ١٩٧٦م، ط١، ص٥٥.

(4) ابن الفقيه، أحمد بن محمد(ت٢٩٠هـ/٨٩٠م)، البلدان، تحقيق يوسف الهـادي، عـالم الكتـب، بيـروت ١٤١٦هـ/١٩٩٦م، ص٨٣.

(5) الحازمي، محمد بن موسى(ت٥٨٤هـ/١١٨٨م)،الأمـاكـن (أو: ما اتفق لفظه وافتـرق مـسماه مـن الأمكنة)، تحقيق حمد الجاسر، دار اليمامة، الرياض، ١٤١٥هـ، ج١، ص٧٧٤.

(6) الفيروزآبادي، المغانم المطابة، ص٤٢٣.

(7) السمهودي، وفاء الوفا، ج٤، ص ٥١٤.

وتوسع ياقوت الحموي في تحديد موقع وادي القرى مع اعتماده على من سبقوه في ذلك إذ يقول: "هو وادٍ كبير بين المدينة والشام، وبين تيماء وخيبر "[١]، وبذلك يكون قد خطا خطـوة مهمة وجادة في هذا التحديد.

ويمكن أن نستنتج حدود وادي القرى من المصادر التاريخية والجغرافيـة بنـاء علـى تحديدهم الأماكن المحاذية للوادي على النحو الآتي:

إن حد وادي القرى من الشمال، هو الخط الفاصل الذي رسمه الجغرافيون، بـين بـلاد الشام وجزيرة العرب، والممتد من أيلة مواجها للحجاز إلى ناحية مدين معارضا لأرض تبـوك حتى يتصل بديار طي، وتسمى تلك الجهات بادية الشام، ومن أهم معالمها الجغرافية ذات أطلاح وذات السلاسل وحسمى جذام[٢] فيما وراء وادي القرى حيث بعث الرسول(ﷺ)بعض سراياه إلى هناك[٣]، ويقع في هذا الحد بادية الجزيرة الممتدة من حد الأنبار إلى بالس، مواجها لبادية الـشام

---

(1) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص ٣٣٨.

(2) حسمى: أرض لجذام بين وادي القرى وبلاد الشام. انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص٤٦٣.

(3) ابن هشام، عبد ا بن عبد الملك(ت٢١٨هـ/٨٣٣م)، السيرة النبوية، تحقيق مصطفى السقا وآخرين، دار أحياء التراث العربي، بيروت، ١٣٧٥هـ/١٩٥٥م، ج٤، ص٧٧٢. الواقدي، المغـازي، ج٤، ص٢٧٢. ابن سعد، محمد بن سعد(ت٢٣٠هـ/٨٤٤م)، الطبقات الكبرى، ط، تحقيق علـي محمـد عمـر، مكتبـة الخانجي القاهرة، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م، ج٢، ص١١٩. الطبري، محمد بن جريـر(ت٣١٠هـ ـ/٩٢٢م)، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل، دار سويدان بيروت، ج٣، ص٢٩،٣٢. ياقوت الحموي، معجم البلدان،ج٢،ص٤٦٣. الزمخشري، محمود بن عمر(ت٥٣٨هـ/١١٤٣م)، الجبال والأمكنة والميـاه، تحقيق إبراهيم السامرائي، دار عمار، عمان، ١٤١٩هـ/١٩٩٩، ط١، ص١١. البكري، معجم ما استعجم، ج٢، ص ٤٤٦-٤٤٧. الحميري، محمد بن عبد المنعم(ت٧١٠هـ/١٣١٠م)، الروض المعطار في خبـر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت،١٩٧٥م، ط٢، ص١٦٤.

على أرض تيماء وبرية خساف إلى قرب وادي القرى والحجر [١]، ويذكر البكري ذلك بوضوح وأن جنوب هذا الخط يقع أرض الحجر ووادي القرى[٢].

ويحد وادي القرى من الجنوب، وادي إضم (الذي يصب به وادي القرى) وخيبر وحرة ليلى الواقعة وراء وادي القرى من جهة المدينة ويطأها الحج الشامي، وعامة منازل بني سليم الممتدة من جنوب وادي القرى وخيبر، إلى شرقي المدينة [٣]. ويفهم من كلام ياقوت والفيروزآبادي وكذلك السمهودي أن وادي الدوم المعترض في شمال خيبر إلى قبلتها، هو الحد الفاصل بين خيبر ووادي القرى [٤]، وهذه الأماكن كلها تفصل بين وادي القرى والمدينة. ومن جهة الشرق تمتد حدود وادي القرى على طول الخط الممتد من تيماء على ديار بني صخر من طي، إلى أرض الجناب (فيما بين خيبر وتيماء)[٥] حتى سَلاح[٦]، وأعراض خيبر [٧].

---

(1) الإصطخري، إبراهيم بن محمد(ت٣٤٠هـ/٩٥١م)، المسالك والممالك، تحقيق محمد جابر، القاهرة، وزارة الثقافة، ١٣٨١هـ/١٩٦١م،ص٢١. ابن حوقل، محمد بن علي(٣٦٧هـ/٩٧٩م)، صورة الأرض، مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٦٧م، ص٢٩-٣٠.الإدريسي، محمد بن محمد(ت٥٦٠هـ/١١٦٥م)، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، ج١، ص ١٥.المقدسي، أحسن التقاسيم، ص٥٥. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢،ص ١٦٦. ابن المجاور، يوسف بن يعقوب(ت٦٩٠هـ/١٢٩١م)، تاريخ المستبصر، مطبعة بريل، ليدن، ١٩٥١م، ص٣٩.

(2) البكري، عبيد ا بن عبد العزيز(ت٤٨٧هـ/١٠٩٤م)، المسالك والممالك، تحقيق أدريان فان ليوفن، أندري فيري، الدار العربية للكتاب، تونس، ١٩٩٢م، ج١، ص١٤٥.

(3) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص٧٦. الجاسر، حمد، أبو علي الهجري وأبحاثه في تحديد المواضع دار اليمامة، الرياض، ١٩٦٨م، ص٢٣١. الهمداني، الحسن بن أحمد(ت٣٣٤هـ/٩٤٥م)، صفة جزيرة العرب، تحقيق محمد بن علي الأكوع، القاهرة، ٢٠٠١،ص٢٤٥.

(4) الحربي، المناسك، ص٢٩١. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص٣٤٣.الفيروزآبادي، المغانم المطابة، ص٤٤٢.السمهودي، وفاء الوفاء،ج٤، ص٥١٤.

(5) الجناب: تعرف اليوم باسم الجهراء. انظر: الزمخشري، الجبال والأمكنة، ص ٦٨.الجاسر، حمد في شمال غرب الجزيرة، دار اليمامة، ١٩٦٠م، ص٥٠١.

(6) سلاح: على وزن قطَاع، أرض واسعة بقرب حرة خيبر لقي فيها بشير بن سعد الأنصاري جمع من غطفان في سريته إلى يمن وجبار. انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان،ج٢، ١٦٤. الجاسر، في شمال غرب الجزيرة ص٥٠٠-٥٠١.

(7) الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص ٢٤٥. البكري، معجم ما استعجم، ج١، ص ٣٢٩. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص١٥

أما من جهة الغرب فيحد وادي القرى البحر الأحمر حيث موانئ وادي القرى وسواحله الحوراء، والعونيد (العويند)[1]، كما يقع غرب وادي القـرى بـلاد مـدين وهـي مـن أرض الشراة [2]، وواحتا شغب وبدا[3]، الواقعتان على طريق الحج القادم من جهات مصر[4].

واتجه الرحالة الغربيون إلى تحديد وادي القرى ومن هؤلاء الرحالة (فـالين) الـذي حاول أن يحدد وادي القرى على أنه ذلك السهل الفسيح الممتد من نجد إلى الوجه من جهة على طول السفح الجنوبي لجبال الحرة(حرة الكريتيم أو العويرض)، ونحو داخل الصحراء من الجهة الأخرى في اتجاه جنوبي شرقي، وأن رأس هذا الوادي هو منطقة الحِجر، وفمه يقع على ساحل البحر الأحمر مابين مدين وينبع؛ أي في الوجه على ما هو محتمل[5]، ويبدو أنه قصد بنجد تلك الأودية والسهول الممتدة من حرة ليلى وحرة بني سليم نحو الشرق التي تعرف بنجد العليـا[6]، ونجد العليا هي مما يلي الحجاز وتهامة[7]، ومثلما يبدو واضحا أن فالين عد وادي إضم جـزءا من وادي القرى.

ويتوسع الرحالة (تشارلز دوتي)[8] كثيرا في تحديد وادي القرى عما ذكره (فالين)، حيث يقول: إن وادي القرى - الذي ذكر أن الأهالي يطلقون عليه اسم الديدبان - عبارة عـن تلـك الأرض المجوفة التي تبدأ من العلا إلى المدينة المنورة، وأنه ليس واديا بمعنى الكلمة، بل إنـه عبارة عن مجارٍ مائية جافة لواديين ينحدران ويلتقيان عند المنتصف، وهما على وجه التحديـد:

---

(1) ابن الفقيه، البلدان، ص ٦٣. البكري، المسالك والممالك، ج١، ص٩٧، ص ١٤٦. الإصطخري، المسالك والممالك، ص٢٠.المقدسي، أحسن التقاسيم، ص ٢٣. الحميري، الروض المعطار، ص٢٠٥.

(2) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص٥٧. ابن حوقل، صورة الأرض، ص ٢٧.

(3) البكري، معجم ما استعجم، ج١، ص١١. الحازمي، الأماكن، ج١، ص٥٨٤. يـاقوت الحمـوي، معجـم البلدان، ج١، ص٣٥٦-٣٥٧، وج٣ ص٥٢. البلادي، عاتق بن غيث، معجم معالم الحجـاز، دار مكـة للنشر، مكة المكرمة، ١٣٨٩هـ/١٩٧٩م، ج١، ص١٨٧-١٨٨.

(4) الحربي، المناسك، ص٤٠٠. ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص١٢٩.

(5) فالين، جورج أوغست، رحلات فالين إلى جزيرة العرب، ترجمة سمير سليم شبلي، دار الـوراق للنـشر، ط١، ٢٠٠٨م، ص ١٨٤، ص٢٤١.

(6) البكري، معجم ما استعجم، ج١، ص ١٤.

(7) الحسن الأصفهاني، بلاد العرب، ص٣٣٦.

(8) تشارلز مونتاجو دوتي، رحالة وشاعر إنجليزي، عاش مابين (١٨٤٣ – ١٩٢٦ م) قام بأهم رحلة للجزيرة العربية، أمضى نحو سنتين في شمال غرب الجزيرة، ما بين(١٨٧٦- ١٨٧٨م)، يعد من أهـم الرحالـة الأوربيين في العصور الحديثة الذين زاروا المنطقة وكتبوا عنها.

وادي الجزل، الذي ينحدر قادما من المنطقة الشمالية، ووادي الحمض (وادي إضم) الذي ينحدر نازلاً إلى المدينة، قادما من الحناكية(1).

ويرى الجاسر الذي يتفق مع (دوتي) - فيما يبدو - بأن وادي القرى عبارة عن عـدة أودية تصب في وادي الحمض (وادي إضم قديماً) وليس واديا واحدا، وقد رأى أن يضع حدودا لوادي القرى وفقًا للمصادر الأولية، الذي حدده على النحو التالي، مـن الـشمال بـأعلى وادي الحجر، ومن الجنوب بأطراف حرار خيبر، ومن الشرق: بمنطقة تيماء وما يليها، ومن الغرب، ببلاد مـدين الموالية للبحر الأحمر(٢).

ويلاحظ مما سبق أن محاولات تحديد وادي القرى قد تفاوتت بين الدقة والتعميم، ولعل الواقدي وياقوت الحموي؛ كانا الأقرب والأكثر جدية في تحديد الموقع ورسم الحدود مـن بـين الجغرافيين من الناحية الجغرافية.

وأخيرا يمكن القول – بحسب ما اتضح من المـصادر-: إن وادي القـرى هـو تلـك المنطقة الممتدة ما بين حِرار خيبر، ووادي إضم جنوبا، حتى بادية الشام شمالاً، ومـن تيمـاء وديار طي، وأرض الجناب شرقًا، حتى البحر الأحمر وأرض مدين، وواحتي شغب وبدا غربـا أي أن هذه المنطقة تمثل ما عرف تاريخيا بمنطقة وادي القرى وحدودها في القرون الإسـلامية الأولى، حيث شكّلت منطقة شبه متماسكة ومتشابهة من الناحية الجغرافية.

---

(1) دوتي، تشارلز، ترحال في صحراء الجزيرة العربية، ترجمة صبري محمد حسن، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٥، ج١، مجلد١، ص ٢٩٦ – ٢٩٧.

(2) الجاسر، في شمال غرب الجزيرة، ص ٢٢٣. وانظر تعليقه في كتاب الحازمي، الأماكن، ج٢، هامش رقم (٢)، ص ٧٧٤.

المعالم الجغرافية

يعد وادي القرى جزءا من التكوين الجيولوجي لهضبة الحجاز الممتدة من حرة حسمى شمالاً، حتى خيبر جنوبا [١]، وقد تشكلت تضاريس وادي القرى عبر أزمان جيولوجية مختلفة تشكلاً أعطاها الشكل التضاريسي الحالي، فظهرت الجبال الرملية، والبركانية الكبيرة، الممتدة على جانبي الوادي من الشرق والغرب، والحِرار والهضاب، وقد ظهرت الشقوق الكبيرة التي شكلت على المدى الطويل شبكات ومجاري سيول وادي القرى[٢]. ويمكن الشروع بالحديث عن هذه التكوينات الطبيعية، أو تضاريس وادي القرى على النحو التالي:

الجبال

تعد جبال وادي القرى جزءا من سلسلة جبال السراة والممتدة من قعر اليمن حتى تبلغ أطرف بوادي الشام [٣].وتتحول هذه السلسلة عند وادي القرى إلى تكوينات متنوعة أهمها:

أ- **الجبال الرملية:** وهي سلسلة من الجبال الطولية والصخور الرملية متوسطة الارتفاع والمترسبة على شكل طبقات سفلية للوادي، حيث تمتد على جانبي الوادي من الشرق والغرب، وتتركّز هذه الجبال في الشمال مابين قرح (المابيات)، وحرة الكريتيم (عويرض) في الشمال الغربي، ويزداد ارتفاع معظمها على ١٨٠٠م فوق سطح البحر [٤]، وتمتاز هذه الجبال أو الصخور الرملية بأنها ترتبط ارتباطًا كبيرا بالمياه الجوفية، حيث تعد من أهم الخزانات أو المستودعات الأرضية للمياه الجوفية [٥].

---

(1) الشريف،عبد الرحمن صادق، جغرافية المملكة العربية السعودية، ط٦، دار المريخ الرياض١٤٢٧هـ/٢٠٠٦، ج١، ص ٧٥.

(2) القهيدان، تركي، وادي القرى، مجلة الفيصل، الرياض،عدد٣٥٠، شعبان١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٦، ص٤٠-٤٢.

(3) البكري، معجم ما استعجم، ج١، ص٨. الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص١١٦. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص٥٥. الشريف، جغرافية المملكة ،ج١، ص٧١-٧٢.

(4) الفقير، بدر عادل، السياحة في محافظة العلا، ط١، جامعة الملك سعود، مركز بحوث كلية الآداب، الرياض١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م، ص٢٨.

(5) أبو العلا، محمود، جغرافية شبة الجزيرة العربية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٩٥م ،ص٢٣. الشريف، جغرافية المملكة، ج١، ص٦٧.

ب- **الجبال ذات الصخور النارية المتحوّلة**[1] : كالجرانيت والشست والإردواز والحجر الأخضر، وتنتشر هذه الجبال في الجهات الجنوبية من وادي القرى عند السقيا والرحبة حتى ذي المروة جنوبا، ويتراوح ارتفاعها مابين ١١٠٠م إلى ١٣٥٠م فوق مستوى سطح البحر[٢] حيث تفصل بين وادي القرى وسواحل البحر الأحمر، ومن أهم الجبال في وادي القرى:

جبال الأثالب: بمنطقة الحِجر، حجر ثمود (مدائن صالح) شمال وادي القرى، وهي مجموعة من الجبال الرملية التي يراها الناظر من بعيد فيظنها قطعة واحدة فإذا توسطها وجدها متفرقة يطوف بكل واحد منها الطائف[٣]، وهي عبارة عن إقليم صخري قاحل تغطيه تلال منعزلة تسمى الأثالب، وتظهر الكثبان الرملية هنا وهناك[٤]، إذ يصل ارتفاعها إلى ٧٨١م فوق سطح البحر[٥].

ويقع عن يسار الحجر، فيما بينها وبين البحر جبل شيبان، الذي ينبت فيه شجر اللبان والحبة الخضراء، وينبت النخيل –أيضاً- في مواضع كثيرة، وفيها معادن الصفر والذهب والفضة، فأما المعادن التي فيها فهي للكل، وأما ما سوى ذلك فلبلي وسعد ا حيين من قضاعة[٦].

وإلى الشمال الشرقي من وادي القرى تقع جبال وهضابها وهما عرادات (جمع عردة) في صمد عذرة، بين الوادي وبين تيماء، نصفٌ بينهما[٧]، التي تعد الحد الفاصل بين وادي القرى وتيماء، وقيل: العلا، وتيماء[٨]، وجبل صارة في صمد عذرة أيضا، بين وادي القرى

---

(1) السيد رجب، عمر الفاروق، الحجاز، دار الشروق، جدة، ط١، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م، ص١١٤-١١٥.

(2) المملكة العربية السعودية، وزارة البترول والثروة المعدنية، إدارة المساحة الجوية، الرياض، خريطة مقياس ١/ ٠٠٠، ٢٥٠.ورقم، ٦ – ٣٧ إن جي.

(3) الإصطخري، المسالك والممالك، ص٢٤. ياقوت، معجم البلدان، ج٣، ص55.

(4) موسل، لويس، شمال الحجاز، ترجمة عبد المحسن الحسيني، مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٥٢م، ص ١١٠.

(5) وزارة البترول والثروة المعدنية، خريطة مقياس ١/ ٢٥٠،٠٠٠.

(6) الحسن الأصفهاني، صفة بلاد العرب، ص٣٩٨. ياقوت، معجم البلدان، ج٣، ص٩.

(7) الجاسر، حمد، أبوعلي الهجري وأبحاثه في تحديد المواقع، ص٣٣٩. الجاسر، في شمال غرب الجزيرة، ص٥٦٢–٥٦٣.

(8) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص ٩٩.

وتيماء[١]، وجبل خطمة، وقيل: جبال شرق الوادي، لها أودية تـصب فـي وادي القـرى مـن الأسفل[٢]، كما قيل إنها هضاب بين حرة النار وحرة ليلى مما يلي وادي القرى[٣].

وتقع جنوب شرق وادي القرى، جبال بركانية تعرف اليوم باسم جبال الـسودة، التـي يتراوح ارتفاعها ما بين ٩٠٠ م وحوالي ١١٠٠ م فوق سطح البحر، تخترقها بعـض الأوديـة والشعاب التي تصب في وادي القرى، وجبال نهر ذات الصخور النارية المتحولة جنـوب وادي القرى وبأسفلها من جهة الغرب تقع مدينة الرحبة، يتراوح طولها مابين ١١٨٣م و١٣٥٥م فوق مستوى سطح البحر[٤].

ومن الجبال المشهورة في وادي القرى – أيضاً- جبل ذهبان، وهو من جبال جهينـة، الذي يقع أسفل من ذي المروة بينها وبين السقيا[٥]، وجبل عناب بين السقيا وذي المروة أيضاً[٦]. وجبل ذهبان جبل عريض له عرف، وفيه يقول الشاعر كُثير بن عبد الرحمن المعروف بكثيـر عزة[٧] :

وَأعرَضَ من ذهبان معرَورف الذرى   تَرَبع منـه بالنطـاق الحَـواجِر

وقد شكّلت هذه الجبال لوادي القرى نوعا من الحماية، وحـصرت – كـذلك- مـرور القوافل التجارية القديمة من خلاله ليصبح من أهم الطرق البرية قديما، فضلاً عـن أنـه أفـاد الأهالي في بناء البيوت والأسوار والمعابد والمساجد ومواقع تصريف المياه داخليا وخارجيا [٨].

(1) الزمخشري، الجبال والأمكنة، ص١٦٠ – ١٦١. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص٣٨٨.

(2) الحسن الأصفهاني، بلاد العرب، ص ٤٠٠. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج،٢ ص٣٧٩.

(3) الفيروزآبادي، المغانم المطابة، ص ١٥٢.

(4) وزارة البترول والثروة المعدنية، خريطة مقياس ٢٥٠،٠٠٠/١.

(5) البكري، معجم ما استعجم، ج٢، ص ٦١٧. الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص٩.

(6) السمهودي، وفاء الوفاء، ج١، ص ٣٢٦.

(7) كُثير بن عبد الرحمن، المعروف بكثير عزة(ت ١٠٥هـ/٧٢٤م)، الديـوان، ط١، شرح قدري مـايو، دار الجيل، بيروت ١٤١٦هـ/١٩٩٥م، ص١٤٣.

(8) العمير، حفريات مدينة قرح، ص٢٣٣.

الأوديــة

تعد الأودية من أبرز المناطق الخصبة في الجزيرة العربية؛ لوجود الماء بها قريبا مـن سطح الأرض، وقد تخرج على وجه الأرض بسهولة[(١)]، وتعود خـصوبة أرض وادي القـرى وازدهار الزراعة فيه؛ إلى كثرة الأودية التي تصب فيه، حيث تنتشر في وادي القرى مجموعـة كبيرة من الأودية، ومعظمها أودية طولية متجهة من الشمال إلى الجنوب، إذ تمتاز هذه الأوديـة بسيولها الفيضية الكبيرة ومصاطبها الأفقية التي تصلح للزراعة والرعي[(٢)]، وتزود هذه الأوديـة وادي القرى بما يحتاج إليه من المياه، وتسهم في إيجاد مراكز سكنى واستقرار للقبائل والـسكان وقيام المدن والقرى على ضفاف الوادي.

ويجري وادي القرى في مناطق ذات صخور رسوبية، وهي أقل حدة في تضاريسها من مجاري الوديان ذات الصخور الجرانيتية، فقد كانت روافده ذات مجارٍ منبسطة وواسعة، تتحرك فيها المياه على اتساع متجهة مع ميل الأرض حتى تنتهي بين أحضان الرمال[(٣)]، الأمـر الـذي جعل الأرض صالحة للزراعة، ومن أهم أوديته:

وادي الحجر (مدائن صالح) وهو رأس وادي القرى[(٤)]، حيث يتغذى من أوديـة كبيـرة وكثيرة من أهمها: وادي الكظر، ووادي المرارة، ووادي السريط، ووادي ثربة، ووادي حوضى الذي مر به الرسول(ﷺ) في طريقة إلى غزوة تبوك، وبنى في مصلاه مـسجدا[(٥)]، ويعـد وادي الحجر من أهم الخزانات المائية الجوفية في الجزيرة العربية، حيث يتراوح مـستوى منـسوب المياه في بعض منكشفاته ما بين ٢٥ إلى ١٠٠م[(٦)].

---

(1) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب، ج٧، ص١٧٦.

(2) الفقير، بدر عادل، المدن والريف في المملكة العربية السعودية " مدينـة العـلا "، الجمعيـة الجغرافيـة السعودية، جامعة الملك سعود، الرياض، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م، ص٦.

(3) أبو العلا، جغرافية شبة جزيرة العرب، ص ٩٩.

(4) البلادي، معجم معالم الحجاز، ج٢، ص ٢٢٨-٢٢٩.

(5) ابن هشام، السيرة، ج٤، ص١٧٤. الحازمي، الأماكن،ج١، ص ٣٨٦ - ٣٨٧. ياقوت الحمـوي، معجـم البلدان، ج٢، ص ١٢٨. الفيروز آبادي، المغانم، ص١٢٣.

(6) الفقير، المدن والريف، ص١١.

ثم وادي الجزل، وهو وادٍ عظيم، إذ سمي بهذا الاسم لجزالته، ويعد من ابـرز روافـد وادي القرى وأكبرها، حيث يمتد متاخما للحافة الغربية لحرة الكريتيم (حرة العـويرض) الـذي يقترن مع وادي القرى عند السقيا، ويكونا واديا واحدا، وتجتمع مع أودية الحجاز الأخرى في وادي إضم (الحمض حاليا) الذي يصب في البحر الأحمر[١]، ويتغذى وادي الجزل مـن أوديـة تأتي من حرة الكريتيم، وحرة الرحاة أو الرهاه بحدود حسمى من أبرزها: الـضلفة والمـاوين والنقيب، الفارعة، الضريس، حماطى، وضمر وجيلة وعورش، وغيرها من الروافد[٢].

ومن أودية وادي القرى – أيضا- وادي شَلال: بفتح أوله، على بناء فَعَال بين الحِجـر والعلا، وهو من أودية بني ضنّة من بني عذرة[٣]، حيثما توجد به المخارج الطبيعية للمياه مـن عيون وينابيع[٤]، ووادي بغيض من الأودية الرعوية في وادي القرى[٥]، ووادي حاكـة: وقيـل حاكة، من أودية عذرة بوادي القرى[٦]، ووادي أضاعي: الذي يعرف اليوم بوادي ضاع، ويقـع شمال غرب العلا، وهو أحد فروع وادي الجزل حيث ذكره ياقوت بأنه وادٍ من بلاد عذرة[٧].

ومن الأودية –أيضاً- حيث وادي دَنَن (بفتح المهملة ونونين أولاهما مفتوحة) وهـو وادٍ يصب في وادي القرى من الشمال[٨] حيث يعرف بوادي عكمة –أيضا- نسبة لجبل عكمة، ولعله الذي ذكره ياقوت الحموي فقد ذكر وادي دنن، بيد أنه لم يحدد موقعه[٩]، ووادي المعتدل يخترق

---

(1) ابن شبة، تاريخ المدينة، ج١، ص ١١٠. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص٢١٤-٢١٥. الـبلادي، معجم معالم الحجاز،ج١،ص١١٢-١١٣.

(2) الجاسر، حمد، رحلة إلى العلا، مجلة العـرب، ج٣ و ٤، الـسنة١٢، ١٣٩٧هـ ـ/ ١٩٧٧م، ص ١٦٣-١٦٤.

(3) البكري، معجم ما استعجم،ج٣، ص ٨٠٧. الجاسر، رحلة إلى العلا، ص ١٦٢.

(4) الفقير، المدن والريف في المملكة، ص ١١.

(5) جميل ابن معمر(ت٨٢ هـ/٧٠١م)، الديوان، جمع وتحقيق أميل يعقوب، دار الكتـاب العربي،بيـروت، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م، ص١٢.

(6) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص ٢٠٧، ص ٣٣٨.

(7) ياقوت الحموي، المصدر نفسه، ج١، ص٢١٤. الجاسر، رحلة إلى العلا، ص١٧٤.

(8) البلادي، معجم معالم الحجاز، ج٣، ص ٢٣٤.

(9) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص٤٤٦، ص٤٧٨.

السلسلة الجبلية الشرقية لوادي القرى ويقسمها قسمين[١]، ويقع أسفل منه وادي الـصعيد، وهـو صعيد قرح[٢].

وإلى جانب هذه الأودية توجد مجموعة أخرى من الأودية التي تنحـدر مـن الـسلاسل الجبلية والحِرار المحيطة بوادي القرى مثل: وادي قرح، وهو من الأودية التي تصب في وادي القرى[٣]، وعنده قامت مدينة " قرح " عاصمة الوادي حتى القـرن الـسادس الهجـري، ووادي مطران، حيث يقع إلى الشرق من مدينة قرح عند سهل مطران ويعرف بمطـران الأسـود، [٤] حيث يصب في وادي الجزل أسفل من السقيا، وهو منسوب إلى ليلى بنت بلي بـن عمـر بـن الحاف بن قضاعة[5]، ووادي غُلّز، ووادي نُعضة، ويقعان بين وادي نخلى ووادي مطـران [٦]، ووادي عرنان: وهو وادٍ كثير الرمل تغوص فيه أخفاف الإبل، إذ يتصل بوادي القرى مباشـرة، وهو وادٍ كثير الوحوش ويتخذ مراعي للإبل[٧].وتصب هذه الأودية في وادي القرى، ثم تلتقي مع أودية أخرى مثل: وادي عمودان، ووادي العيص، وأودية خيبر، وأودية المدينة، التي تصب في وادي إضم الذي يصب في البحر الأحمر بين الحوراء والوجه[٨].

وتكمن أهمية هذه الأودية في كثرتها وإسهامها على نحوٍ كبير وفعال في دعم المخزون المائي، وخصوبة الأرض في وادي القرى، واجتذاب الإنسان للمنطقة، بحيث ساعدته في اختيار المكان والاستقرار فيه، مما أدى إلى استغلال الثروات الطبيعية وبالتالي أدى إلى قيـام كيانـات حضارية متتالية شهدت تطورا كبيرا في شتى المناحي والجوانب الحضارية المتنوعة.

الـحـرات

تنتشر في شمال الجزيرة العربية كثير من المسكوبات البركانية ومصهورات اللافا التي تمتد بامتداد مرتفعات السروات من الشمال إلى الجنوب[٩]، التي يطلق عليها اسـم " الحـرات "

---

(1) الجاسر، رحلة إلى العلا، ص١٦٢، هامش (١).

(2) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص ٤٠٨.

(3) المصدر نفسه، ج٢، ص ٤٢٩.

(4) الحسن الأصفهاني، بلاد العرب، ص ٤٠٠. البكري، معجم ما استعجم، ج١، ص٣٣٠.

(5) البكري، معجم ما استعجم، ج١، ص ٣٣٠.

(6) الجاسر، أبو علي الهجري وأبحاثه، ص٣٥١.

(7) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص ٢١٩. الجاسر، في شمال غرب الجزيرة، ص٥٠٠.

(8) الجاسر، حمد، بلاد ينبع لمحات تاريخية وانطباعات خاصة، دار اليمامة، الرياض، د.ت، ص ١٧٠.

(9) أبو العلا، جغرافية شبة جزيرة العرب، ص ٢٤.

وهي عبارة عن أراضٍ ذات حجارة سوداء نخرة كأنها أحرقت بالنار[1]، ويوجد في وادي القرى حرتان من هذه الحرار المشهورة في جزيرة العرب هما:

أ- حرة كرتوم أو الكريتيم[٢]: أو حرة بهل الثانية، وتُعد امتدادا لحرة الرحا[٣]، وهـي هضبة مستوية تتكون من مسكوبات بركانية خرجت من فوهات البراكين، ثم جمدت على هيئـة كتل صخرية مترامية الأطراف، تتفرع منها ألسن وأطراف كثيرة، وتتوغل بين الأودية والشِعاب حيث تبلغ مساحتها بحدود ٥٠٠٠ كم، وتمتد من الجنوب الشرقي إلى الشمال الغربـي بطـول يصل إلى ١٤٠كم، وعرض يصل إلى٤٠كم تقريبا[٤]، ويصل ارتفاعها إلى أكثر من ٢٠٠٠ قدم عن مستوى سطح البحر، وتعد من أكبر الحِرار في شبة الجزيرة العربية، ذكرهـا أبـو علـي الهجري حرة بهل الثانية، وهي اليوم لبلي وآخرها حـسمى جـذام[٥]، ونـسبها يـاقوت إلـى عذرة[٦]. ب- حرة سلامان: وهي حرة بهل الأولى[٧]، حيث تقع جنوب وادي القرى، أسفل مـن الرحبة، جنوب غرب الوادي، بينها وبين حرة ليلى مقدار أربعة أيام[٨]، وهي أقل مـساحة مـن حرة الكرتوم، حيث تبلغ مساحتها ٤٠٠كلم مربع، وتماثل حرة الكرتوم من ناحية الارتفـاع[٩]. وتكمن أهمية هذه الحرار، بالنسبة إلى وادي القرى بأن، من خلالها تتشقق الكثير مـن الوديـان والشِعاب، التي تصب في وادي القرى، حاملة معها الترب الغنية ذات الخـصوبة العاليـة، لـذا

---

(1) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص ٢٤٥.

(2) الكرتوم، وقيل الكريتيم: هو الصغير من الحجارة: تعرف اليوم باسم حرة العوارض أو العـويرض وهـو الأشهر، وحرة المواهيب نسبة إلى المواهيب من قبيلة بلي، وتعرف بحرة بلي نسبة لقبيلة بلي.

(3) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص ٢٤٧. الجاسر، المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية، شمال المملكة ق١، دار اليمامة، الرياض،١٣٩٨هـ/١٩٧٨م، ص٤١٤. الشريف، جغرافية المملكة، ص٦٥.

(4) الفقير، المدن والريف، ص٦.

(5) الجاسر،أبو علي الهجري وأبحاثة. ص ٢٣١.

(6) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص٢٤٧.

(7) الجاسر، أبو علي الهجري وأبحاثة. ص ٢٣١.

(8) المرجع نفسه. ص ٢٣١.

(9) الفقير، السياحة في العلا، ص٣٠.

نجحت الزراعة بوادي القرى على نحو كبير لا سيما زراعة النخيل والأشجار الأخرى [١]، وقد اشتهرت مناطق الحرار بالخصب والنماء وكثرة المياه لا سيما حرار المدينة [٢].

الأبـارق

جمع برقاء، والبرقاء: عبارة عن حجارة ورمل مختلطة، وكذلك البرقـة، قـال ابـن الأعرابي -حسب ما أورده ابن منظور-: الأبرق جبل مخلوط برمل، والبرقة والبرقـاء: أرض غليظة مختلفة بحجارة ورمل، وجمعها برق وبراق، قال الأصمعي: الأبرق والبرقاء غلظ فيـه حجارة ورمل وطين مختلطة[٣].

وتكثر البرق في وادي القرى علي هيئة جبال منفردة ومتجاورة تعتلي سفوحها الرمـال الذهبية والبيضاء[٤]، مثل برقة عسعس[٥]، التي ذكرها الشاعر جميل بن معمر العذري إذ يقول:

جعلـوا أقـارح كلهـا بيميـنهم وهضاب برقة عسعس بـشمال

وهناك برقة صادر، ذُكِرَ أنها من منازل بني عذرة[٦]. قال النابغة يمدحهم:

وقد قلت للنعمـان يـوم لقيتُـه يريد بني حنٍ ببرقـة صـ ـادر

كذلك برقة الصراة[٧]. قال الشاعر الحجاج العذري:

أحبك ماطاب الشراب لـشاربٍ وما دام في برق الصراة وعور

وهناك أبرق الحنان، وأبانا من ديار بني فزارة بوادي القرى وفيه ماء لهم[١].

---

(1) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص٨٤. الإصطخري، المسالك، ص٢٣. ابن بطوطـة، محمـد بـن عبـد ا اللواتي(ت٧٧٩هـ/١٣٧٧م) رحلة بن بطوطة " تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، دار إحياء العلوم، بيروت، ١٩٨٧م، ج١، ص ٥١.

(2) محمدين، محمد محمود، الزراعة والري في الحجاز في العصر النبوي وعصر الخلفاء الراشدين، دراسات تاريخ الجزيرة العربية، الكتاب الثاني، جامعة الملك سعود، الرياض، ١٤٠٤هـ، ج٢، ص٣١٦.

(3) ابن منظور، لسان العرب، مادة (برق)، ج١، ص٢٢٩.

(4) الفقير، السياحة في العلا، ص ٢٩.

(5) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص٣٩٦.

(6) المصدر نفسه، ج١، ص٣٩٥.

(7) المصدر نفسه، ج١،ص ٣٩٦.

الـدارات

وهي كل رمل مستدير، في وسطه فجوة، أو ما أحاط بالشيء، ومنه دارة القمـر التـي حوله، وهي الهالة، وجمعها دور[٢]، وتنتشر الدارات على نحو واسع وكبير فـي وادي القـرى مثل: دارة قرح[٣]، التي ذكرها الشاعر:

حبسن في قرح وفي داراتهـا   سبع ليـالٍ غيـر معلوفاتهـا

ودارة هضب، ويقال لها دارة هضب القليب[٤]، وغيرها من الدارات المنتشرة في وادي القرى.

من خلال العرض السابق، يتّضح أن وادي القرى منطقة متنوعة التضاريس مـا بـين الجبال والسهول والأودية والحرات والهضاب وغيرها، وكل هذا له التأثير الإيجابي في الحيـاة الاقتصادية في المنطقة.

---

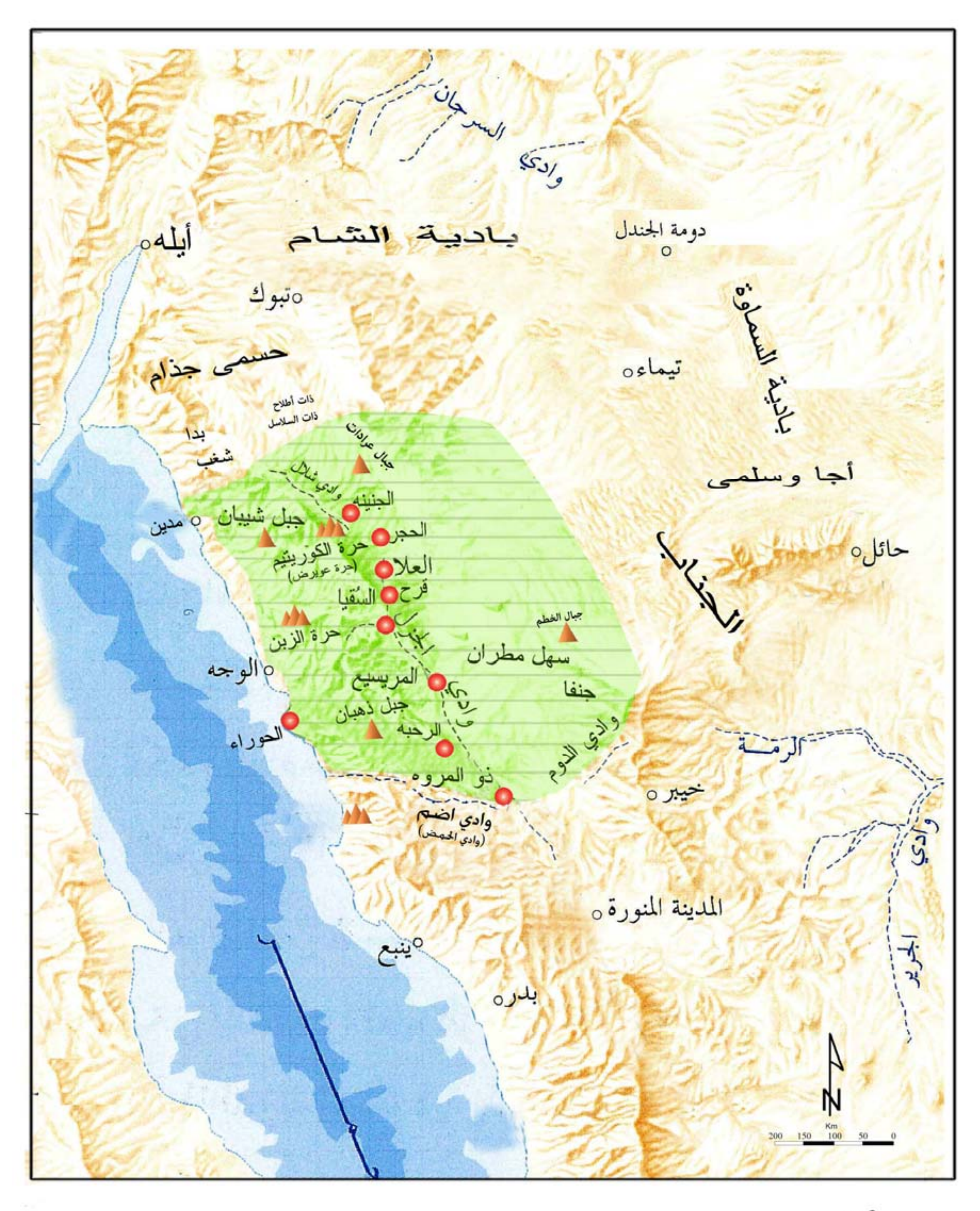
(1) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص ٦٧. ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد(ت٨٠٨هـ ـ/١٤٠٥م)، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر، ط٤، دار أحياء التراث، بيروت، ج٢، ص ٣٠٦.

(2) ابن منظور، لسان العرب، مادة (دور)، ج٤، ص ٤٣٨.

(3) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص ٤٢٩.

(4) المصدر نفسه، ج٢، ص ٤٢٩.

خريطة توضح جغرافية و حدود منطقة الدراسة



المصدر : من عمل الباحث بالاعتماد على المصادر الاولية

المنـاخ

إن الموقع الجغرافي لوادي القرى، وطبيعة التـضاريس المتنوعـة بـين المرتفعـات والهضاب إلى الأودية المنبسطة، ووقوعة بين دائرتي عرض ١٦° و ٣٢° الداخلة ضمن النطاق الجغرافي الصحراوي الحار والجاف، كل هذا أدى إلى تباين المناخ في هذا الوادي، وهذا لـيس للوادي حسب بل لمعظم الجزيرة العربية، الذي يزيد فيه متوسط الحرارة السنوية على ٢٥°م[١].

ويعد وادي القرى مناخياً جزءا من أقليم الحجاز، وهو إقليم شديد الحرارة فـي معظـم أجزائه عدا مرتفعات السروات فإن هواءها معتدل[٢]، إلا أن قرب وادي القـرى مـن الـساحل الشمالي الغربي للبحر الأحمر جعله قادراً على إيصال مؤثرات بحريـة تلطـف مـن درجـة الحرارة، التي من خلالها تعمل على تقليص المدى الحراري السنوي [٣].

والمرتفعات التي تسيطر على معظم سطح وادي القرى (وادي العلا) التي تـصل إلـى أكثر من ٢٠٠٠متر فوق سطح البحر، تعمل على إيجاد مناخات متعددة ومتمايزة حتى لو كانت في مساحات قليلة العرض بين مدن الوادي وقراه الواقعة في وسط وادٍ جبلي وبـين المنـاطق المحيطة بها [٤].

ومع أن مظاهر المناخ الصحراوي تبقى هي السائدة في وادي القـرى، إلا إنـه يتـأثر بتحركات الكتل الهوائية القادمة من البحر المتوسط في فصل الشتاء، المتجهة شـرقًا والمحملـة بنسبة عالية من الرطوبة، غير أنها لا تصل إلى تلك المنطقة إلا وقد فقدت معظم رطوبتها بسبب طول المسافة، وتعرضها للهواء الساخن في تلك المناطق، مع ذلك قد تؤدي إلى سـقوط كميـة محدودة من الأمطار سنويا في هذا الفصل [٥].

وتتصف أمطار وادي القرى بالتفاوت الكبير من حيث الكمية والزمن، نظرا للتّغيـرات المناخية الجافة وتكون الأمطار في وادي القرى مع بداية شهر أكتوبر من كل عـام، وتتـراوح كمياتها ما بين ٥ - ١٠ ملم، وقد ترتفع لتصل إلى مابين ٤٥-٥٠ ملم خلال شهر أبريل، ولكنها

---

(1) الشريف، جغرافية المملكة، ص ٨٦. أبو العلا، جغرافية شبة جزيرة العرب، ص ٦٣. كحالة، عمر رضا جغرافية شبه جزيرة العرب، دمشق، مطبعة الترقي، ١٩٤٥، ص٢٥.

(2) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص٩٥.

(3) الفقير، السياحة في العلا، ص ٣٣.الشريف، جغرافية المملكة، ص ٨٨.

(4) الفقير، السياحة في العلا، ص ٣٣. الشريف، جغرافية المملكة، ص ٨٧.

(5) السيد رجب، الحجاز، ص ١٢٧.

تنخفض فجأة بعد ذلك وتغيب خلال شهور الصيف (مايو وأغسطس) وأوائل فصل الخريـف[١]، وهي أمطار ناتجة عن السحب الركامية الناجمة عن توغل المنخفضات الجوية القادمة من البحر المتوسط إلى تلك المناطق، والتي تعد بمثابة منطقة الظل لخصائص مناخ البحر المتوسط غربا، بالرغم من ظهورها على نحوٍ باهت[٢].

وتنهمر الأمطار بغزارة شديدة في بعض الأوقات حتى تعجز الأوديـة عـن اسـتيعابها فتحدث فيضانات قد تكون مدمرة، وتهدد القوافل والمدن والممتلكات وتأتي بالخسائر الفادحـة[٣] حتى في العصر الحديث حيث كان الأهالي يؤرخون بمثل هذه الكوارث.

وفي فصل الشتاء، وأوائل الربيع تبدأ التيارات الهوائية الرطبة نسبيا، وتكـون معتدلـة الحرارة وقادمة من البحر الأبيض المتوسط لتحل محل الكتل الهوائية الجافة، ومع ذلك تعد هذه التيارات خفيفة وباهتة، وتُؤدي إلى سقوط أمطار من النوع الإعصاري البحر متوسطي[٤]، وفي فصل الشتاء تعتدل الخصائص المناخية الأخرى للوادي، وتنتعش المراعي في هذا الفصل فـي مواسم المطر الجيدة خاصة، وتنتعش معها حركة الرعي والقطعان[٥].

أما درجات الحرارة في وادي القرى، فمن الملاحظ أنهـا تتفـاوت بـين المنخفـضات والمرتفعات، إذ ترتفع درجات الحرارة طيلة فصل الصيف لا سيما في بطن الوادي لتصل إلـى ما بين٤٠° و ٤٢° م، وتشتد الحرارة في جهات ذي المروة[٦]، أما بالنـسبة إلـى المرتفعـات الشمالية والغربية المحيطة بالوادي فتكون معتدلة وقد تصل إلـى ١٣°م[٧]، وتـنخفض درجـة الحرارة طيلة فصل الشتاء، حتى تصل إلى ٧°م في المنخفضات، وتصل إلى أقل من ١°م فـي المرتفعات وربما تتساقط الثلوج على بعض قمم الجبال المحيطة، مثل جبل الورد الـذي يـصل ارتفاعه إلى ٢٠٨٢م[٨]، وتصل سرعة الرياح في منطقة الوادي خصوصا الشمالية منها إلى نحو ٩كم في الساعة[١].

---

(1) السيد رجب، الحجاز، ص١٣٧. الفقير، المدن والريف، ص١٧.

(2) السيد رجب، الحجاز، ص ١٢٤. الفقير، المدن والريف، ص ١٧.

(3) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب، ج١، ص ٢١٥. الشريف، جغرافية المملكة، ص ١٠٨.

(4) السيد رجب، الحجاز، ص١٢٥.

(5) المرجع نفسه، ص ١٢٥.

(6) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص ٨٣.

(7) الشريف، جغرافية المملكة، ص٩٠.

(8) الفقير، السياحة في العلا، ص ٣٦.

الميـاه

يلعب الماء دورا رئيسا في حياة الإنسان واستقراره، وعليه تتوقف حياته ومنافعه، قـال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [٢]، ومعلوم أن الجزيرة العربية تفتقر بـصفة عامة إلى المجاري المائية الدائمة كالأنهار؛ لذا كان للأمطار أهمية كبرى في حياة القبائـل فـي الجزيرة العربية، بل العلاقات بين القبائل العربية، حددتها بالدرجـة الأولـى حـاجتهم الملحـة للمرعى والماء، فغالبية الحروب والأيام التي قامت بين العرب في جزيرتهم كان دافعهـا الأول التنافس على الماء والمرعى[٣].

ويلاحظ أن لأسماء القرى في وادي القرى علاقة كبيرة بالماء، ومن ذلك مثلاً: (قـرح) من القراح وهو الماء العذب، و(السقيا) من السقاية، و(الرحبة) من رحاب الوادي ومستنقع المياه فيه؛ لذا فقد أدى الماء دورا كبيرا في قيام هذه القرى، ونظرا لكون الأمطار فـي وادي القـرى أمطارا شتوية موسمية غير كافية للزراعة، فقد اتجه السكان إلى حفر الآبـار والعيـون وحفـر القنوات، والكظائم التي ساعدتهم على استصلاح الأراضي الزراعية[٤].ومن أهم مصادر الميـاه في وادي القرى ما يلي:

الآبـار

وهي الحفائر التي تحفر في الأرض حتى ينبع الماء من أسفلها ويرتفع فيها ارتفاعـا لا يبلغ أعلاها[٥]، وعادة ما تنتشر الآبار في بطون الأودية، وعلى ضفافها لقرب المياه فيها، وتوجد الآبار والعيون بكثرة في وادي القرى، ويبدو أن نشأة بعض المحطات التجارية أو قرى الـوادي لها علاقة ببعض هذه الآبار. فتوفُّر المياه السطحية في وادي القرى قد أسهم في نـشأة بعـض القرى إذ عادةً ما تقوم بعض القبائل المتنقلة في المنطقة بحفـر الآبـار أو مـا يطلـق عليهـا

---

(1) السيد رجب، الحجاز، ص١٢٩.

(2) سورة الأنبياء، الآية (٣٠).

(3) خزنة كاتبي، غيداء عادل، أوليات الفتوح، حروب الردة في الإسلام، ط١، دار المدار الإسلامي، بيروت، ٢٠٠٩م ص٥٩.

(4) السيف، عبد ا ، العوامل المؤثرة في النشاط الزراعي في الجزيرة العربيـة خـلال العـصر العباسـي، دراسات في تاريخ الجزيرة العربية، ج١، جامعة الملك سعود، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦، ص٢٢٨.

(5) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٢، ص ١٩٧.

الأعداد[١](جمع عد، وهو: الماء الذي لا ينقطع كالعين أو البئر يستسقون منها ويسقون دوابهـم) ومع مرور الوقت تتحول هذه الأعداد أو الآبار إلى أماكن استقطاب واسـتقرار لهـذه القبائـل وغيرها من القوافل التجارية، لا سيما في أوقات الحر، ثم تبنى عليها القبـاب، والخيـام التـي تحولت - شيئًا فشيئًا ومع حركة التجارة والاهتمام بمنازل الحج - إلى قرى فاعلة في المنطقة، لذلك كثيرا ما نجد بعض هذه القرى خاصة ببعض القبائل دون غيرها، مثل: سقيا بلي، وشـقة بني عذرة، وآبار يديع لفزارة.

وتتنوع الآبار في وادي القرى حسب الطول وحسب طريقة الحفر، فهناك الآبار المتصل بعضها ببعض عن طريق القنوات الجوفية، وهي: آبار متناسقة تُحفر ويباعَد بينها، ليجتمع فيهـا الماء، وقد عرفت هذه الآبار في وادي القرى منذ العهد الديداني واللحياني، ويطلق عليهـا اسـم الكظائم[٢]، وهذه الآبار كانت منتشرة في وادي القرى على طول المسافة الممتـدة بـين الـسقيا ومدينة قرح، وقد عمل اليهود على استخراجها وحفرها من جديد عندما سكنوا وادي القـرى[٣] يستسقي منها الحجاج القادمون من مصر وبلاد إفريقية[٤].

وتوجد الآبار بكثرة في الحِجر (مدائن صالح) حيث اعتمد عليها في الزراعة والـشرب اعتمادا كبيرا، وليس على نظام القنوات والعيون كما هو الحال في أمـاكن أخـرى مـن وادي القرى[5]، لا سيما تلك الآبار المنقورة في الصخور[٦]، ولعل السبب في ذلك يعود إلى أن الحِجر قد خضعت لحكم الأنباط المعروفين بمهارتهم في حفر الآبار، وحفظ المياه وصناعة الـصهاريج (الخزانات) لحفظها بطرق لا تظهر للعيان في كثير من الأوقات [٧].

---

(1) الزبيدي، محمد مرتضى(ت١٢٠٥هـ/١٧٩٥م)، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق عبـد الـستار أحمد فراج، وزارة الإرشاد والأنباء، الكويت، ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م، مادة (عـد)، ج٨، ص٣٥٣.

(2) الخوارزمي، محمد بن أحمد (ت٣٨٧هـ/٩٩٧م)، مفاتيح العلوم، تحقيق إبراهيم الأبيـاري، دار الكتـاب العربي، ط٢، بيروت، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م، ص٩٥.ابن منظور، لسان العرب، مادة (كظـم)، ج١٢، ص ٤٦٣. الزبيدي، تاج العروس، مادة (كظم)، ج٥، ص ١٨٨.

(3) البكري، معجم ما استعجم، ج١، ص ٤٣. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص ٣٣٨.

(4) البكري، معجم ما استعجم، ج١، ص ٤٣. ياقوت الحموي، معجم ما اسـتعجم، ج٥، ص ٣٣٨.الجاسـر، رحلة إلى العلا، ص١٧٤.

(5) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص ٨١، 212 .

(6) عن الآبار في منطقة الحجر، انظر: تقرير المشروع الأثري السعودي الفرنسي بمدائن صـالح" الحجـر"، مجلة أطلال، وكالة الآثار والمتاحف السعودية، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م، العدد١٩، ص١٧٥-١٧٧.

(7) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب، ج٣، ص ٦١.

أما عن كيفية استخراج المياه من هذه الآبار فيتم عن طريق أدوات مصنعة محليا مثل: السواقي والدلاء والغُرب، وكذلك الساقية والنعامة: وهي عبارة عن خشبة توضع على فم البئر تقوم عليها السواقي[١]، وتستخدم بعض الحيوانات في استخراج المياه كالإبل والبغال والحمير وتعرف باسم النواضح[٢].

العيـــون

عبارة عن: مياه تنبع من الأرض وتعلو إلى سطح الأرض ثم تسرح فـي قُنـي لهـا، والحجاز مشهور بالعيون المتفجرة من الجبال المعتضدة بالسيول والأمطار المتمددة من وادٍ إلى وادٍ، وعليها قراهم وحدائقهم وبساتينهم مما لا يحصى ذكره[٣]، وتشكل العيون مـصادر مهمـة للمياه في وادي القرى، إذ إن المياه والعيون تكثر في المناطق التي يتوافر فيها مخـزون ميـاه جوفية عميقة وكثيفة، كبطون الأودية والمناطق المنخفضة ذات الصخور الرمليـة مثـل: وادي القرى[٤].

عرف وادي القرى بكثرة عيونه ومياهه العذبة منذ العصر الديداني واللحياني، بحيـث حازت هذه العيون على اهتمام كبير، لكثرتها وغزارة مياهها[٥]، فقد ذكر ياقوت أن معاوية بـن أبي سفيان عندما مر بوادي القرى تساءل عن هذه العيون وتلا قول ا تعالى﴿ أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَٰهُنَآ ءَامِنِينَ ﴿١٤٦﴾ فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴿١٤٨﴾ وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا فَٰرِهِينَ ﴿١٤٩﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴾[٦]، فاستخرج هو ومن معه ثمانين عينًا[٧].

---

(1) الخوارزمي، مفاتيح العلوم، ص ٩٥. ابن منظور، لسان العرب، مادة (نعم)، ج١٤، ص ٢١١. النويري، شهاب الدين، أحمد بن عبد الوهاب(ت ٧٣٣هـ/١٣٣٢م)، نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيـق مفيـد قمحية وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م، ج٨، ص١٨٥.

(2) الخوارزمي، مفاتيح العلوم، ص ٩٥. ابن منظور، لسان العرب، مادة (نضح)، ج١٤، ص ٢٤٥.

(3) ابن منظور، لسان العرب، مادة (عين)، ج٥، ص٢٥٠. القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص ٢٥٢.

(4) أبو العلا، جغرافية شبة جزيرة العرب، ص ١١٢.

(5) الإصطخري، المسالك والممالك، ص٢٣، المقدسي، أحسن التقاسيم، ص٨٥. البكري، معجم مـا اسـتعجم ج١، ص٤٣. ياقوت الحموي معجم البلدان، ج٤، ص٣٣٨. القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص ٢٩٦.

(6) سورة الشعراء، من الآية ١٤٦ - ١٥٠.

(7) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص ٣٣٨.

ومن أهم العيون في وادي القرى: عين غالب، وتعد من العيون المـشهورة فـي هـذا الوادي، توجد في مدينة قرح، سيطر عليها الجيش الأموي في لقائهم مع الخوارج بوادي القـرى حيث دلّهم عليها أحد الموالي، وهناك عين زيـان في مدينة قرح أيـضا؛ وهـي مـن العيـون المشهورة في وادي القرى، ذكرها الحسن الأصفهاني مقرونة مع عين غالب، ويبدو أن لهـاتين العينين نظاما معروفًا للسقيا بوادي القرى، سواء لسقيا أهالي البلدة، أوالمـسافرين مـن حجـاج وتجار، وهو السبب الذي أدى إلى شهرتهما وتسابق الجيوش للسيطرة عليهما(١).

وهناك عين ناقة التي تعرف بعين حسن وهي –أيضا- تقع في العلا، وهي من صدقات الإمام علي بن أبي طالب (ﷺ) في وادي القرى، وعين موات وهي من صدقات علي بن أبـي طالب في وادي القرى أيضا، وقد خاصم بها حمزة بن حسن بن عبيد ا بن العباس بن علي بن أبي طالب رجلين من أهل وادي القرى، كانت بأيديهما، وحصل عليهـا (٢)، وتوجـد العيـون الجارية في بديع إحدى قرى الوادي التي يزرع عليها النخيل والأشجار (٣)، وتكثر العيون فـي ذي المروة التي عرفت بغزارة مياهها، وكان لأحفاد علي بن أبي طالـب (ﷺ)بعـض العيـون هناك(٤).

وفي العلا يوجد كثير من العيون العذبة التي ساعدت أهالي العلا في أعمالهم الزراعيـة ويرتوي منها الحجاج ويغتسلون(٥)، وهي عيون قديمة تعود إلى العهد اللحياني(٦)، وكذلك عيون شلال التي تعد من المخارج المائية الطبيعية في المنطقة(٧).

---

(١) الحسن الأصفهاني، بلاد العرب، ص٣٩٧. الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٧، ص ٣٩٨، ٣٩٩. أبـو الفرج الأصفهاني، علي بن الحسين(ت٣٥٦هـ/٩٦٦م)، كتاب الأغاني، تحقيق إبـراهيم الأبيـاري، دار الشعب، مصر،١٣٨٩هـ/١٩٦٩م، ج٢٣، ص ٢٤٥.

(٢) ابن شبة، تاريخ المدينة، ج١، ص ١٣٨.

(٣) ابن عساكر، علي بن الحسن(ت٥٧١هـ/١١٧٥م)، تاريخ دمشق، ط١، تحقيق علي شـيري، دار الفكـر، بيروت، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م، ج٦، ص٧٤. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص ٣٥٩.

(٤) السمهودي، وفاء الوفاء، ج١، ص ٣٢٧و ج٢، ص ٨١٢.

(٥) ابن بطوطة، الرحلة، ج١، ص١٢٧، ١٢٨. الجاسر، رحلة إلى العلا، ص ١٨٤.

(٦) Nasif: Abdallah." The Identification of the Wadi AL-Qura and the Ancient ،. Islamic site of AL-Mibyat " Arabian Studies.p.10- p157..

(٧) الفقير، المدن والريف في المملكة، ص١١.

القنـوات.

استخدم نظام القنوات كأحد أنظمة الري منذ وقت مبكر في شبة الجزيرة العربية، ويعـد من أهم الطرق والأساليب التقنية للحصول على الماء، التي أدت دورا بارزا في نـشوء القـرى والواحات في المناطق الجافة من العالم القديم[١].

وتعد القنوات من الوسائل المهمة للحصول على الدعم المائي في منطقة عالية من موارد بعيدة تحت الأرض باستخدام قنوات معتدلة الميلان، تعبر فيها المياه على طول النفق حتى تصل إلى سطح الأرض، ولا يمكن استعمال القنوات للري إلا في الأماكن المنحدرة انحدارا خفيفًا[٢].

وتقسم هذه القنوات قسمين: القنوات السطحية التي تصرف مياه السيول ومياه الأمطـار، والقنوات الجوفية التي تُحفَر على هيئة نفق على نحوٍ أفقي في باطن الأرض، ويـسقَف بمـادة صلبة إذا كانت التربة رخوة، ويستمر الحفر والبناء حتى يخرج النفق إلى النور، فينساب المـاء على سطح الأرض بصفة دائمة في منطقة أقل ارتفاعا[٣]، ويحتوي وادي القرى على العديد من القنوات المائية، التي تشير بعض المسوحات الأثرية أنها قد تعود إلى مملكة لحيان التي اهتمـت بالقنوات المائية اهتماما كبيرا، ومعظم هذه القنوات تأتي من منطقـة وادي الحـشيش (العـذيب حاليا)[٤].

وعرفت القنوات بوادي القرى باسم " الكظائم " أيضاً، جمع كاظمة وهي: القنـاة فـي باطن الأرض، التي يجري فيها الماء، وقيل هي الآبار المتناسقة تحفر ويباعد ما بينها، ثم يخرق ما بين كل بئرين بقناة تؤدي الماء من الأولى إلى التي تليها تحت الأرض، فتجتمع مياهها جارية ثم تخرج عند منتهاها على وجه الأرض [٥]، وقد مر سابقًا أن البكري ذكر أن اليهـود عنـدما سكنوا وادي القرى استخرجوا كظائم وادي القرى وأساحوها، ولعل هذا يعد دليلاً على قِدم هـذه القنوات.

---

(١) نصيف، عبدا ، القنوات والنظام الزراعي في المدينة المنورة، مجلة العـصور، دار المـريخ، الريـاض ١٤٠٦هـ/١٩٨٩م، المجلد١، ج٢، ص١٩٩.

(٢) Nasif, Op, cit, p157.

(٣) نصيف، القنوات والنظام الزراعي في المدينة، ص١٩٩.

(٤) Nasif, Op, cit, p 116.

(٥) البكري، معجم ما استعجم، ج١، ص ٤٥. ابن منظور، لسان العرب، مادة (كظم)، ج١٣، ص١٤٢.

وفي العلا إحدى مدن وادي القرى توجد العديد من القنوات المائية التي تعد من مصادر المياه في وادي القرى حتى زمن قريب، ومن أهم هذه القنوات: قناة تدعل[1]: التي تعد إحدى أهم قنوات المياه الجوفية في الوادي، التي اندثرت قبل سنوات قليلة بسبب الإهمال وجرافات التوسعة والتطور[2].

وتنتشر القنوات في ذي المروة حيث يوجد الكثير منها، ومازالت آثارهـا باقيـة حتـى اليوم[3]، كما ذكر المقدسي أن بها قناة كبيرة غزيرة المياه تقوم عليها الزراعـة وتـوفر الميـاه للأهالي[4].

وقد أكدت المسوحات الأثرية الحديثة التي أجريت على القنوات الموجودة اليوم مثل: قناة الزهراء، وقناة الفتح، وقناة الصليحية، وقناة السليمية، وقناة المنشية، أنها بنيت قبل الإسلام؛ أي أنها تعود إلى العهد اللحياني مابين القرن الثالث والأول قبل الميلاد[5].

الأوديـة

وتعد الأودية من مصادر المياه في وادي القرى، وقد ذكرت فيما سبق.

---

(١) تـدعل: يعتقد بعض الدارسين أن تدعل اسم محرف من " تدع إل " وهو من الأسماء العربية القديمة التي تنتشر في جنوب الجزيرة العربية، وشمالها. وقد حمل هذا الاسم عدد من ملوك سبأ. وهو من أسماء الآلهة عندهم، وأقيم على هذه القناة حمام " الجنينة " ويعتقد بعض الدارسين بأن تاريخ إنشاء الحمام مرتبط بنشوء بلدة العلا واستيطانها قبل الميلاد. للمزيد انظر: نصيف، عبد ا ، حمام الجنينة (تدعل) بالعلا، مجلة كليـة الآداب، جامعة الملك سعود، المجلد العاشر، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م، ص ٣٥٧ – ٣٧٩.

(٢) نصيف، حمام الجنينة، ص٣٥٩.

(٣) الجاسر، رحلة إلى العلا، ص ١٨٣.

(٤) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص ٨٣.

(٥) قام الأستاذ الدكتور عبد ا نصيف في عام ١٩٧٨م بدراسة مسحية للقنوات في المنطقـة (العـلا) وهـي دراسة شاملة لطبوغرافيا الموقع نتبع من خلال هذه الدراسة تاريخ هذه القنوات وامتدادها، ومـصادرها، واتجاهاتها. حول موضوع القنوات في وادي القرى انظر: Nasif, AL-ULA p157 – 208

الحيـاة النباتيـة

ترتبط النباتات ارتباطًا وثيقًا بالمناخ ومظاهر السطح المتنوعة، وكمية الأمطار الساقطة، وبما أن الجزيرة العربية في معظم أنحائها ذات مناخ جاف قليـل الأمطـار نـسبيا، وتـشكل الصحراء أجزاء واسعة من مساحتها؛ لذا فغالبا ما تكون نباتاتها مـن النـوع الـصحراوي [١]. وتتفاوت الطبيعة في وادي القرى - إلى حدٍ ما - بين المرتفعات والهضاب والأودية، إذا فلكـل منها خصائصها المختلفة: فالمرتفعات قليلاً ما تسمح بنمو غطاء نباتي كثيف، وعلى العكس منها الأودية التي تتركز بها الترب الناضجة التي تسمح بتنوع الأعشاب والأشجار [٢].

وتنتشر النباتات والأعشاب في تضاريس وادي القرى، ومع قلة الغطاء النباتي إلا أنهـا تشكل المصدر الغذائي الرئيس لسكان المنطقة، وتستخدم للوقود وصـنع الأدويـة والمراعـي والأملاح وغيرها. ومن أنواع الأشجار في وادي القرى التي تنمو في معظم أجـزاء الجزيـرة العربية بطبيعة الحال ما يلي:

الطلح (Acacia Stenocarpa)

يكثر الطلح في وادي القرى والأودية المحيطة به، ويعـد مـن الأشـجار المـشهورة بالحجاز[٣]، حيث يوجد في بطون الأودية وفي المرتفعات المتوسطة، وتستخدم أخشابه في عملية البناء نظرا لقوتها وسماكتها، ويستخرج منه الصمغ، وهو من العضاة الذي يتخذ مـن عيدانـه السواك، وله برمة طيبة الريح، وليس في العضاة أكثر صمغًا منه.

السمر (Acacia Tortilis)

وهو نبات يكثر في شبة الجزيرة العربية عامة، ويعد شجر السمر من النباتـات الجافـة المعمرة قليلة الأوراق، وقد تفقد أوراقها- في الغالب- لمواجهة الجفاف، وتعد شجرة السمر من

(1) النعيم، نورة، الحياة الاقتصادية، ص ٧٥.

(2) النافع، عبد اللطيف حمود، الجغرافيا النباتية للملكة العربية السعودية، مطابع نجوم المعـارف، الريـاض، ط١، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م، ص ٣٤، ٣٥.

(3) السلمي، عرام بن الأصبغ(ت نحو٢٧٥هـ/٨٨٨م)، أسماء جبال تهامة وسكانها وما فيها من القرى، ومـا ينبت عليها من الأشجار وما فيها من المياه، تحقيق عبد السلام هارون، القاهرة، مطبعة أمين عبد الرحمن، ١٣٧٣هـ، ص١٦.

نبات العِضاة التي تنمو على سفوح المرتفعات الجبلية وفي بطون الأودية [١]، ويـستخدم نبـات السمر في أغراض البناء أيضا، في أسقف المنازل خاصة، ويستخدم كذلك للوقود ويعطى نتـائج جيدة.

اللبان (Moring uaptera Arabica)

ويطلق عليه الشوع [٢]، وهو ينبت في وادي القرى، وقد ذكر الأصفهاني جـبلاً يـسار الحِجر يقال له: شيبان، ينبت به البان[٣]، ويستخرج منه دهن طيب الرائحة من حبوب ثمـاره، ويستخدم في صناعة الأدوية.

الأثل (Tamarix Orientalis)

عبارة عن نبات صحراوي مقاوم للأجواء الجافة، حيث يستفاد من أخشابه فـي سـقف المنازل وحماية المزارع [٤]، وقد ذكر ذو الرمة الأثل بوادي القرى بقوله:

فأضحت بـوعساء النميط [٥] كأنهـا ذرى الأثل من وادي القرى ونخيلهـا

أي: كأنها أثل وادي القرى ونخيله من الكبر والطول.

السدر (Zizyhusspira)

وهو شجر النبق، ويصل ارتفاعه إلى عشرة أمتار، ويستظل به الناس، ويكثر في بطون الأودية، وتستخدم أوراقة في الغسل كالصابون[٦]، ويتغذى عليه النحل.

العوسج (Lycium shawi)

وهو شجر كثير الشوك، يكثر انتشاره في الجبال متوسطة الارتفاع، حيث يؤكل ثمره، وتتخذ النساء من عيدانه مغازل للصوف [٧].

---

(1) النافع، الجغرافيا النباتية، ص ٣٣٣.

(2) الأصمعي، عبد الملك بن قريب (ت٢١٦هـ/٧٣١م)، كتاب النبـات، تحقيق عبد ا يوسف الغنيم، مطبعة المدني، القاهرة، ١٣٩٢هـ ص٣٦. النافع، الجغرافيا النباتية، ص١٩٤.

(3) الحسن الأصفهاني، بلاد العرب، ص ٣٩٨.

(4) ابن منظور، لسان العرب، مادة (أثل)، ج١، ص

(5) النميط: رملة معروفة بالدهناء، وقيل بالحجر، انـظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص٥٠.

(6) عرام السلمي، أسماء جبال تهامة، ص ١٢. جواد علي، المفصل في تاريخ العرب، ج١، ص ٢٠٩.

(7) ابن منظور، لسان العرب، مادة (عسج)، ج٥، ص ٢٨٦.

الغلق (Pergularia tomentosa)

من الأشجار المنتشرة في الحجاز، وهي مرة الطعم، وتستخدم في دبغ الجلود.

الرمث (Haloxylon salicornicum)

وهو من فصيلة الحمض، إذ ترعاه الإبل والأغنام، ويستخدم للوقود، ودخانه ينفع من الزكام[١].

الرتم (Retama raetam)

يعد الرتم من النباتات المميزة للأجزاء الشمالية من الحجاز وجبال مدين [٢]، وهو نبات دقيق الأغصان والأوراق، ويستخدم للوقود أيضا.

الغضا (Haloxlon persicum)

وهي نبته كبيرة لها أوراق، وتعد طعاما جيدا للإبل[٣]، وهو من شجر البادية حيث يشبه الأثل، إلا أنه لا يعظم عظمة الأثل، وهو من أجود أنواع الوقود وأبقاه نارا [٤].

العرفط (Acacia oerfota)

وهي شجرة صغيرة متدانية الأغصان ذات شوك، تنبت في الجبال، وتأكلهـا الجمـال، تستخدم في صناعة الأرشية (الحبال) التي يستسقى بها [٥].

العتـم (Olea europaea)

وهو نبات يطلق عليه زيتون الجبال، مثل صغار النبغ، إذ يجمع بعد أن يـسود ويحلـو طعمه، ويطبخ ويؤكل، ويصنع منه المربى كمربى العنب [٦].

القرظ (Acacia ethaica)

وهوشجر عظام، وله سيقان كبيرة، يستخدم في الدباغة، وهو من أجود أنواع الدباغة[١] ومنه أديم مقروظ: أي مدبوغ. ويستخدم حبه في الموازين.

(1) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص ٣١.

(2) النافع، الجغرافيا النباتية للمملكة، ص ٤١٣.

(3) التنوخي، الرحلة التنوخية من الزرقاء إلى القريات، ط١، تحقيق. يحيى عبدالرؤوف، ١٩٨٥م، ص٢٩.

(4) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص ٢٠٥.

(5) ابن منظور، لسان العرب، مادة (عرفط)، ج٥، ص ٤٣٠.

(6) المصدر نفسه، مادة (عتم)، ج٥، ص ٢٨.

أما بالنسبة للأعشاب فهناك أنواع متنوعة وكثيرة يعتمد عليها أهل البادية كغذاء رئيسي لمواشيهم وإبلهم مثل: الأقحوان والقرمل والقليقلان والخزامى والنفل، وغيرها مـن الأعـشاب الأخرى.

(1) ابن منظور، لسان العرب، مادة (قرظ)، ج١١، ص ١١٧.

الحياة الحيوانية

عرفت شبة الجزيرة العربية أنواعا مختلفة من الحيوانات عبر العصور، ويختلف وجود هذه الحيوانات مع اختلاف المناخ، والتضاريس عبر آلاف السنيين، وتتمتع منطقة وادي القـرى بطبيعتها التضاريسية المتباينة التي ساعدت على نمو أنواع مختلفة من الحيوانات البريـة، وقـد وثّقت النقوش والأشعار والرسومات التي خلفتها الحضارات المتعاقبة في وادي القـرى أنواعـا مختلفة من الحيوانات والطيور والزواحف والحشرات وغيرها.

فمن الحيوانات: الأسود، التي تعيش بكثرة على امتداد جبال الـسروات فـي رؤوسـها وأعراضها[١]، وتتواجد الأسود في وادي القرى التي قدم الشاعر جميل بن معمر وصفاً دقيقاً لها عندما سأله يزيد بن معاوية عن الأسود فقال في وصفه: " يا أمير المـؤمنين؛ وجهـه فـدغم[٢] وشدقه شدقم[٣]، ولعزمه معرَنزم[٤]، مقدمه كثيف، ومؤخرة لطيف، ووصـبه خفيـف، وأخْـذه عنيف، عَبل[٥]، الذراع، شديد النخاع مردٍ [٦] للسباع، مصعِق الزئير، شديد المَرير [٧]، أهـرَت الشدقين[٨]، مِتْرص الحَصِرَين[٩]، يركب الأهوال، ويهتصر الأبطال، ويمنع الأشبال، ما إن يزال جاثما في خِيس[١٠]، أو رابضا على فريس، أو ذا وَلغٍ ونَهيس" [١١]. وهذا وصـفٌ يـدل علـى معرفته الدقيقة بها.

---

(1) الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص ٢٤٠.

(2) الفدغم: الجسيم الممتلئ. انظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (فدغم)، ج١٢، ص٤٥١.

(3) شدقم: الواسع الشدق. انظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (شدقم)، ج١٢، ص٣٢٠.

(4) اللعزم: النكاح والدفع. انظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة(لعز)، ج٥، ص ٤٠٥. والمعرنزم: الشديد. انـظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (عرز) ج٥، ص ٣٧٣.

(5) عبـل: الضخم الغليظ. انظـر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (عبل)، ج١١، ص٤٢٠.

(6) مـُردٍ: شديد مهلك. انظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (مرد)، ج٣، ص٤٠٠.

(7) المرير: القوة والعزيمة. انظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة(مرر)، ج٥، ص١٦٥.

(8) أهـرت: الواسع الشدقين. انظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة(هرت)، ج٢، ص١٠٣.

(9) مترص: المحكم الشديد. انظر:ابن منظور، لسان العرب، مادة (تـرص)، ج٧، ص١٠. والحـصيرين: الجانبين. انظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (حصر)، ج٤، ص١٩٤.

(10) خِيس: بيت الأسد. انظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (خيس)، ج٦، ص٧٤.

(11) القالي، إسماعيل بن القاسم(ت٣٥٦هـ/٩٦٧م) النـوادر، دار الكتـاب العربـي، بيـروت، د.ت، ج١، ص١٨١.

وهناك النمر والفهد، عدا عن الظبي والغزال والعفري (نوع من الغزلان) الـذي كـان يصطاد بكثافة مشكلاً جزءا من الغذاء (1)، وكثيرا ما يشبه الشعراء محبوباتهم بـه، وقـد ذكـر جميل بن معمر وجود الظبي في وادي القرى بقوله (٢) :

فما ظبية أدماء لاحقـة الحـشا بصحراء قو (٣) أفردتها ظباؤهـ ـا

تُراعي قليلاً ثم تحنو إلى أطَـلا إذا ما دَعتْه والبغام دعاؤهـ ـ ـا (٤)

والحمار الوحشي وفيه يقول جميل بن معمر (٥) :

عَلَنْدي كعَير العَون قد شَق نابـه علـى الأيـن فِيـهِ عِـزةٌ وَتَعَجـرفُ

والعَير هو الحمار الوحشي، والعون هي القطيع من حمر الوحش (٦).وهناك النـيص ذو الأشواك الحادة والأرانب، والجرابيع، والقنافذ، والقطط البرية، والثعالب، والذئاب، والضباع.

أما بالنسبة إلى الزواحف فمن أهمها: (الضب بفتح الضاد)، وهو حيوان بري معروف، له ذنب معقد يشبه الورل (٧)، يكنى أبا حسل، يأكله الأعراب ويكثر بوادي القرى، وهناك الورل والوزغ والثعابين والسحالي.

ومن الطيور البرية يوجد القطا، وقد ذكرها بعض شعراء وادي القرى كعروة بن حرام العذري حيث يقول (٨) :

تحملّتُ من عفراءَ ما ليس لـي بـه ولا للجبـ ـال الراسـ ـيات يـ ـ دان

---

(1) العمير، أطلال، العدد ١٩، ص٢٥٠.

(2) جميل بن معمر، وقيل جميل بن عبد ا بن الحارث. بن ظبيان بن العذري، شاعر مشهور من أهل وادي القرى، ومن عشاق العرب المشهورين، ارتبط اسمه بمحبوبته بثينة، توفي (٨٢هـ/٧٠١م). انظر: ابـن قتيبة، الشعر والشعراء، ج١، ص ٥٦. أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج٨، ص ٢٥.

(3) قـو: وادٍ بين تيماء وواي القرى.انظر: الجاسر، في شمال غرب الجزيرة، ص٤٣٠.

(4) أطلا: ولد الظبي. والبغام: صوت الظبية.

(5) جميل، الديوان، ص١٢٩

(6) ابن منظور، لسان العرب، مادة (عون)، ج١٣، ص ٢٩٨.

(7) الدميري، حياة الحيوان الكبرى، ج١، ص٥٢.

(8) عروة بن حرام بن مهاصر أحد بني ضبة العذري، شاعر إسلامي وأحد المتيمين الذين قتلهم الهوى، كـان قد عشق ابنة عمة عفراء ولكنه لم يتزوجها فمات بسببها. انظر: أبو الفرج الأصفهاني، الأغـاني، ج٦، ص ١٦٥.

كأني قطاةٌ علّقت بجناحها — على كبدي من شدة الخفقان

وهناك طائر القُمري، وهو نوع من الحمام، حسن الصوت، ذكره جميل بن معمر في بعض أشعاره حيث يقول[1] :

وراسية قعراء ضمن شِربها — إذا هَتَفَ القُمري جَون معَالفُ

وذكر الغراب في وادي القرى حيث يقول [٢] :

رَحَل الخليط جِمالهم بِسَوادِ — وحَدَا على أَثر البَخيلةِ حَادي
ما إن شعرتُ ولا سَمِعتُ ببينهم — حتى سمعتُ بهِ الغُرابَ ينادي

وهناك العقاب والباشق والحدأة والنسر، عدا عن الحمام الجبلي، والقنابر الصحراوية والدجاج البري والسمان والحجل والنعام [٣].

وأما الحشرات فتوجد بكثرة، فهناك العقارب بأنواعها، والجراد، ويعد بعض أنواعه غذاء معتبرا عند البدو، وهناك العناكب، والبعوض الذي يكثر في المناطق الزراعية والمستنقعات القريبة من العيون والينابيع والذباب والفراش. وتكثر بعض هذه الحشرات عند العيون والمستنقعات المائية في وادي القرى وقد تتسبب في نقل بعض الأمراض والأوبئة مثل الحميات، وقد عرفت عدة مواضع في وادي القرى بالحمى [٤].

(1) جميل، الديوان، ص ١٣١.
(2) المصدر نفسه، ص٧١.
(3) الفقير، السياحة في محافظة العلا، ص٤٤.
(4) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب، ج٧، ص ١٠.

هـ- واقع التجمعات السكانية

شهد وادي القرى قيام مستوطنات وقرى أخذت تكبر وتتسع مع الزمن؛ لتصبح دولا رئيسة في المنطقة، كدولتي (ديدان ولحيان) منذ القرن السادس قبل الميلاد، ومع تدهور هذه الدول وزوالها بسبب تحول الطريق التجاري عنها بعد سقوط دولة الأنباط عام١٠٦م، فقد بقي وادي القرى مكانًا جاذبا للعناصر السكانية ومستقَرا لها، ويبدو أن نشأة بعض هذه القرى واستعادتها دورها لدى بعضهم كان في القرن السادس الميلادي؛ عندما برزت قوة مكة الدينية والمالية التي تسيدت في الحجاز، وعودة شريان الحياة للطريق القديم بسبب الحروب البيزنطية الفارسية، كما لعبت عدة عوامل كان لها دور رئيس في استقرار الإنسان ونشأة المدينة أو القرية في وادي القرى، ولعل من أهم هذه العوامل ما يلي:

١- الموقع الاستراتيجي لوادي القرى، حيث يقع وادي القرى على الطريق التجاري القديم، وشكّل عقدة من عقد المواصلات المهمة التي تربط جزيرة العرب ببلاد العراق والشام ومصر، جعله من المراكز الرئيسة لتموين القوافل التجارية، وتأمينها عن طريق العهود والمواثيق[١]، فضلاً عن أن قربه من سواحل البحر الأحمر أمن له سهولة التواصل مع الخارج عبر موانئه على البحر الأحمر[٢].

٢- وفرة المياه من عيون وآبار، وخصوبة الأراضي الصالحة للزراعة[٣].

٣- التنوع الجغرافي: حيث الجبال التي توفر الحماية الطبيعية والمحاجر للسكان، والأودية والحرار التي دعمت الأماكن الزراعية بالطمي والترب الغنية بالمعادن.

٤- العوامل المناخية: ساعد مناخ وادي القرى، شبه المعتدل. والمناسب في معظم أجزائه، على جذب السكان والمسافرين، إذ يقع في منطقة مناخية متوسط بين رطوبة البحر الأحمر القريب منه، وبين لهيب الصحاري المحاذية لوادي القرى من الشرق.

٥- وفرة المراعي وتنوع الغطاء النباتي مما مكن القبائل البدوية من التنقل بسهولة في وادي القرى مما جعلها تساعده في سد احتياجاته الأساسية من مأكل وملبس.

---

(1) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب، ج٢، ص ٢٤٢. الأنصاري، لمحات من مدن الشمال، ص٢. فكتور سحاب، إيلاف قريش: رحلة الشتاء والصيف، المركز الثقافي العربي، بيروت، ١٩٩٢م، ص٦٨.

(2) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب، ج٢، ص٢٤٢.

(3) المرجع نفسه، ص٢٤٢.

٦- دور الإسلام في الحث على الاستقرار والبعد عن حياة البداوة والترحال، وتمثـل ذلـك بسياسة التوطين أو الإقطاع والتمليك التي انتهجها الرسول (ﷺ) وبنـاء المـساجد فـي مواضع عديدة من وادي القرى، مما ربط الناس بالأرض وحقق حياة الاستقرار.

ومن أهم التجمعات الرئيسة في وادي القرى نذكر ما يلي:

قُـرح (١)

بضم القاف وسكون الراء، والقرح والقراح: الفضاء من الأرض المستوي، التي ليس بها شجر ولم يسترها شيء، والقراح الماء الذي لا يخالطه شيء، والقرح والقراح لغتان في عـض السلاح ونحوه مما يجرح الجسد(٢).

تقع قرح في منخفض منبسط في وسط وادي القرى جنوب الحِجر، وشمال السقيا الـذي جعلها الأصفهاني بين السقيا جنوبا، والعوالي (العلا) شمالاً، ومطران الأسود شرقًا(٣)، وهي من أكبر مدن الوادي وكذلك مدن الجزيرة العربية في العصور الإسلامية المبكرة(٤)، وتعد المدينـة الرئيسة لوادي القرى وقصبتها(٥)، وكثيرا ما تذكرها المصادر باسـم وادي القـرى، ومعظـم المصادر الإسلامية المبكرة عندما تتحدث عن وادي القرى فإنها تعني " قرح " وهي مدينة وادي القرى وقصبتها، وهذا ما يشير إليه بن خرداذبة(٦)، وصرح به كذلك ابن قتيبة حيث قال: " قرح هي وادي القرى "(٧)

---

(١) تقع على خط الطول ٣٨/٥ درجة، وخط العرض ٣٧/٥٥ درجة جنوب غرب مدينة العلا، على بعد ٢٠كم على الضفة الشرقية للوادي. بجانب قرية مغيرا، وتعرف آثارها اليوم باسم " المابيات "وهو اسـم حـديث محرف من الكلمة العامية "الموبيات" أي الوباء أو ذات الوباء. للمزيد من المعلومـات. أنظـر: العميـر، حفريات قـرح ص٢٢٥-٢٥٢. وانظـر: Nasif: Abdallah." The Identification of the Wadi AL-Qura and the Ancient Islamic site of AL-Mibyat " Arabian Studies.p.10.

(٢) ابن منظور، لسان العرب، مادة (قرح)، ج١١، ص ٩٢.

(٣) الحسن الأصفهاني، بلاد العرب، ص ٣٩٦، ٣٩٧، ٤٠٠.مطران الأسود: موضع مازال معروفًـا حتـى اليوم إلى الجنوب الشرقي من مدينة العلا، تمر به سكة حديد الحجاز. وبه محطة تدعى سـهل مطـران. انظر: عبد ا غبان، الإسلامية، ص٤٤.

(٤) الإصطخري، المسالك والممالك، ص ٢٣. المقدسي، أحسن التقاسيم، ص٨٣.

(٥) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص ٨٣.

(٦) ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص١٥٠

(7) ابن قتيبة، عبد ا بن مسلم (ت ٢٧٦هـ/٨٨٩م)، المعارف، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، ج١، ص١٨.

وأشار إليه الطبري[١]، وأكدَه عليه المقدسي[٢]، والبكري[٣] وابن المطهر[٤] وأخـذ بـه محمود محمد شاكر[5]، وكانت من أسواق العرب في الجاهلية [٦]، إذ بقيت عاصمة المنطقة حتى منتصف القرن السادس الهجري، عندما فقدت أهميتها بعد بروز مدينة العلا التي عـاد نجمهـا يتألق من جديد في مطلع القرن السادس الهجري كما كانت منذ أيام الديدانيين واللحيانيين.

ولم تذكر المصادر شيئًا عن نشأة " قرح " سوى كونها من مساكن قوم ثمود، وأنها مـن الأماكن التي استوطنها اليهود بعد تشتتهم وحروبهم مع الرومان[٧]، ويعتقد بعـض البـاحثين أن قيام مدينة قرح ونشأتها مرتبط بدولة الأنباط وسيطرتهم على المنطقة، لا سيما بعد أن أصـبحت الحِجر من مدنهم الرئيسة، حيث حولوا الطريق التجاري عن واحة ديدان(العلا) إلى موقع قرح، وذلك من أجل إضعاف اللحيانيين وتدميرهم اقتصاديا[٨]، وكان غالب سـكانها عنـدما فتحهـا الرسول (ﷺ) من اليهود[٩].

---

(١) الطبري، جامع البيان، ج١٢، ص٥٢٧.

AL- Wohaibi. A., The Northern Hijaz in the Writings of the Arab Geographers 800-1150. Beirut, AL-Risalah Est.1973. p.289.

(١) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص٨٣.

(٢) البكري، المسالك والممالك، ج١،ص ٩٧.

(٣) ابن المطهر، البدء والتاريخ، ج١، ص ١٣٤.

(٤) شاكر، محمود محمد، " قرى عربية "، ص٧٩٧.

(5) الحازمي، الأمـاكن، ج٢، ص ٧٦٦. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص ٢٤٧. السمهودي، وفـاء الوفاء، ج٤، ص ٤٣٠. الأفغاني، سعيد، أسواق العرب في الجاهلية والإسلام، ط٣، دار الفكر، دمـشق، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م، ص ١٩٤.

(٦) البلاذري، فتوح البلدان، ص ٢٥. البكري، معجم ما استعجم، ج١، ص ٤٣. ولفنسون، تاريخ اليهود فـي بلاد العرب، مطبعة الاعتماد، مصر، ١٣٤٥هـ/ ١٩٢٧م، ص ١١.

(٧) نصيف، عبد ا ، العلا، ص ٢٧.

(٨) الواقدي، المغازي، ج٢، ص ٧١٢. الدوري، عبد العزيز، النظـم الإسـلامية، ط١، مركـز دراسـات الـوحدة العربية، بيروت، ٢٠٠٨م، ص٧٨. العلي، دولة الرسول، ص٢٧٥.

ذُو المروة [١]

تقع جنوبي وادي القرى بين الرحبة وذي خُشب، وقيل: بين ذي خـشب ووادي القـرى (قرح) بالقرب من التقاء وادي القرى بوادي إضم ووادي العيص، وهي آخر مدن الوادي جنوبا وقيل: أدنى مدن الوادي من جهة المدينة[٢]، بينما عدها المقدسي من مدن خيبر [٣]، التـي لهـا شهرة تاريخية كبيرة، وقد سميت بذي المروة، نسبة إلى صخرة من المـروة منتـصبة فيهـا[٤] والمرو: حجر أبيض براق، واحدتها مروة[5]، والنسبة إليها مروي وهي أراضٍ وقرى واسـعة لقبيلة جهينة أقطعهم فيها الرسول(ﷺ) في طريقه لغزوة تبوك في السنة التاسعة للهجرة، وبنـى فيها مسجدا[٦]، ونفى إليها الخليفة عمر بن الخطاب(ﷺ)، ربيعة بن أمية عندما شرب الخمر في رمضان[٧]، واتخذها الثائرون على عثمان من مصر والعراق معسكرا لهـم سـنة ٣٥هـ [٨]، واتخذها جيش حبيش بن دلجة الذي بعثه مروان إلى ابن الزبير معسكرا له أيـضا [٩]، وازدادت شهرتها بسبب وقوعها على طريق التجارة القديم، وطريق الحج حتى أصبحت محطـة للقوافـل

---

(1) تقع أطلالها اليوم في منطقة أم زرب، على مقربة من قرية بدائع الضليعة، على خط عرض٣٠/٢٥ وخط طول ٢١/٢٧درجة درست في القرن العاشر الهجري. انظر: الجاسر، بلاد ينبع، ص٢١٦. غـبان، الآثار الإسلامية ص٤٤.

(2) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص١١٦. الحازمي، الأماكن، ج٢، ص٨٦٥. السمعاني،عبد الكـريم بن محمد (ت٥٦٥هـ/١١٦٩م)، الأنساب، تصحيح عبد الرحمن العلمي، حيدر ابار الدكن، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، ١٩٦٦م، ج٥، ص٢٦٦. الفيروز آبادي، المغانم، ص ٣٧٨. السمهودي، وفـاء الوفاء، ج٤، ص ٤٦٨. الجاسر، بلاد ينبع، ص٢١٣.

(3) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص٨٣.

(4) الجاسر، بلاد ينبع، ص١٨١.

(5) ابن منظور، لسان العرب، مادة (مرا)، ج١٣، ص ٨٩.

(6) ابن سعد، الطبقات، ج١، ص ١٢٨.الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص٢٨٦. البكري، معجم ما استعجم، ج٤، ص ١٢١٨. الحميري، الروض المعطار، ج١،ص٥٣١. السمهودي، وفاء الوفاء، ج،٤ ص٤٦٩.

(7) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج٤، ص ١٣٧.

(8) ابن شبة، تاريخ المدينة، ج٢، ص٢١٢. الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٤، ص٣٥٠. الذهبي، تـاريخ الإسلام، ج١، ص ٤٤٣.

(9) البلاذري، أنساب الأشراف، ج٢، ص٣٢٠.

المتجهة إلى المدينة وينبع وخيبر وبلاد الشام وسواحل البحر الأحمر الشمالية، و- كذلك - ظهر منها ونسب إليها بعض العلماء منهم عبد ا بن محمد المروي[1].

السُـقيا [٢]

تقع السقيا بين قرح شمالاً والرحبة جنوبا، على وادي الجزل، لذا فقد عرفت –أيـضا- باسم سقيا الجزل، تمييزا لها عن سقيا غفار الواقعة على الطريق بين مكة والمدينة [٣]، وتعرف –أيضاً- بسقيا يزيد وسقيا بني أمية، ويظهر أنهم تملكوا فيها فنسبت إليهم[٤].

وَتُعَد السقيا من أهم مدن وادي القرى، حيث يلتقي بها الحجاج القـادمون مـن مـصر وإفريقية وبلاد الشام[5]؛ لذلك أكسبها موقعها أهمية كبيرة، للاستفادة من طريق الحج، وقد كثـر فيها الناس الذين تملكوا البساتين والضياع التي انتشرت وامتدت على طول الخط ما بين الـسقيا وقرح، وتنوعت فيها المحاصيل الزراعية، وكثر فيها الخير، وازدهرت ازدهارا كبيـرا، حتـى وصفت بأنها أحسن مدن هذه الناحية[٦].

ذكر الأسدي فيما نقله عنه السمهودي أنها على نحو سبع مراحل من المدينة، وعلى نحو مرحلتين من ذي المروة[٧]، وروى السمهودي عن ابن زبالة أن الرسول(ﷺ) بنى فيها مـسجدا، وذكر البكري عن محمد بن حبيب قوله: سقيا: موضع من بلاد عذرة، يقال لـه سـقيا الجـزل

---

(1) عبد ا بن محمد المروي: من أهل ذي المروة، سمع بالبصرة من أبي خليفة الجمحي وروى عنـه ولـم تُعرف سنة وفاته. انظر:السمعاني، الأنساب، ج٥، ص٢٢٦. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص١٦٦

(2) تعرف اليوم باسم الخشيبة. وهي إحدى القرى التابعة لمحافظة العلا، إذ تبعد عنها بحدود ٤٠كـم جنوبـا. على خط الطول ٣٨/٠٠ درجة، وخط العرض ٢٦/١٣ درجة. انـظر: غبـان، الآثـار الإسـلامية، ص٤٥.

(3) ابن شبة، تاريخ المدينة، ج١، ص ١١٠. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص٣٢٣. الجاسر، رحلـة إلى العلا، ص ١٧٥. غـبان، الآثار الإسلامية، ص٤٥.

(4) اليعقوبي، البلدان، ص ٩٤، المقدسي، أحسن التقاسيم، ص٨٤. الجاسر، بلاد ينبع، ص١٧٥.

(5) الحربي، المناسك، ص٤٠٣. اليعقوبي، البلـدان، ص٤٣. الفيروزآبـادي، المغـانم المطابـة، ص١٨٠. السمهودي، وفاء الوفاء، ج٤، ص٣٢٢.

(6) الحسن الأصفهاني، بلاد العرب، ص٣٩٦. المقدسي، أحسن التقاسيم، ص٨٤.

(7) السمهودي، وفاء الوفاء، ج٤، ص ٣٢٢.

(بالجيم والزاي المعجمة)، وهي قرية من قرى وادي القرى[١]، وسكانها قبيلة بلي ومازالوا بهـا حتى اليوم[٢].

الرحبـة [٣]

تطلق عليها بعض المصادر الرحيبة بدلاً من الرحبة [٤]، وهي مأخوذة مما اتـسع مـن الأرض، والرحاب رحاب الأودية وواحدتها رحبة، وهي مواضع يستنقع بها الماء، وهي أسرع الأرض نباتًا، وعادة ما تكون في منتهى الوادي وفي وسطه [5].والرحبة مـن قـرى الـوادي المشهورة، إذ تقع بين السقيا شمالاً، وذي المروة جنوبا على وادي الجزل [٦]، يمر من خلالهـا طريق الحج المصري الشامي، وقد حددها ابن خرداذبة وابن رستة بين قرح وذي المـروة [٧]، أما الحربي فجعلها بين السقيا وذي المروة [٨]، وعدها البكري وياقوت والسمهودي من بلاد بني عذرة [٩].

---

(1) البكري، معجم ما استعجم، ج٣، ص ٧٤٣.

(2) البكري، معجم ما استعجم، ج١، ص٢٨. غبان، الآثار الإسلامية، ص ٤٥.

(3) تعرف اليوم باسم كتيفة: تبعد عن العلا ٧٠كم جنوبا. ويسكنها كلٌ من قبيلة بلي، وقبيلة جهينة.

(4) ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ج٢، ص55. الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ص١١٠.

(5) الأزهري، تهذيب اللغة، ،ج٢، ص ١٠٣. ابن منظور، لسان العرب، مادة (رحب)، ج١، ص٤١٣.

(6) ابن شبة، تاريخ المدينة،ج١، ص١١٠.

(7) ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص 55. ابن رستة، الأعلاق، مجلد٧، ص١٨٣.

(8) الحربي، المناسك، ص ١٦٩.

(9) البكري، معجم ما استعجم، ج٢،ص ٦٤٣. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص ٤٦٠. الـسمهودي، وفاء الوفاء، ج٤، ص٢٨٧.

العُـلا [١]

بضم أوله والقصر وهو جمع العليا، وقد عرفت باسم المعلى أيضا [٢]، حيث تقـع فـي وادي القرى عند أضيق منطقة في الوادي، حيث تنحصر بين سلسلة من الجبـال فـي الـشرق والغرب، يحدها الحِجر شمالاً وقرح جنوبا، كانت من المراكز الحضارية المعروفة منذ القـرن السادس (ق.م) وبها قامت المستوطنات المعينية لتكون محطات لقوافلهم البرية التي تنقل تجارتهم إلى الهلال الخصيب وإلى مصر [٣]، ثم أصبحت عاصمة لمملكة ديدان ثـم مملكـة لحيـان [٤] فقدت دورها بعد سيطرة الأنباط على الحِجر لتتدهور أكثر فأكثر بعد تصفية الدولة النبطية على يد القائد الروماني الشهير تراجان عام ١٠٦م، الذي غير طريق التجارة الذي يمر بالعلا، وأنشأ طريقًا آخر بين بصرى والبحر الأحمر مرورا بالبترا، وهو الطريق المعروف تاريخيا باسم خط تراجان [٥].

ونشوء مدينة قرح - عاصمة الوادي فيما بعد - وبروزها بوصفها سوقاً مـن أسـواق العرب في الجاهلية، قد سحب البساط من تحت مدينة العلا، وجعلها مدينة ثانوية، ثم أخذت تنمو

---

(١) عرف قديما باسم " ددن " و " ديدان " وقد اختلف العلماء في سبب التسمية؛ فمنهم من نسبه إلـى المكـان نفسه، ومنهم من نسبه إلى الإله " دد " الذي كان يعبده الساميون الشماليون. وقامت بهـا عـدة دول امتـد تاريخها مابين القرن السادس. ونهاية القرن الثالث قبل الميلاد: دولة ديدان، دولة لحيان، ثم دخلت تحـت حكم الأنباط. وتعد العلا اليوم من أكبر مدن وادي القرى، بل أصبح الوادي ينسب إليها اليـوم؛ أي وادي العلا بدلاً من وادي القرى وهي مدينة كبيرة، تشهد تطورا كبيرا على الصعد كافة. ومازالت تتبع منطقـة المدينة المنورة التي تبعد عنها بحدود ٤٠٠كم. للمزيد انظر:الأنصاري: عبد الرحمن، لمحات عن بعض المدن القديمة في شمال غربي الجزيرة العربية، مجلة الدارة، الرياض، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م، الـسنة ١، العـدد ١، ص٧٧. Nasif: AL-ULA, pp.7-9. Encyclopadia Britannica 1973- 1974 vol.1.p.1044

(٢) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج٢٣، ص ٢٤٥.

(٣) العلي، صالح أحمد ، محاضرات في تاريخ العرب، مكتبة المثنى، بغداد، ١٩٦٠، ص٣٦.

(٤) Hoyland.G. Robert. Arabia and the Arabs " from the Bronze Age to the coming of Islam , Landon and New York, 2001, pp.66-67.

جواد على، المفصل في تاريخ العرب، ج٢، ص٢٤٢. غبـان، الآثار الإسلامية، ص ٤٩.

(٥) Walter.W. Muller. Survey of the History of the Arabian Peninsula from the first Century A.D.to the Rice of Islam.king Saud University,Riyadh 1399 A.H. 1979 A.M, p126.

شيئًا فشيئًا في العصور الإسلامية المتأخرة، حتى أصبحت مركز الوادي في مطلع القرن السادس الهجري، وقد مر بها الرسول(ﷺ) في طريقه إلى غزوة تبوك وبنيَ مكان مـصلاه مـسجد[1]، وذكرها الأصفهاني باسم العوالي[٢]، وأنها كانت من المدن والمراكز الحـضارية المهمـة منـذ القرن السادس قبل الميلاد وتميزت بموقعها الاستراتيجي، واشتهرت بخصوبة أرضها، ووفـرة المياه والعيون، وقد اتخذها الخوارج معسكرا لهم في ثورتهم واستيلائهم علـى المدينـة سـنة ١٢٩هـ/[٣].

الحِجر: " مدائن صالح "

تقع في رأس الوادي في منطقة صخرية تحيط بها الرمال من جميع الجهات. وهي قرية صغيرة قليلة السكان، ذات حصن منيع، وبالقرب منها ديار ثمود، وهي على بعد مرحلـة مـن مدينة قرح[٤]، ورد ذكرها في القران الكريم في قوله تعـالى:﴿ وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ ٱلْحِجْرِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٨٠﴾ وَءَاتَيْنَٰهُمْ ءَايَٰتِنَا فَكَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٨١﴾ وَكَانُوا۟ يَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ ﴿٨٢﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ ﴿٨٣﴾ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨٤﴾ ﴾ [5]، وتتحدث عنها المصادر الكلاسـيكية باسـم (Hegra وEgra) وأنها من المراكز الرئيسة لمملكة الأنباط [٦]، وذكرتها المصادر العربيـة -كذلك- على أنها من منازل قوم ثمود [٧].

وللحِجر أهمية كبيرة منذ القرون الأولى قبل الميلاد، نظرا لوقوعها على شريان التجارة في العالم القديم، حتى أصبحت المدينة والعاصمة الثانية للأنباط الذين استولوا على المنطقة نهاية القرن الأول قبل الميلاد، وجعلوها من مراكزهم العسكرية والتجارية المهمة في المنطقة[1].

(1) الحازمي، الأماكن، ج٢، ص٦٨٨. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص٣٣٧. الفيروز آبادي، المغانم، ص٢٨٢. السمهودي، وفاء الوفاء، ج٤، ص٣٩١.

(2) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ص٣٩٧.

(3) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٧، ص٣٩٨.

(4) الإصطخري، المسالك والممالك، ص ٨. الحسن الأصفهاني، بلاد العـرب، ص٣٩٧-٣٩٨. المقدسـي، أحسن التقاسيم، ص٦٩. الإدريسي، نزهة المشتاق، ص١١٢. البكري، معجم ما استعجم، ج٢، ص٤٢٦.

(5) سورة الحجر، الآية٨٠– ٨٤.

(6) موزل، شمال الحجاز، ص ١٠٦ – ١٠٧.

(7) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج٣، ص ٥٥.

وقد مر بها الرسول (ﷺ) في طريقة إلى غزوة تبوك في السنة التاسعة للهجرة، ومنـع أصحابه من البقاء فيها، والشرب من مائها؛ لأنها أرض عذاب [٢]، تضاءل شأنها فـي الإسـلام حتى وصفت بأنها قرية صغيرة [٣]، وهي من منازل الحج الشامي المشهورة [٤].

الجُنينـة

تصغير الجنّة، وهي الحديقة والبستان، تقع شمال الحجر [٥]، وقيل: قرب وادي القـرى بينه وبين تبوك[٦]. تعد أول قرى الوادي من جهة الشمال على الطريق التجاري القديم، مر بهـا جيش أبي عبيدة في طريقهِ لفتح الشام[٧]، وهي من منازل الحج الشامي الرئيسة، ذكرها الحربي بين الأقرع[٨] والحجر، وكذلك ابن خرداذبة وابن قدامة، وياقوت الحموي[٩]، بينما جعلهـا ابـن أعثم الكوفي بين الأخضر وتبوك[١٠]، ويكاد ينفرد ابن أعثم بهذا الرأي، وتبنى ذلك ألويس موزل الذي يرى أن المسافة بين الأقرع والحجر هي ٤٠كم، ولا يحتمل أن يكون بها منـزل آخـر[١١]،

---

(1) الأنصاري، لمحات عن بعض المدن القديمة في شمال غرب الجزيرة العربية، ص٧٩. الفاسـي، الحيـاة الاجتماعية في شمال غرب الجزيرة، ص١٠٠.

(2) ابن هشام، السيرة، ج٤، ص١٦٤.

(3) الحسن الأصفهاني، بلاد العرب، ص ٣٩٨. جواد علي، المفصل في تاريخ العرب، ج٣، ص ٥٦.

(4) الحربي، المناسك، ص٤٠٣. ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص ١٥٠.

(5) نصيف، العلا، ص٣٩.

(6) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص١٧٣. السمهودي، وفاء الوفا، ج٤، ص ٢١٦.

(7) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص ١٧٣.

(8) الأقرع: أحد منازل الحج الشامي بين وادي القرى وتبوك. انظر: ابـن خرداذبـة، المـسالك والممالـك، ص١٥٠. قدامة بن جعفر، كتاب الخراج، ص ١٩١. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص ١٦٠.

(9) الحربي، المناسك، ص٤٠٣. ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص١٥٠. قدامة، الخراج، ص١٩١. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص ١٧٣.

(10) ابن أعثم، أبو محمد أحمد الكوفي(ت٣١٤هـ/٩٢٦م)، كتاب الفتوح، تحقيق علي شيري، دار الأضـواء، ط١، ١٤١١هـ/١٩٩١م، ج١، ص ٨٣. والأخضر: إحدى منازل الحج الشامي، مر به الرسول(ﷺ)فـي غزوة تبوك في السنة التاسعة للهجرة، وبني في مصلاه مسجد، يقع شرقي تبوك بينها وبين وادي القـرى، على خط طول ٠٢و٢٨، وعرض ٠١ و ٣٧درجة، ولا يزال معروفاً حتى اليوم. انظـر: ابـن هـشام، السيرة، ج٤، ص١٧٣. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص ٧٦. الجاسر، في شمال غرب الجزيرة، ص٤٧٨.

(11) موزل، شمال الحجاز، ص ١٥٦.

علما أن كثيراً من الجغرافيين ذكروها بين الحجر والأقرع، عدا عن وجود أبيات لجميـل بـن معمر(ت٨٢هـ/٧٠١م)- وهو ابن وادي القرى - توحي بقربها من قرح، ومن الحجـر حيـث يقول [1]:

ويوم وردنا قرح هاجت لي البكا	من الورق حمام العلاطين تصـدح
ويوم وردنا الحِجر يا بثْن عادني	اك الشوق حتى كدت باسمك أفصح
وليلـة بتنا بالجنينـة هاجنـــي	سنا بارق من نحو أرضك يلمــح

ويبدو أن ما ذكره ابن أعثم لم يكن دقيقاً قياساً بما ذكره الجغرافيون والمؤرخون الـذين ذَكَروا سابقاً، أما ما ذكره موزل فيبدو أنّه التبس عليه الأمر بين الجنينة المذكورة في المـصادر القديمة التي تأكد وقوعها في وادي القرى وبين " جنائن القاضي " التي فيما يبدو أنها ظهرت في العهد العثماني، والواقعة بين الأخضر وبين قلعة المعظم، وقد عرفت بهذا الاسم، تيمنـاً بقـاضٍ معروف، قضى نحبه في هذه المنطقة عند عودته من الحج ودفن فيها [2].

الرّقعـة

قرية صغيرة من قرى وادي القرى، وذكر ابن زبالة أنها بلدة قريبة من السقيا من بلاد عذرة، وفيها مسجد للرسول(ﷺ)[3]، وذكر البكري وياقوت أنها موضع قرب وادي القرى عنـد شقة بني عذرة، فيها مسجد لرسول(ﷺ)، عمره في طريقه لغزوة تبوك عام (٩هـ/٦٣٠م)[4].

ميـاسِـر

بفتح أوله وكسر السين المهملة، قرية من قرى وادي القرى، بين الرحبة والسقيا [5]، قال كُثير عزة [6]:

(1) جميل، الديوان، ص ٥٠.

(2) جوسن، أنطوان، و سافيناك، رفائيل، رحلة استكشافية أثرية إلى جزيرة العرب، ترجمة صبا عبد الوهاب الفارس، مراجعة سليمان الذييب، وسعيد السعيد، دارة الملك عبد العزيز، ١٤٢٤هـ، ج١، ص ٨٩.

(3) ابن زبالة، ابو الحسن محمد بن الحسن (ت١٩٩هـ/٨١٥م)، أخبار المدينة، جمع وتحقيق صـلاح عبـد العزيز سلامة، دار الأرقم، بيروت، ٢٠٠١م، ص١٦٢.

(4) البكري، معجم ما استعجم، ج٢، ص٦٦٦. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص٥٨.

(5) البكري، معجم ما استعجم، ج٤، ص١٢٨١. ياقوت الحموي، معجـم البلـدان، ج٥، ص١٩٠. الفيـروز آبادي، المغانم المطابة، ص ٣٣٩.

(6) جميل، الديوان، ص١٥٩.

نظرت وقد حالت بلاكث دونهـم   وبطنان وادي برمة وظهورهـا
إلى ظعنٍ بالنعف نعف مياسـر   حدتها تواليها ومالت صـدورها

المُـريسِـيع

قرية من وادي القرى، فيها ضياع لبعض أحفاد الصحابة من آل الزبير، منهم الزبير بن خُبيب بن ثابت بن عبد ا بن الزبير[1]، لم تحدد المصادر موقعها من وادي القرى، ولم أعثـر على معلومات كافيه عنها، وهي غير المريسيع المشهور التي يسكنها بنـي المـصطلق، التـي غزاهم بها الرسول(ﷺ) في السنة (٦هـ / ٦٢٨م).

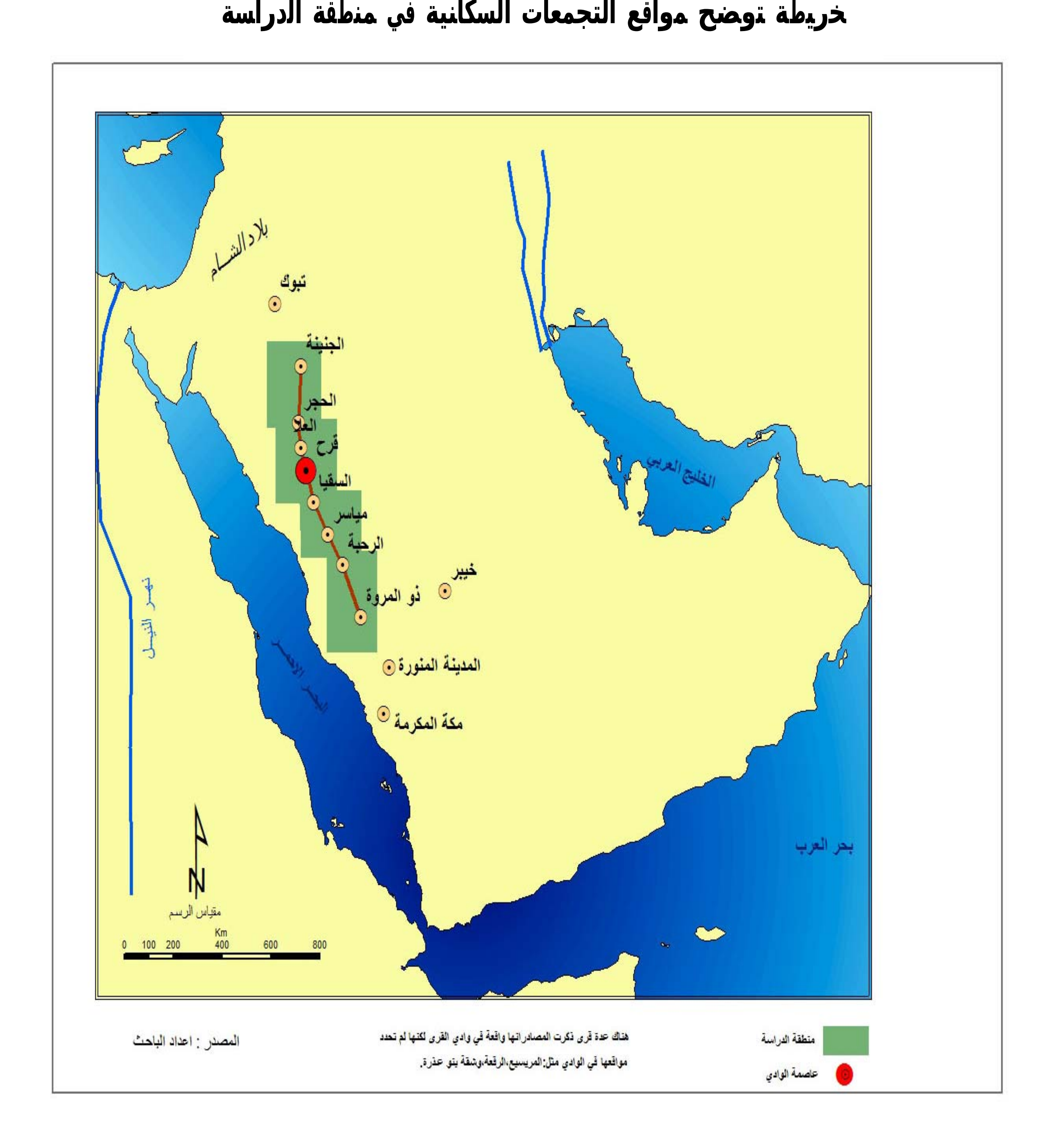
ذكرت المصادر المبكرة العديد من المواضع التي تقع على وادي القرى، لكن المعلومات التي تناولتها معلومات بسيطة وقليلة، مثل: شقة بني عذرة التي مر بها الرسول (ﷺ)وهـو فـي طريقه لغزوة تبوك سنة (٩هـ/ ٦٣٠م) التي بنى فيها مسجداً، وقد ذكر يـاقوت موقـع بـديع وغيره من المواقع الأخرى.

وبناء على ما تقدم، يتضح لنا أن وادي القرى قد ضم تجمعات رئيسة من المدن والقرى الممتدة من الجنينة شمالاً حتى وادي إضم جنوباً والذي تقع عليه آخر مدن الوادي، وهـي (ذي المروة)، وعلى هذا الأساس يظهر أن تسمية وادي القرى بهذه التسمية قد جاء واقعياً ومنطقيـاً في الوقت نفسه.

هذه هي أهم القرى المشهورة والمعروفة الواقعة على طول الوادي الممتد مابين المدينة والشام، وبها سمي الوادي وادي القرى.

(1) البكري، معجم ما استعجم، ج٤، ص١٢٢٠. الحميري، الروض المعطار، ص٥٣٢.

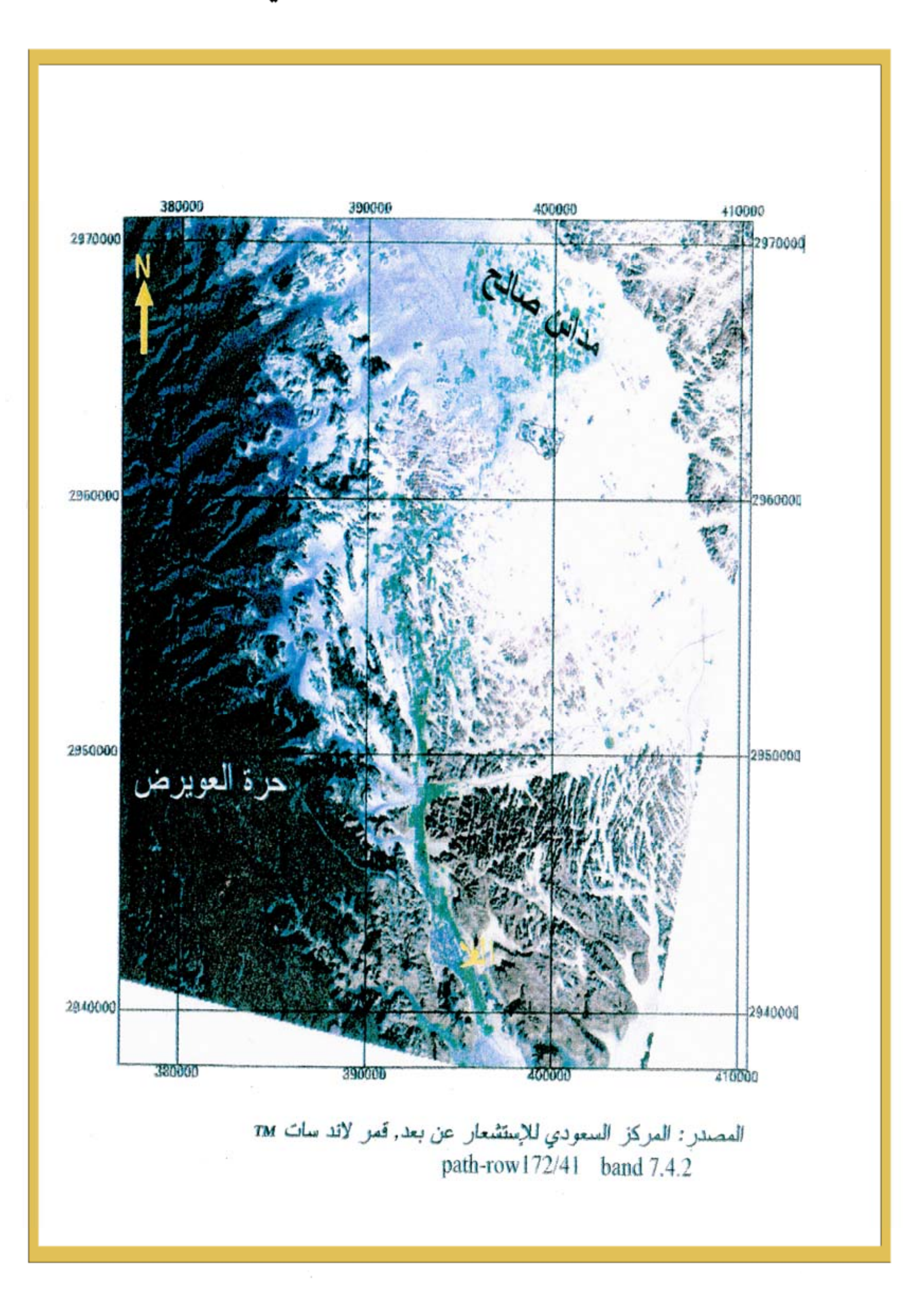
خريطة توضح مواقع التجمعات السكانية في منطقة الدراسة



هناك عدة قرى ذكرت المصادر أنها واقعة في وادي القرى لكنها لم تحدد مواقعها في الوادي مثل: المريسيع والرقعة وشقة بنو عذرة.

المصدر: إعداد الباحث بالاعتماد على مصادر أولية

صورة للمنطقة عبر الاقمار الصناعية
بتركيز على شمال الوادي



المصدر: المركز السعودي للإستشعار عن بعد, قمر لاند سات TM
path-row172/41 band 7.4.2

الفصل الثاني

التنظيمات الإداريـة والمـاليـة في وادي القـرى

- أهمـية وادي القرى
- أسباب فتح وادي القـرى
- فتح وادي القـرى
- التنظيمات الإداريـة
- التنظيمات المـاليـة

أهميـة وادي القرى.

شكّلت منطقة وادي القرى إحدى أهم عقد المواصلات الرئيسة التي تـربط الجزيـرة العربية ببلاد العراق ومصر والشام(١)، إذ عبرت من خلال هذه المنطقة أهم القوافل التجارية في العصور القديمة بين الجنوب والشمال حتى شَهدت قيام عدة مستوطنات ودول، عامتها تجاريـة كما مر سابقاً. وعندما برزت مكة في القرن السادس الميلادي بوصفها مركزاً دينيـاً وتجاريـاً بارزاً بزعامة قريش التي أصبحت قوة اقتصادية مهمة في الجزيرة العربية، وقد سيطرت علـى طريق التجارة المارة بغرب الجزيرة العربية، أصبح وادي القرى جزءاً رئيـساً مـن المجـال الحيوي لتجارتها مع بلاد الشام، حيث أبرمت العهود والأحلاف مع القبائل المنتـشرة هنـاك(٢). وكان وادي القرى أحد حلقات الاتصال بين الأسواق العربية الرئيسة في الجاهلية كسوق دومـة الجندل، وسوق عكاظ، ومجنّة، وذي المجاز، ونطاة خيبر، كما أن بوادي القرى سوق " قـرح " إحـدى أسواق العرب في الجاهـلية(٣)، إلى جانب أن خصوبة الأرض ووفرة المياه فـي وادي القرى أكسبته أهمية كبيرة؛ ولهذه الأسباب وغيرها تطلع الملك الغساني النعمان بـن الحـارث للسيطرة عليه(٤).

---

(1) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب، ج٢، ص٢٤٢.

(2) ابن حبيب، أبو جعفر محمد، المنمـق فـي أخبـار قـريش، تعليـق خورشـيد أحمـد فـاروق، ط١، ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م، القاهرة، ص٣٣. عواطف أديب سلامة، قريش قبـل الإسـلام " دورهـا الـسياسي والاقتصادي والديني " دار المريخ، الرياض، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م، ص٢٣٠-٢٣١.

(3) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج١، ص٥٢. الحازمي، الأماكن، ج٢، ص٧٦٦. يـاقوت الحمـوي، معجـم البلدان،ج٤، ص٣٢٠. الأفغاني، الأسواق العربية، ص٥٠. حول هذه الأسواق انظر: ابـن حبيـب، أبـو جعفر، محمد(ت٢٤٥هـ/٨٩٧م)، المحبر، تصحيح ايلزه ليختن شتيتر، المكتب التجاري، بيـروت، د.ت. ص٢٦٣-٢٦٨. المرزوقي، أبو علي أحمد بن محمد(ت٤٢١هـ/١٠٢٠م)، الأزمنة والأمكنـة، مطبعـة دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد، الدكن، الهند، ج١، ص١٩٨-٢٠٢. الأفغاني، أسـواق العـرب، ص ٥١، حقي إسماعيل إبراهيم، أسواق العرب التجارية في شبة الجزيرة العربيـة، دار الفكر،عمـان، ط١، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، ص٦٥-١٠٥.

(4) البكري، معجم ما استعجم، ج١، ص٤٣.

وأدرك المسلمون أهمية وادي القرى الاقتصادية، وأهمية الطريق التجاري عبر هذا الوادي، لتجارتهم مع بلاد الشام، لا سيما بعد نشاطهم المتزايد، حتى وصفوا في غزوة بدر الموعد (٤هـ/ ٦٢٦م) بأنهم أهل الموسم[١].

وشكّل وادي القرى من الناحية العسكرية، إحدى ساحات الصراع الرئيسة بين المسلمين ومشركي قريش وأحلافها من العرب واليهود، كما أنّه منطقة احتكاك مباشر مع القبائل العربية المتنصرة في بلاد الشام[٢]، التي تدور في فلك الدولة البيزنطية سياسياً ودينياً حسب ما تقتضيه مصالحها، وقد أدت أدواراً متفاوته في الفتوحات الإسلامية لبلاد الشام،ومن تلك القبائل قبيلة جذام المنتشرة في أماكن واسعة شمال وادي القرى مثل: حسمى ومابين جبال الشراة، حتى معان والبلقاء، وفلسطين[٣]، التي تتمتع بعلاقات قوية مع البيزنطيين في بلاد الشام، تبلورت بتعيين فروة بن عمرو الجذامي عاملاً لهم على ما يليهم من العرب واتخذ معان مقراً له وقيل عمان[٤]، وهناك قبيلة قضاعة التي اجتمعت واستعدت للدنُوه من أطراف الدولة الإسلامية، فأرسل لهم الرسول(ﷺ) جيشاً بقيادة عمرو بن العاص لقيهم به في ذات السلاسل (٨هـ/٦٣٠م)[٥]، ومن القبائل –أيضاً- قبيلة كلب في تيماء ودومة الجندل، التي يدين بعضها بالنصرانية[٦]. وبعضهم كان يعبد الصنم " ود " الذي نُقل إليهم من وادي القرى[٧]، وكثيراً ما يعترضون التجارة الواردة إلى المدينة ويظلمون من مر بهم من الضافطة[٨].

---

(1) الواقدي، المغازي، ج١، ص٣٢٧، ص٣٨٩.

(2) حول العرب المتنصرة في بلاد الشام انظر: خريسات، محمد عبد القادر، " دور العرب المتنصرة في الفتوحات، المؤتمر الدولي الرابع لتاريخ بلاد الشام، عمان،١٤٠٥هـ/١٩٨٥، مجلد٢، ص١٣٥-١٦٤.

(3) الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص٢٤٣. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص٤٦٥.

(4) ابن هشام، السيرة، ج٤، ص٢٣٨. ابن سعد، الطبقات، ج١، ص٢٢٥. النويري، نهاية الأرب، ج٥، ص٤٠.

(5) ابن هشام، السيرة، ج٤، ص٢٧٢. الواقدي، المغازي، ج١، ص٧٧٠. ابن سعد، المصدر نفسه، ج٢، ص١١٢. السهيلي، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد ا (ت٥٨١هـ/١١٨٥م)، الروض الآنف في تفسير السيرة النبوية لأبن هشام، ط١، تعليق مجدي بن منصور بن سيد الشوري، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت ،١٤١٨هـ/١٩٩٧م، ج٤، ص٤٠٦.

(6) ابن سعد، الطبقات، ج٢، ص ٨٩. الهمذاني، صفة جزيرة العرب، ص٦٦.

(7) ابن حبيب، المحبر، ج١، ص٣١٦. ابن الكلبي، الأصنام، ص٢٥. ابن هشام، السيرة، ج١، ص٧٨.

(8) الضافطة: هم التجار الذين يحملون التجارة من الشام إلى المدينة ويقال إنهم من الأنباط. ابن سعد، الطبقات، ج١، ص٥٨.

ومن الواضح أن وادي القرى كان أحدى المحطات الرئيسة للجيوش الإسلامية المتجهـة إلى شمال الجزيرة العربية وبلاد الشام، حيث أقام به جيش مؤتة أياماً في سنة ٨هـ/٦٢٩م أياماً للتزود منه ورصد تحركات العدو وعيونهم(١).

وقد كان وادي القرى محطة أخرى لجيش أسامة بن زيد الذي جهزه الرسـول (ﷺ)(٢)، وسيره أبو بكر الصديق(ﷺ)(٣)، كما سلكته الجيوش الإسلامية أيام الفتوحات الإسلامية إلى بلاد الشام(٤).

برزت أهمية منطقة وادي القرى في الصراعات التي قامـت بـين الدولـة الأمويـة والثائرين عليها ويمكن ملاحظة ذلك في الصراع الذي دار بين الأمويين وعبد ا بـن الزبيـر والأمويين في الحجاز، حيث كان وادي القرى أحد أهم ساحات الصراع العسكري بينهما، وقـد اتخذه عبد ا بن الزبير معسكراً له ولجيوشه، حيث كان يغير منه على أطراف الشام(٥).

وتنبه الخوارج لأهمية وادي القرى من الناحية العسكرية، بوصفه ملتقى الطرق القادمـة من مصر والشام، وسارعوا للسيطرة عليه حتى يتمكنوا من إحكام القبضة على الحجاز، وقطـع الطرق بين الأمويين والحجاز، واتخذوه جبهة استطلاعية لرصد تحركات الأمويين فـي الـشام ومصر. كما أدرك الخوارج الأهمية الاقتصادية لوادي القرى كمصدر لتموين الجيـوش؛ " لـذا اتخذوه معسكراً لهم بعد أن سيطروا على مكة والمدينة سنة ١٢٩هـ/٦٤٦م بقيادة أبـو حمـزة الخارجي(٦).

ويعد وادي القرى من منازل الحج المهمة على طريق مصر والشام، الأمر الذي انعكس إيجاباً عليه من الناحية الاقتصادية، وأدى إلى تطور الزراعة وازدياد النشاط الاقتصادي والتنوع السكاني في أوقات السلم والهدوء السياسي، حتى وصفه المقدسي بأنه بلد حجازي، ومـصري،

---

(1) الواقدي، المغازي، ج١، ص٧٦٠. ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٢، ص١٣.

(2) ابن اسحاق، السيرة ،ج٢، ص٣٥١. الواقدي، المغازي،ج٢، ص٣٦٢.

(3) ابن هشام، السيرة، ج٢، ص ٣٥١. الواقدي، المغازي، ج١، ص ١١١٧. ابـن سـعد، الطبقـات، ج٤، ص٦٥.

(4) الواقدي، محمد بن عمر (منسوب)(ت٢٠٧هـ/ ٨٢٢م)، فتوح الشام، تحقيق صالح درادكـة، مؤسـسة حمادة للدراسات الجامعية، الأردن، أربد، ٢٠٠٧م، ج١، ص٢٠.

(5) البلاذري، أنساب الأشراف، ج٢، ص٣٢٢.

(6) البلاذري، أنساب الأشراف، ج٩، ص٣٠٠. الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٧، ص٣٩٨.

وعراقي، وشامي[١] بالإضافة إلى أنه له عدة موانئ على البحـر الأحمـر هـي: الحـوراء[٢] والعونيد[٣]، منحته سهولة التواصل مع السواحل المجاورة.

(1) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص٨٣.

(2) الحميري، الروض المعطار، ص٢٠٥.

(3) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص٥٢.

أسباب فتح وادي القرى

شكّل وادي القرى أهمية كبيرى لدى الدولة الإسلامية في المدينة. بعد أن أسس الرسول(ﷺ) هذه الأمة، وأخذ يسعى لتقويتها سياسياً واقتصادياً، وبناء قدرتها؛ لتتمكن من مواجهة أعدائها محيطها ابتداء.

وأدرك الرسول(ﷺ) قوة قريش التجارية، وأهمية الطريق التجاري مع بلاد الشام التي تمر بوادي القرى، وأهمية القبائل الواقعة على هذا الطريق، كما التعرض لقوافل قريش سوف يضعف اقتصادها وهيبتها بين القبائل، ويجعلها تفكر جدياً في ضرورة تغيير موقفها المعادي من الإسلام[١]؛ لذا كان العمل على تدمير هذه القوة سواء بالتعرض لقوافلها التجارية بقطع الطريق عليها من خلال كسب بعض القبائل هناك أوتحييدها على الأقل، ومن ثم القضاء التدريجي على نظام الإيلاف مع تلك القبائل، وقد بدأ هذا النشاط بعد فترة وجيزة من هجرته إلى المدينة، فكانت حملاته وسراياه - قبل الحديبية - نحو هذا الهدف وذات علاقة مباشرة بتجارة قريش مع بلاد الشام[٢]، فكانت غزوة الأبواء(٢هـ/٦٢٤م)[٣]، وغزوة العشيرة(٢هـ/٦٢٤م) لاعتراض عير قريش حين أبدأت إلى الشام [٤]، ثم غزوة بدر الكبرى(٢هـ/٦٢٤م) كان سببها اعتراض قافلة قريش عند انصرافها من الشام[٥].

وهناك عدة أسباب دفعت المسلمين للسيطرة على الوادي لعل أبرزها ما شكلته قبيلة فزارة من خطر وتهديد على تجارة المسلمين في وادي القرى، وما تثيره من فتن وقلاقل في المنطقة ونقض للعهود والمواثيق[٦]، والتأليب على الرسولﷺ وأصحابه[٧]، وسبها له[٨]،

(1) الشبول، أحمد، " سياسة الرسول(ﷺ) نحو الشمال بعد الهجرة " الندوة العالمية الثالثة لدراسات تاريخ الجزيرة العربية، ١٤٠٤هـ/١٩٨٣م، جامعة الملك سعود، الرياض، ج١، ص١٦١.

(2) الشبول، المرجع نفسه، ص١٦٢.

(3) ابن اسحق، السيرة، ج٤، ص٣٤٨.

(4) الواقدي، المغازي، ج١، ص١٣.

(5) المصدر نفسه، ج١، ص٢٠.

(6) اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص ١٢٣، النويري، نهاية الأرب، ج١٧، ص١١٧.

(7) البلاذري، أنساب الأشراف، ج١، ص٤٨٥.

(8) ابن سيد الناس، أبو الفتح محمد بن محمد(ت٧٣٤هـ/١٢٢٣م)، عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، تحقيق محمد العيد الخطراوي، ومحي الدين متو، مكتبة دار التراث، المدينة المنورة، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م،ج٢، ص١٠٨.

واعتراضـها لتجارة المسلمين المتوجهة للشام، حيث اعترضوا زيد بن حارثـة(ﷺ) عنـدما خرج بتجارة إلى الشام ومعه بضائع للمسلمين[1]، وكانت قبيلة فزارة –أيضاً- حليفاً قوياً لليهـود في خيبر ووادي القرى وكذلك مشركي قريش، وقد تجلى في مشاركتها في غـزوة الأحـزاب (٥هـ/٦٢٦م) بقيادة عيينة بن حصن الفزاري [٢] الذي أغار على لقاح الرسول(ﷺ)، في منطقة الغابة [٣]، ثم مشاركة حلفائهم في خيبر من اليهود عندما غزاها الرسول سنة(٧هـ/٦٢٨م)[٤] ؛ لذا كان لا بد من وضع حد لهذه التعديات التي تقوم بها قبيلة فزارة وتأمـين الطريق التجـاري الذي تسلكه تجارة المسلمين، وتأمين استمرار التجارة بين المدينـة والـشام دون أي مخـاطر، خاصة بعد نمو تجارتهم ونشاطها المتزايد مع بلاد الشام في تلك المرحلة، فتطلب ذلـك اتخـاذ الإجراءات اللازمة لحمايتها وتأمينها[5].

وهذا يقود إلى سبب آخر وراء اتجاه المسلمين للوادي والسيطرة عليه ألا وهو الحد من دور يهود وادي القرى واختراق تحالفاتهم مع قبائل المنطقة، حيث أدوا دوراً محورياً وخطيـراً مع أعداء الإسلام من اليهود وحلفائهم من العرب، وشكّلوا مع يهود خيبر وفدك وتيمـاء جبهـة موحدة لمحاربة المسلمين[٦]، وجسروا ما بينهم من مسافة بالأحلاف التي عقدوها مـع القبائـل الواقعة بينهم حتى شكّلوا قوة ونفوذاً في شمال الحجاز تعادل قوة قريش ونفوذها في جنوبـه [٧]، وكانت لهم علاقات مع يهود المدينة أيضاً، ووقفوا معهم لا سيما بنو النـضير الـذين أجلاهـم الرسول(ﷺ) من المدينة حيث استقبلوهم وقدموا لهم العون والمساعدة بعد أن تم إجلاؤهـم مـن

---

(1) ابن هشام، السيرة، ج٤، ص٢٦٥. الواقدي، المغازي، ج١، ص٥٦٤. ابن سعد، الطبقـات،ج٢، ص٨٥. ابن سيد الناس، عيون الأثر، ج٢، ص ١٥٤.

(2) عيينة بن حصن اسمه حذيفة بن بدر سمي بعيينة لَشترٍ كان بعينة، وهو الـذي قـال فيـه الرسـول(ﷺ): الأحمق المطاع، وهو من المؤلفة قلوبهم أسلم ثم ارتد ثم أُسِرَ وجيء به إلى أبي بكر ومن عليـه وأطلـق صراحة، وشارك في الفتوحات. ابن هشام، السيرة، ج٣، ص٢٢٤. الواقدي، المغـازي، ج١، ص٤٤١. ابن سعد، الطبقات، ج٦، ص١٧٩. الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٢، ص٥٦٦. الـسهيلي، الـروض الآنف، ج٣، ص٤١٨.

(3) ابن هشام، السيرة، ج٣، ص٢٩٣. الواقدي، المغازي، ج١، ص٥٤١. ابن سعد، الطبقات، ج٢، ص٧٧.

(4) ابن هشام، السيرة، ج٣، ص٣٤٢.

(5) العلي، صالح أحمد، دولة الرسول في المدينة، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيـروت، ٢٠٠١، ص ٢٣٩.

(6) الواقدي، المغازي، ج١، ص٥٣٠.

(7) طعيمة، صابر، التاريخ اليهودي العام، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٩٧٥م، ج٢، ص١٤.

المدينة[١]. ويبدو أنهم أدوا دوراً كبيراً في تحريض القبائل في وادي القرى ضد المسلمين كقبيلة عذرة التي ترتبط معهم بحاف قديم[٢]، وقبيلة فزارة التي نجحت في إثارة القلاقـل والمـشكلات للمسلمين واعتراض قوافلهم التجارية؛ نظراً للحاف الذي يربطهم مع يهود وادي القرى التي تقدم لهم الأموال والطعام[٣].

كما أن الخطة المستقبلية التي رسمها الرسول(ﷺ) لنشر الإسلام ودعم سيادته، وحركـة الفتح التي تمثلت بإرسال الرسل إلى ملوك الدول، وزعماء القبائل - ويهمنا هنا بـلاد الـشام لا سيما بعد عودة البيزنطيين إليها بعد انتصارهم على الفرس٨هـ/٦٢٩م – تعطينا صورة بـأن الرسول(ﷺ) أدرك منذ وقت مبكر أن المجال الحيوي لتوسع الإسلام كان سيتجه نحو الـشمال[٤] أي إلى بلاد الشام حيث " عولَ أن يَصرفَ همته إلى الشام... " [٥].وهذا يتطلب توحيد الجبهة ما بين الشام والمدينة بما فيها وادي القرى، التي تُعد رأس المغزى في غزو بـلاد الـشام[٦] فقـد أرسل(ﷺ) الرسل إلى ما حوله، فأرسل دحية الكلبي إلى قيصر الروم [٧]، كمـا أرسـل إلـى الحارث بن أبي شمر[٨] وجبلة بن الأيهم الغساني[٩] وبعض زعماء القبائل المجـاورين لـوادي القـــرى كقبيلـــة جـــذام مثـــل بنـــي الـــضبيب[١٠] وبنـــي جفـــال

(1) الواقدي، المغازي، ج١، ص١٨٠.

(2) البكري، معجم ما استعجم، ج١، ص٤٣.

(3) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج٣، ص١١١٧. الحادرة، قطبة بن أوس، الديوان، جمع وتحقيق ناصـر الدين الأسد، عالم الكتب، بيروت، ١٤١١هـ/١٩٩١م، ص٢٣.

(4) العلي، صالح، دولة الرسول في المدينة، ص٢٣٩.

(5) الواقدي، فتوح الشام، ج٢، ص٧٦.

(6) الباجي، أبو الوليد سليمان بن خلف(ت ٤٩٤هـ/١١٠٠ م)، المنتقى، شرح موطأ مالك، ط٣، نشر الحـاج عبد السلام بن شقرون، دار الكتاب، بيروت، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، ج٣، ص ١٧٥.

(7) ابن هشام، السيرة، ج٤، ص٢٥٤. ابن سعد، الطبقات، ج١، ص٢٢٤. اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب(ت ٢٨٤هـ/ ٨٩٧م)، تاريخ اليعقوبي، دار صادر، بيروت،١٣٧٩هـ /١٩٦٠م، ج٢، ص٧٧. الطبـري، تاريخ الرسل والملوك، ج٢، ص٦٤٦.

(8) ابن سعد، الطبقات، ج١، ص٢٢٨. الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٢، ص٦٤٦.

(9) ابن هشام، السيرة، ج٤، ص٢٥٤. ابن سعد، الطبقات، ج١، ص٢٢٨.

(10) محمد حميد ا ، مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، ط٣، دار الإرشـاد، بيـروت، ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م، ص٢٣٣.

وغيرهم[1] وسهيل بن قرضم من قضاعة[2]، كذلك بعض الغزوات والسرايا التي قام بها الرسول(ﷺ) كغزوة دومة الجندل(٥هـ/ ٦٢٦م) للدنو من أطراف الشام ورفع الظلم والحيف الذي لحق بتجارة المسلمين[3]. كل هذا تطلب ضم منطقة وادي القرى التي تعد رأس المغزى لبلاد الشام[4]؛ لكي تتمكن الجيوش الإسلامية من تسهيل مهمتها وتأمين خطوطها الخلفية إلى وجهة انطلاقها لبلاد الشام التي تعد بالشواهد القرآنية والسنة النبوية وجهة الفتح المستقبلية، قال الله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[5]. وفي السنة أحاديث كثيرة أخبر فيها الرسول(ﷺ) بفتح الشام، والروم وفارس[6] وما تناقلته كتب السير في حادثة الصخرة لما استعصت على أحد الصحابة فضربها الرسول(ﷺ) بمعوله عدة ضربات في كل ضربة تضيء المكان فأخبر (ﷺ) أنها دلائل على فتح الشام، وفارس واليمن، [7] وذكر الواقدي حديثاً مرفوعاً إلى علي بن أبي طالب(رضي الله عنه) أن الرسول(ﷺ) أخبره بفتح بيت المقدس ومن بعدها قيسارية[8]. وإقطاعه تميم الداري[9] بعد إسلامه قريات له في بيت لحم، وكان ذلك قبل فتح بلاد الشام وقبل وفاته(ﷺ)، قضى له بها عمر بن الخطاب(رضي الله عنه) بعد فتحها.

إذاً هناك جملة أسباب متداخلة اقتصادية، وعسكرية، وأمنية، ودينية جعلت من ضم وادي القرى أمراً حتمياً للدولة الإسلامية في المدينة، ولقد تهيأت الظروف للمسلمين بعد صلح

---

(1) محمد حميد الله، مجموعة الوثائق السياسية، ص٢٣٤.

(2) المرجع نفسه، ص٢٣٥.

(3) الواقدي، المغازي، ج١، ص٤٠٣.

(4) الباجي، المنتقى، ج٣، ص١٧٥.

(5) سورة الإسراء، الأية رقم (١).

(6) الإمام أحمد بن حنبل، مسند أحمد، ج٦، ص٤٧١.

(7) ابن هشام، السيرة، ج٣، ص٢٣٠.الواقدي، المغازي، ج١، ص٤٠٥. السهيلي، الروض الآنف، ج٣، ص٤٢١.

(8) الواقدي، فتوح الشام، ج١، ص٣٣٢.

(9) تميم بن أوس بن خارجة بن سود الداري، والدار بطن من لخم من فلسطين، كان نصرانياً ثم أسلم بعد أن قدم إلى الرسول، في السنة التاسعة وسكن المدينة، ثم انتقل إلى بلاد الشام بعد مقتل الخليفة عثمان بن عفان(رضي الله عنه). انظر: ابن سعد، الطبقات، ج١، ص٢٩٦. ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله (٤٦٣هـ/ ١٠٧٠م)، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق علي محمد البجاوي، مكتبة نهضة مصر، الفجالة، د.ت، ج١، ص٥٨.

الحديبية في (ذي القعدة ٦هـ/آذار ٦٢٨م) للعمل على إنهاء المسألة في هذا العام الذي شـهد انتصار الروم على الفرس في آذار سنة ٦٢٨م، الذي وصل خبره إلى الرسول(ﷺ) وفـرح بـه المؤمنون لتحقق النبوءة التي أخبر بها الرسول(ﷺ) عن ربهِ عز وجل وقد أشار القرآن الكـريم إلى ذلك في قولهِ تعـالى:﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ﴿٣﴾ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[1] فهذا أمر له أهميته في سياسة الرسول المستقبلية تجاه بـلاد الشام والعمل على تمهيد الطرق وتأمينها، وهذا يظهر على نحوٍ أو آخر أهمية وادي القرى وما حولها بوصفها منطقة استطلاعية وأساسية للجيوش الإسلامية ورصد تحركات الروم وأحلافهـم من العرب المتنصرة كما هو الحال في حملة ذات أطلاح فيما وراء وادي القرى من ناحية الشام مكونة من خمسة عشر رجلاً في (ربيع الأول ٨هـ/تموز ٦٢٩م)[٢].

(1) سورة الروم، من الآية (١-٥).

(2) ابن هشام، السيرة، ج٣، ص٢٢٦. الواقدي، المغازي، ج١، ص٧٥٣. ابن سعد، الطبقات، ج٢، ص١١٩. الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٣، ص٢٩.

فتح وادي القرى

رأى الرسول(ﷺ) منذ وقت مبكر أن فتح وادي القرى يقوم على أمرين أساسـيين الأول منهما: استخدام الطرق الدبلوماسية، حيث أرسل رسله إلى القبائل العربية المنتـشرة فـي وادي القرى يدعوها للإسلام، أو العمل على تحييدها في الصراع الدائر بين المـسلمين مـن جهـة وقريش واليهود من جهة أخرى، لا سيما أن بعض هذه القبائل ترتبط بأحلاف ومـصاهرة مـع قريش كقبيلتي عذرة وبلي[١]، ويرتبط بعضها بأحلاف وعقود مع اليهود في وادي القرى مقابـل طُعمة وأُكل يقدمه اليهود لهم في كل عام كقبيلة عذرة[٢] وقبيلة فزارة[٣].

وقد كتب إلى زمل بن عمرو العذري أماناً له ولقبيلته عذرة [٤]، وكذلك كتب إلى جـزء بن عمرو العذري[٥]، وإلى بني جعيل من قبيلة بلي[٦]، وإلى سعد هذيم بوادي القرى أيـضاً[٧]، وقضاعي بن عمرو العذري[٨]، ووادع فزارة وسمح لها بالانتجاع جهات المدينة[٩]، وقد تفاوتت ردود هذه القبائل، فكانت فزارة أكثرها عداوة للمسلمين، ونقـضاً للعهـود والمواثيـق، وفقـاً لمصالحها الخاصة، في حين لعبت قبيلة عذرة دوراً إيجابياً ومهماً تمثل بتقديم الأدلاء للمـسلمين في بعض غزواتهم وسراياهم فيما وراء وادي القرى[١٠]، كدومة الجندل فـ ـي (ربيـع الثـاني ٥هـ/أب٦٢٦م) مثلاً.

---

(1) ابن هشام، السيرة، ج٢، ٦٢٣. الواقدي، المغازي، ج١، ص٧٧٠. ابن سعد، الطبقات، ج١، ص٤٨. ابن حبيب، المنمق، ص٢٩. البلاذري، أنساب الأشراف، ج١، ص٢١. ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن محمد(ت٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م)، الكامل في التاريخ، دار صادر، بيروت، ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م، ص.

(2) البكري، معجم ما استعجم، ج١، ص٤٣.

(3) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج٢، ص١٧٢.

(4) محمد حميد ا ، مجموعة الوثائق السياسية، ص٢٣٥.

(5) ابن عبد البر، الاستيعاب، ج١، ص ٢٧٥. محمد حميد ا ، مجموعة الوثائق السياسية، ص٢٣٦.

(6) ابن سعد، الطبقات، ج١، ص٢٣٣.

(7) المصدر نفسه، ج١، ص٢٣٣.

(8) المصدر نفسه، ج١، ص٢٧٠.

(9) ابن سعد، الطبقات، ج٢، ص٥٩. النويري، نهاية الأرب، ج ١٧، ص ١١٧. ابن سـيد النـاس، عيـون الأثر، ج٢، ص ٨٣.

(10) حول الأدلاء انـظر: الواقدي، ج١، ص٤٠١، ص٥٥٨، ص١١١٧. ابن سعد، الطبقات، ج٢، ص٥٩.

أما الأمر الثاني، فهو الجانب العسكري، إذ تذكر المصادر أن الرسول(ﷺ) قام بإرسـال سريتين الأولى في (رجب ٦هـ/ كانون ثاني ٦٢٨م) والثانية في (رمـضان ٦هــ/ ٦٢٨م) بقيادة زيد بن حارثة(ﷺ)[١]، وقيل إن الثانية كانت بقيادة أبي بكر الصديق(ﷺ)[٢]، وإن أغفلـت المصادر سبب الحملة الأولى فإنها اختلفت حول سبب الحملة الثانية فقيل إن السبب هو تعـرض فزارة لتجارة المسلمين مع الشام، وقتلها بعض الأفراد الذين كانوا مع هذه التجارة، وذكروا من بين الأسباب –أيضاً- تخطيط "أم قـرفة الفزارية" التي خططت لغزو المدينة بأربعين رجلاً من أبنائها وأحفادها!، ويذكر اليعقوبي أن الرسول بعث زيداً بخيل عظيمةٍ، واقتتلوا قتـالاً عظيمـاً وهزمت بنو فزارة، وقُتلوا وسبِيت بنو فزارة [٣].

ويبدو أن الرسول(ﷺ)، قرر بعد عقد صلح الحديبية مع قريش، أن يضع حـداً فاصـلاً لأعدائه في شمال الحجاز، والمتمثل في منطقة خيبر ووادي القرى، وقد ذكرت الأسـباب التـي دعته إلى ذلك، فبعد أن عقد صلح الحديبية أقام في المدينة شـهراً أو شـهرين أكمـل خلالهـا استعداداته للقيام بعمل عسكري حاسم لليهود وأحلافهم في خيبر ووادي القرى، وكان ذلك فـي

---

(1) ابن اسحاق، السيرة، ج١، ص٥١١. ابـن هـشام، الـسيرة، ج٤، ص٢٦٥. الواقـدي، المغـازي، ج٢، ص٦١٦. ابــن ســعد، الطبقــات، ج٢، ص٨٧. خليفــة بــن خيــاط العــصفري، أبــو عمــرو خليفة(ت٢٤٠هـ/٨٥٤م)، تاريخ خليفة، تحقيق أكـرم ضـياء العمـري، ط٢، دار طيبـة، الريـاض، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، الرياض، ص٤٦. ابن حبيب، المحبر، ص ١١٩. الطبري، تاريخ الرسل والملـوك، ج٣، ص١٦. ابن سيد الناس، عيون الأثر،ج٢، ص١٢٣.

(2) الإمام مسلم بن الحجاج (ت٢٦١هـ/٨٧٤م)، الجامع الصحيح المسمى بصحيح مسلم، القاهرة، دار إحيـاء الكتب العربية، القاهرة، د.ت، ج٣، ص١٣٧٥. ابن حزم، علي بن أحمد(ت٤٥٦هـ/١٠٦٣م)، جوامع الـسير، تحقيق إحسان عباس، دار المعارف ،مصر، ١٩٩٠، ط١، ج١ ص١٩. ابن سيد النـاس، عيـون الأثـر، ج٢، ص١٥٤. الصالحي، محمد بن يوسف (ت٩٤٢هـ/١٥٣٥م)، سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، تحقيـق الشيخ عادل أحمد عبدالموجود، والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، ط١، ص١٤١٤هــ/١٩٩٣م، ج٦، ص٩٢.

(3) اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص٧١. السهيلي، الروض الآنف، ج٤، ص ٤٠٩. ذكرت بعض المصادر روايات غريبة حول الطريقة التي قتلت بها " أم قرفة " حيث ربطت بحبلين من رجليها بين بعيرين حتى تقطعت ! أي التمثيل بها وهي عجوز كبيرة! حـول قتـل أم قرفة انـظر: الواقدي، المغازي، ج١، ص٥٦٤. ابن سعد، الطبقات، ج٢، ص٨٧٠. البلاذري، أنساب الأشـراف، ج١، ص٤٨٥. اليعقـوبي، تـاريخ، ج٢، ص٧٠. وحــول نقـد هذه الرواية انـظر: الهـلابي، عبد العزيز بن صالح" سرية زيد بن حارثة إلى بني فزارة: دراسـة نقـدية للروايات التاريخية "مجلة كلية الآداب، جامعة الملك سعود، مجلد١٣، عدد١، الرياض، ١٩٨٦، ص٦١-٨١.

صفر من السنة السابعة للهجرة[1] حيث وصل الرسول إلى خيبر وبعد حصار دام أياماً استطاع أن يدك حصونها ويفتتحها حصناً حصناً ويقضي على اليهود ويكسر شوكتهم، بحيث لم تقم لهم قائمة هناك حتى تم إجلاؤهم في عهد الخليفة الثاني عمر بن الخطاب(ﷺ).

رتب الرسول(ﷺ) جيشة، بعد أن فرغ من خيبر، استعداداً لغزو وادي القرى فسلك طريق برمة حتى انتهى إلى وادي القرى يريد اليهود[2] وأحلافهم من العرب.

لم تقدم المصادر تفاصيل تذكر حول فتح الرسول(ﷺ) لوادي القرى، واكتفوا بأن الرسول لما فرغ من خيبر توجه إلى وادي القرى فحاصر أهله ليالٍ ثم عاد إلى المدينة [3]، في حين أن الواقدي ونقل عنه آخرين يعطي تفاصيل أكثر لغزوة وادي القرى، معتمداً على رواية لأبي هريرة(ﷺ) إذ يقول: " خرجنا مع رسول ا (ﷺ) من خيبر إلى وادي القرى، وكان رفاعة بن زيد بن وهب الجذامي قد وهب لرسول ا عبداً أسودً يقال له: مدعم، كان يرحل لرسول ا ، فلما نزلوا بوادي القرى انتهينا إلى اليهود[4] " ويخبرنا الواقدي عن طبيعة الجيش الذي استقبل المسلمين في وادي القرى وأنه مكون من اليهود وأحلافهم من العرب حيث يذكر: " وقد انضوى إليهم أُناس من العرب.." [5] ومن بين هؤلاء العرب بعض من قبيلة عذرة المرتبطة معهم بحاف قوي وقديم؛ مقابل طُعمة وأُكل يأخذونه من اليهود في كل عام[6].

ثم يواصل الواقدي تقديم تفاصيل المعركة، ومدى الاستعداد الذي كان عليه جيش العدو في وادي القرى، وإمكاناتهم العسكرية وأسلحتهم التي اعتمدوا عليها والدعاية لقوتهم من خلال المبادرة بالقتال والصياح، كحربٍ نفسية على المسلمين، الذين لم يتهيئوا بعد لملاقاتهم وهم متحصنون بأطامهم وحصونهم حيث يقول: "وعبأ رسول ا أصحابة للقتال وصفّهم ودفع لواءه إلى سعد بن عبادة، وراية إلى الحباب بن المنذر، وراية إلى سهل بن حنيف، وراية إلى عباد بن بشر، ثم دعاهم الرسول إلى الإسلام وأخبرهم إن أسلموا أحرزوا أموالهم وحقنوا دماءهم

(1) الواقدي، المغازي، ج١، ص٦٣٤. ابن سيد الناس، عيون الأثر، ج٢، ص ١٨١.

(2) الواقدي، المغازي، ج١، ص٧١٠.

(3) ابن إسحاق، السيرة، ج١، ص٦٥. ابن هشام، السيرة ،ج٣، ص٣٥٣. ابن سعد، الطبقات، ج١، ص٤٩٨. الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٣، ص١٦. ابن حزم، جوامع السيرة، ج١، ص.٢١٩ ابن الأثير، الكامل، ج٢، ص٢٢٢.

(4) الواقدي، المغازي، ج١، ص٧١١. الذهبي، تاريخ الإسلام، ج١، ص٢٨٥.

(5) الواقدي، المغازي، ج١، ص٧١١. النويري، نهاية الأرب، ج١٧، ص١٩٠.

(6) البكري، معجم ما استعجم، ج١، ص٤٣.

وحسابهم على ا [1]، أي أن الرسول(ﷺ). دعاهم للسلم ولكنهم رفضوا ذلـك، ويبـدو أن حـال اليهود ومن حالفهم من العرب كان أكثر تماسكاً من الحال التي كان عليها يهود خيبر وأحلافهم؛ نظراً لقوة المصالح فيما بينهم.

ويفهم من رواية الواقدي للمعركة، أنها معركة مهمة وحاسمة، حيث برز من المـسلمين شخصيات لها ثقلها الحربي في الغزوات الإسلامية مع الرسول(ﷺ) وهم: الزبير بـن العـوام، وعلي بن أبي طالب، وأبو دجانة سماك بن خرشة، واستطاع كل شخص من الثلاثة أن يقتل من برز إليه حتى وصل عدد قتلى العدو أحد عشر قتيلاً. واستمرت المعارك حتى المساء، ثم غـدا المسلمون عليهم في اليوم الثاني فلم ترتفع الشمس قيد رمح حتى أعطوا بأيديهم، وفتحها عنـوة وغنمه ا أموالهم، وأصابوا أثاثاً ومتاعاً كثيراً، وأقام الرسول(ﷺ) بوادي القرى أربعـة أيـام، وقسم ما أصاب على أصحابة، " وترك النخل والأرض بأيدي اليهود وعاملهم عليها "[2].

ويبدو أن اختراقاً قد حدث في جبهة اليهود وأحلافهـم فـي وادي القـرى، مـن قبـل الرسول(ﷺ) وأصحابه عن طريق مبادرات وتفاهمات، لم تذكرها المصادر، مع القبائل العربيـة المتحالفة مع اليهود هناك، لا سيما قبيلة عذرة – وربما سعد هذيم أيضاً - التي تُعد المتـضرر الأكبر من سقوط وادي القرى بأيدي المسلمين، إن لم يكن لهم ما يضمن أو يبقـي امتيـازاتهم السابقة. ويبدو أن المسلمين قد فاوضوهم على ذلك، وتركوا لهم تلك الامتيازات مقابل الانسحاب من هذا الحلف. إذ يوجد في بعض المصادر ما يشير إلى ضمان ما كان لهم من اليهود سـابقاً، حيث ذكر أن وادي القرى قُسم أثلاثاً، كان لبني عذرة منها الثلث، نظراً لحلف كان بينهم وبـين اليهود، ثم أن عمر بن الخطاب أقر لهم حق الشفعة لأراضي اليهود بعد أن أجلى اليهـود مـن وادي القرى في سنة ٢٠هـ/٦٤٠م، فتملكوا جزءاً كبيراً من ملكيات اليهود في وادي القرى[3].

---

(1) الواقدي، المغازي، ج١، ص٧١١. وانظر البلاذري، فتوح البلدان، ص ٤٧.

(2) الواقدي، المغازي، ج١، ص٧١١. القاسم بن سلاّم، الأموال، ص١٠٨، البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي (ت٤٥٨هـ/ ١٠٦٦م)، السنن الكبرى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، ج٩، ص٢٠٩. الصالحي، سبل الهدى، ص١٤٩. قـارن مع، البلاذري، فتوح البلدان، ص٤٧. ابن سيد النـاس، عيـون الأثر، ج٢، ص١٥١.

(3) الماوردي، علي بن محمد (ت ٤٥٠هـ/ ١٠٥٨م)، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، مطبعة مـصطفى الحلبي، القاهرة، ط١، ١٣٩٣هـ، ص ١٥.السرخسي، محمد بن أحمد (ت ٤٨٣هـ/ ١٠٩١م)، كتـاب المبسوط، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، (١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م)، ج١٧، ص ٧١. المطري، المعـرب، ج١، ص ٢١٢.

وبهذه الصورة استطاع الرسول(ﷺ) أن يفتح وادي القرى، وأن يضمه نهائياً تحت سلطة الدولة الإسلامية، ويقضي على الخطر اليهودي في شمال الحجاز، ويضيف نصراً جديداً للمسلمين، ويمهد الطريق لسير الفتوحات في المستقبل، وقد كان ضم وادي القرى نقطة أساسية في إضعاف قريش وحلفائها من اليهود هناك.

التنظيمات الإدارية

يعد وادي القرى منطقة واسعة، تتوزع فيها عدة قبائل عربية، ترتبط فيما بينها بمصالح مشتركة؛ كالكلأ والماء والمرعى، ولكل قبيلة أو عشيرة سيد له سلطته التي تفرضها وتقررها القبيلة، ويوجد في بعض القرى في الوادي عدد غير قليل من اليهود الغالبين على بعض القرى لهم تنظيماتهم وتقاليدهم الدينية، والاجتماعية الخاصة بهم، بحيث يقتضي هذا الأمر إقراراً لتنظيمات تتناسب مع الأوضاع المحلية السائدة في المنطقة، وطريقة انضمام أهلها إلى الإسلام، دون أية شروط تعسفية لا سيما تجاه القبائل العربية الموجودة في المنطقة، وترك لهم حرية الدين، كذلك اليهود الذين رضخوا لشروط الرسول(ﷺ) واعترفوا بسلطة المدينة عليهم بعد أن فتحت أرضهم عنوة[١]، وعاملهم على الأرض كمعاملته يهود خيبر[٢].

اتخذ الرسول (ﷺ) في المدينة بعض الإجراءات الإدارية، والتدابير التي تعبر عن بداية ظهور التنظيمات الإدارية في الدولة الإسلامية بعد أن هاجر إلى المدينة وكتب ما عرف باسم " الصحيفة " أي الدستور الإسلامي الإسلامي الأول، التي تجلى فيها أسس التنظيم الإداري للدولة الإسلامية. وعندما أصبح وادي القرى جزءاً من الدولة الإسلامية أصبح خاضعاً للتنظيمات الإدارية والمالية التي تفرضها السلطة في المدينة. وتعد المراسلات والمكاتبات التي بعث بها الرسول إلى القبائل في وادي القرى بداية لظهور التنظيمات الإدارية في وادي القرى.

وتشير بعض المصادر إلى بعض عمأل الرسول بالوادي، إلا أنها اختلف في تحديد أماكن ولاياتهم، فيذكر ابن حبيب أن الرسول(ﷺ) عين عمرو بن سعيد بن العاص عاملاً له على وادي القرى[٣]، بينما يذكر خليفة بن خياط أن عمرو بن سعيد كان والياً للرسول(ﷺ) على خيبر ووادي القرى وتيماء، ثم ضمت إليه تبوك فيما بعد [٤]، كان من أهل السابقه في الإسلام[٥]،

(1) ابن هشام، السيرة، ج٣، ص٣٥٤. الواقدي، المغازي، ج١، ص٧١١.

(2) الواقدي، المغازي، ج١، ص٧١٢. البلاذري، فتوح البلدان، ص٤٧.

(3) ابن حبيب، المحبر، ص١٢٦. البلاذري، فتوح البلدان، ص٤٨. ابن حزم، أبي محمد علي بن أحمد، جمهرة أنساب العرب، تحقيق عبد المنعم خليل إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٧م، ص٨٠. ابن سيد الناس، عيون الأثر، ج٢، ص١٥١.

(4) خليف بن خياط، تاريخ، ص٦٠. قارن مع البلاذري، أنساب الأشراف، ج٦، ص٤٦.

(5) ابن عبد البر، أبو عمر يوسف، الإستيعاب في معرفة الأصحاب، دار إحياء التراث، ط١، بيروت، ١٣٢٨هـ، ج١، ص٣٦٤. ابن حجر، الإصابة، ج٢، ص٢٩٢.

هاجر الهجرتين إلى الحبشة وإلى المدينة، وقدم على الرسول(ﷺ) وهو في خيبر[١]، وبقي والياً على وادي القرى حتى وفاة الرسول(ﷺ)[٢]. وتذكر المصادر أنه رجع عن عمله بعد وفاة الرسول(ﷺ) هو وأخوه خالد[٣]، الذي كان والياً على اليمن، وكذلك أخوهم الحكم الذي كان والياً على نجران وقد رفضوا الولاية بعد وفاة الرسول (ﷺ)[٤]، وشارك مع الرسول في فتح مكة وحنين والطائف[٥]، وانتقل مع طلائع جيوش الفتح في بلاد الشام حيث استشهد مع أخيه أبان بن سعيد[٦] بأجنادين سنة ١٣هـ وقيل: بمرج الصفر من نفسها السنة [٧] وقيل: في وقعة اليرموك سنة ١٥هـ/٦٣٦م[٨].

ثم يذكر البلاذري أن الرسول(ﷺ) ولى يزيد بن أبي سفيان وادي القرى بعد فتح مكة وكان قد أسلم يوم الفتح، وشهد حنيناً، وهو يتناقض مع الإشارة السابقة التي تقول إنه بقي عليها واليا على الوادي حتى قُبض الرسول(ﷺ) بينما يذكر أن الرسول استعمله على نجران[٩]. وقيل:

---

(1) ابن هشام، السيرة، ج٤، ص٤. ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر(ت٧٧٤هـ/١٣٧٢م)، السيرة النبوية، تحقيق مصطفى عبد الواحد، دار الطباعة، بيروت، ١٣٩٦هـ/١٩٧١م، ج٣، ص٣٩١.

(2) ابن حجر، الإصابة، ج١، ص٢٩٢.

(3) خالد بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب، من السابقين إلى الإسلام، هاجر إلى الحبشة، ورجع في السنة السابعة من الهجرة. شارك في فتوحات الشام، واستشهد بأجنادين (١٣هـ/٦٣٤م). ابن سعد، الطبقات، ج٤، ص٩٠. ابن عبد البر، الاستيعاب، ج٢، ص٤٢٠. ابن الأثير، أسد الغابة، ج٢، ص ١٢٤. ابن حجر، الإصابة، ج١، ص ٤٠٦.

(4) ابن عبد البر، الاستيعاب، ج١، ص ١٢٥. ابن حجر، الإصابة، ج١، ص٢٣٦.

(5) الواقدي، المغازي، ج١، ص٩٣١. ابن عبد البر، الاستيعاب، ج١ ، ص٣٦٤. ابن حجر، الإصابة، ج١ ص٢٩٢.

(6) أبان بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب، أسلم بعد أخويه خالد وعمر، وكان إسلامه بين الحديبية وخيبر، وهو الذي أجار عثمان بن عفان(ﷺ) حين بعثة الرسول(ﷺ) إلى قريش عام الحديبية، استعمله الرسول(ﷺ). على البحرين، شارك في فتوحات الشام واستشهد (١٥هـ/٦٣٦م) في معركة اليرموك. انظر: الواقدي، فتوح الشام، ج١، ص ١٤٠. بن عبد البر، الاستيعاب، ج١، ص ٦٢. ابن الأثير، أسد الغابة، ج١، ص١٤٨. ابن حجر، الإصابة، ج١، ص ١٣.

(7) ابن هشام، السيرة، ج٤، ص٤. ابن عبد البر، الاستيعاب، ج٣، ص١١٧٧.

(8) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٣، ص ٤٠٢.

(9) البلاذري، أنساب الأشراف، ج١، ص٢٣٠.

إنه كان أميراً على تيماء [1] حتى دعاه أبو بكر(ﷺ) وعقد له رايةً على جيش من ألـف فـارس إلى بلاد الشام في سنة١٣هـ [2].

ومن أهم الأعمال التي كان يقوم بها الولاة وتسند إليهم في زمن الرسول(ﷺ) والخلفـاء الراشدين من بعده، فهي إمامة المسلمين في الصلاة أولاً، فكان الرسول(ﷺ) إذا بعث أميراً جعل الصلاة إليه [3]، وجمع الزكاة وجبايتها، ومتابعة المصدقين، والأمن وتعليم الناس الدين، والقضاء بين الناس.

أما بالنسبة إلى القبائل في الوادي، فلم يرد ذكر إرسال الرسول(ﷺ) أية ولاة على القبائل في وادي القرى، أو فرض تنظيمات خاصة بهم، غير أنه أرسل من يقـوم بجمـع الزكـاة أو المصدقين لجباية الصدقات وبعض الكتب التي فيها تعاليم الدين. كما أنه بعـث بعـض الرسـل والكتب إلى مجموعة من القبائل في وادي القرى يدعوهم فيها للإسلام، ويؤمنهم بأمان الإسلام، وحمايته، ويعلمهم فرائض الدين والصدقة فدخل بعضها في الإسلام، بل منهم من استـشهد فـي سبيله قبل فتح وادي القرى كورد بن سعد هذيم[4]. وهذه الرسائل إمـا لأفـراد أو جماعـات أو شيوخ وزعماء، وقد ذُكر أنه كتب إلى من جاء إليه مثل زمل بن عمرو العذري أماناً له ولقبيلته وبعثة إلى قومه عامة، وعقد له لواء عليهم[5]، وكذلك كتب إلى جزء بن عمرو العذري[6]، ومن قبيلة بلي بعث إلى بني جعيل وأن لهم ما أسلموا عليه من أموالهم[7]، وقـضاعي بـن عمـرو الـعذري[8]، وجـنادة العذري[9]، وأرسل إلى سعد هذيم كتاباً يعلمهم فيه فرائض الصـدقة[10].

---

(1) ابن حبيب، المحبر، ص١٢٦. اليعقوبي، تاريخ، ص ٧٦.

(2) الواقدي، فتوح الشام، ج١، ص٢٥. الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٣، ص٣٨٧.

(3) الكتاني، عبد الحي، التراتيب الإدارية، نشر حسن جعنا، د.ت، بيروت، ج١، ص٦٣.

(4) ابن هشام،السيرة، ج٤، ص١٩.الواقدي،المغازي، ج١، ص٣٦٥. محمد حميـد ا ، مجموعـة الوثـائق السياسية، ص٢٨٢.

(5) ابن عبد البر، الاستيعاب، ج٢، ص١٦٨. محمد حميد ا ، مجموعة الوثائق السياسية، ص٢٣٥.

(6) ابن سعد، الطبقات، ج١، ص٢٨٦. محمد حميد ا ، مجموعة الوثائق السياسية، ص٢٣٨.

(7) ابن سعد، الطبقات، ج١، ص٢٣٣.

(8) المصدر نفسه، ج١، ص٢٧٠.

(9) محمد حميد ا ، مجموعة الوثائق السياسية، ص٢٠٩.

(10) ابن سعد، الطبقات، ج١، ص٢٣٣. محمد حميد ا ، مجموعة الوثائق السياسية، ص٢٣٤.

وهكذا يبدوا بأن كانت جل مطالب الرسول(ﷺ) ممن وجهت إليه الكتب هو: " الإسلام وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة "، فهي متطلبات محدودة بالإسلام والإقرار بالانضمام إلى دولته وقبول رعايتها وحمايتها مع بقاء التجمعات القبلية، وربما نُظمها ورؤسائها ما دامت لا تعارض الإسلام ودولته[1].

وفي السنة التاسعة قدم على الرسول(ﷺ) في المدينة عدة وفود من قبائل وادي القرى منهم: وفد عذرة فيهم جمرة بن النعمان العذري، وكان سيد بني عذرة، وهو أول من قدم من أهل الحجاز على النبي(ﷺ) بصدقة بني عذرة عن طاعة ورضا [2]، ووفد بلي[3]، وفزارة [4]، وسعد هذيم[5]، وأقرت هذه القبائل بالإسلام وسلطة الرسول(ﷺ) عليهم.

ويعد إسلام الوفد من حيث العموم معبراً عن إسلام العشيرة، ولم يرد ذكر لاحتجاج أية قبيلة على إسلام وفدها أو مقاومتهم له، وكان الإسلام رمزاً لارتباط القبيلة بدولة الإسلام وتقديرها لمثل الدولة [6].

وقضى الرسول(ﷺ) على بقايا الوثنية التي كانت سائدة بين العرب في وادي القرى؛ حيث نهى بني عذرة عن سؤال الكاهنة، ونهاهم عن الذبائح التي كانوا يذبحونها، وأخبرهم أنهم ليس عليهم إلا الأضحية[7].

إن ما ذُكر سابقاً يظهر صورة عن بداية التنظيم الإداري في عصر الرسول(ﷺ)، سواء في الوادي، حيث فتح الرسول(ﷺ) وادي القرى عنوة، وأخذ خُمسه وفق آية الغنائم، وقسمه كما هو الحال في خيبر، أو سلّم بمبدأ تقسيم هذه الأراضي غنائم[8]، وعين الولاة وبث المصدقين على القبائل هناك، وأقطع الإقطاعات لبعض الأفراد. ولأسباب متنوعة تبدو هذه بمثابة أسس

(1) العلي، صالح، الإدارة، ص٩٨.

(2) ابن سعد، الطبقات، ج١، ص٢٨٦. البلاذري، فتوح، ج١، ص٤٠. الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد(ت ٣٦٠هـ/٩٧٠م)، الأوائل، تحقيق محمد شكور، مؤسسة الفرقان، بيروت، ١٤٠٣هـ، ص ١١٨. ابن سيد الناس، عيون الأثر، ص ١٩٧، ص ٣٣٥.

(3) ابن سعد، الطبقات، ج١، ص٢٨٥. ابن سيد الناس، عيون الأثر، ص ١٩٧، ص ٣٣٥.

(4) ابن سعد، المصدر نفسه، ج١، ص ٢٥٧. ابن سيد الناس، عيون الأثر، ص ١٩٧، ص ٣٣٥.

(5) ابن سعد، المصدر نفسه، ج١، ص٢٨٤. ابن سيد الناس، عيون الأثر، ص ١٩٧، ص ٣٣٢.

(6) العلي، دولة الرسول، ص ٣٤٢.

(7) ابن سيد الناس، عيون الأثر، ج٢، ص٣٣٥. ابن الجوزية، زاد المعاد، ج٣، ص٦٥٧.

(8) الدوري، النظم الإسلامية، ص٩٤.

وقواعد مهمة للتنظيم الإداري والمالي في وادي القرى خاصة، وفي الجزيرة العربيـة عامـةً، ويعني كذلك اعترافًا ضمنيا من القبائل في وادي القرى بالإسلام بوصفة ديناً وسلطة.

وسار الخلفاء الراشدون على نهج الرسول(ﷺ) في الجوانب الإدارية والمالية، وأقروا ما أقره الرسول(ﷺ)، ولما قدمت وفود العرب على أبي بكرﷺ بعـد وفـاة الرسـول(ﷺ) يقـرون بالصلاة ويمنعون الزكاة لم يقبل أبو بكر(ﷺ) منهم هذا[١]، وامتنع عدة أشخاص في وادي القرى عن دفع الزكاة، ووقف معهم من آزرهم من أفراد قبيلة سعد هذيم، وأفراد من قبيلة عـذرة [٢]، وكانت أشد القبائل المرتدة قبيلة فزارة التي كونت حلفاً قوياً مع أسد وطي[٣].

أما بالنسبة إلى قبيلة عذرة وسعد هذيم وعامة قضاعة؛ فقد أرسل إلـيهم الخليفـة أبـو بكر(ﷺ) عمرو بن العاص(ﷺ) الذي طاردهم " وبث الخيول فيهم وأمرهم أن ينهضوا من أقـام على الإسلام إلى من رجع عنه وفر بعض هؤلاء المرتدين إلى دومة الجندل"[٤].

وتعد قبيلة فزارة بقيادة عيينة بن حصن من أشد القبائل ردة في وادي القـرى؛ نظـراً لعدائها القديم للمسلمين، وقد حالف عيينة طليحة الأسدي في بزَاخَة بدافع التعصب القبلي[٥] حلفه القديم مع بني أسد وتابع طليحة[٦] وقاتل معه بسبعمئة مقاتل من بني فزارة [٧]، وقد هزموا على يد المسلمين.

ويمكن القول أن معظم منطقة وادي القرى وقبائلها لم تكن ذات ردة واضحة، كما هـو الحال في أماكن أخرى، فقد كانت عودة من ارتد منهم سهلة وسريعة، حيث أمر أبـا بكـر(ﷺ) عمرو بن العاص(ﷺ) أن يستعين بقبيلة بـلي وعـذرة، وسـائر قـضاعة فـي منطقـة وادي القرى[٨]، وهو المعروف برفضه مشاركة القبائل المرتدة مع جيوش الفتح.

---

(1) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٣، ص٢٤٩.
(2) المصدر نفسه، ج٣، ص٢٤٣.
(3) المصدر نفسه، ج٣، ص٢٤٤.
(4) المصدر نفسه، ج٣، ص٢٤٣.
(5) خزنة كاتبي غيداء، أوليات الفتوح ص١٤٣.
(6) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٣، ص ٢٥٦.
(7) المصدر نفسه، ج٣، ص ٢٥٦.
(8) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٢، ص١٥٥.

واطلع الخليفة عمر بن الخطاب(ﷺ) في طريق عودته من بلاد الـشام ١٨هـ ـ/٦٤٠م على الأوضاع في وادي القرى، ونزل إليه الناس، واستقبلوه، وأخـذوا يـسألونه عـن بعـض الجوانب والمسائل الدينية[١]. وقد عرف عن عمر(ﷺ) تشدده في أمور الرعية والولاية، وكـان يحدد لولاته أسلوب العمل وقواعده، وهو الذي يقول لأحد ولاته: " إني لم استعملك على دمـاء المسلمين، ولا على أعراضهم ولكن استعملك لتقيم فيهم الصلاة، وتقسم فـيهم فيـأهم، وتحكـم بالعدل" [٢]. ولا بد أن شيئاً من هذا العدل قد وصل إلى وادي القرى بل وتجاوزه إلـى الأمـاكن الأخرى.

ولا تختلف الإجراءات الإدارية في وادي القرى في العهد الأموي عنهـا أيـام الخلفـاء الراشدين؛ باعتبار تلك الفترة امتداد للفترة الراشدة، حيث كان المركز الرئيسي للحجاز في ذلـك العهد هو المدينة، وقد كان الوالي- في الغالب- يعين نائباً له في مكة، وقد يكون التعيين للنائب من قبل الخليفة مباشرة، ويولي الوالي عمالاً على الطائف والبلدان الأخرى مثل ينبع، وخيبـر، ووادي القرى، ومعدن بني سليم[٣].

وفي العهد الأموي ازدهرت بعض المدن والقرى في وادي القرى، فكان لابد أن يعـين الخلفاء عليها ولاة حسب حجمها وأهميتها. وقد أطلقت بعض المصطلحات والتعـابير الإداريـة التي تعكس حجم هذه القرى مثل: مصطلح " الجامع " أو "_المنبر " أو " بلد " ونجـد فـي وادي القرى مثل هذه التعابير [٤] وهذه الأماكن التي لا بد أن يكون لها ولاة أو قد يعينهم والي الإقليم.

كما وجد بعض القرى أو البلدات الصغيرة في العهد الأموي مثل قرية: "معدن بني سليم" عين عليها الوالي عاملاً[٥]، وعين الأمويون الحجاج بن يوسف الثقفي عاملاً على تبالـة، فلمـا رآها أبى أن يليها، واستخف بأهلها وعاد زاهداً في ولايتها، فقيل في المثل: أهون من تبالة على الحجاج[٦] وكان لابد أن يهتم الأمويون بمنطقة وادي القرى الحيوية والإسـتراتيجية عـسكرياً واقتصادياً لجملة الأسباب والميزات المهمة التي يمتاز بها وادي القرى.

---

(1) ابن أعثم، الفتوح، ج١، ص٢٣١.

(2) ابن الجوزي، سيرة عمر، ص١٤٠.

(3) الهلابي، عبد العزيز، " الأحوال العامة في الجزيرة العربية عند قيام الدولة العباسـية " النـدوة العالميـة الخامسة لتاريخ الجزيرة العربية ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، الكتاب الخامس، ج١، ص٨.

(4) ابن زبالة، أخبار المدينة، ص٥٥. الحربي، المناسك، ص٣١٢. المقدسي، أحسن التقاسيم، ص٥٩.

(5) الهلابي، الأحوال العامة في الجزيرة، ص٩.

(6) البلاذري، أنساب الأشراف، ج٤، ص ٣٠٢.

ودخل وادي القرى تحت سلطة عبد الله بن الزبير(ﷺ) أثناء سيطرته على الحجاز، وحرص أن يكون تحت ولايته، وإدارته فسيطر عليه وعين والياً له اسمه الجراح بن الحصين بن الحارث[١]، وقيل: ابنه الجارح أو الجراح بن الحصين الجعفي، الذي كان من أتباع ابن الزبير، الذي ولاه فيما بعد وادي القرى[٢]، وقيل: أنه الحارث بن الحصين بن الحارث بن قيس الجعفي[٣]، وكان لعبد الله بن الزبير(ﷺ) في وادي القرى تمر كثير ،وقيل من تمر الصدق، فوهبه الجراح للناس، فبلغ ذلك ابن الزبير فاستدعاه فلما قدِم عليه ضربه وعزله، وقال له: أكلت تمري، وعصيت أمري "[٤].

ولم تذكر المصادر ولاة على وادي القرى في العهد الأموي سوى دجاجة بن ربعي في خلافة عبد الملك بن مروان، وكان أهل بثينة قد شكوا إليه جميل بن معمر وتردده على ابنتهم، فأهدر دمه لهم إن عاود زيارتها [٥].ولم تذكر له أية أعمال غير ذلك.

أما تعيين القضاة في وادي القرى فيعود لولاة البلدان في العصر الأموي، حيث يذكر وكيع في كتابه القضاة أن ولاة البلدان يولّون من أرادوا من القضاة [٦].

وترد إشارات إلى تعيين عمال على الطرق المهمة الموصلة بين المدن في الحجاز، ومنها وادي القرى الذي يقع على ملتقى هذه الطرق التي تربط بين الحجاز ومصر والشام، وربما كان الهدف منها سياسياً في كثير من الأوقات لا سيما في أيام ثورة عبد الله بن الزبير[٧].

وتركت القبائل البدوية في وادي القرى لأنفسهم وفق التقاليد القبلية في اختيار زعاماتها، وكل قبيلة مسئولة عن تصرفات أفرادها تجاه الآخرين، لا سيما انضباطهم الأمني وعلاقاتها بالقبائل الأخرى، وهم يحتكمون في نزاعاتهم وخصوماتهم إلى الولاية وقضاتها في المسائل التي لا يحلّونها قبلياً[٨]. وفي حالة فشل القبيلة بحل النزاعات بين أفرادها، تحول إلى الوالي نفسه؛ فقد

---

(1) ابن حزم، الجمهرة، ص ٤٠٩. ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن(ت٣٤٥هـ/٩٥٦م)، الاشتقاق، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ط٣، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٥٨، ص٤٠٧.

(2) ابن الكلبي، نسب معد، ج١، ص ٣٠٧. ابن حجر، الإصابة، ج٢، ص١٢٥.

(3) ابن الكلبي، نسب معد، ج١، ص ٣٠٧. البلاذري، أنساب الأشراف، ج٧، ص١٢٢.

(4) ابن الكلبي، نسب معد، ج١، ص٣٠٧. البلاذري، أنساب الأشراف، ج٧، ص١٢٢-١٢٣.

(5) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج٨، ص ٢٨٥٤.

(6) وكيع، أخبار القضاة، ج١، ص ١٤١.

(7) البلاذري، أنساب الأشراف، ج٧، ص١١٤.

(8) الهلابي، الأحوال العامة في الجزيرة، ص٩.

استدعى أحد الولاة رجلاً من قبيلة عذرة قتل آخر من قبيلته نفسها ليشرف على هذه القضية بعد أن فشلت محاولات القبيلة بحلها [١].

ولا تقدم الدولة للقبائل البدوية أي فريضة أو عطاء يجري عليهم من بيت مال المسلمين لأنهم لا يحضرون محاضر المسلمين؛ ولا يشهدون مشاهدهم، وهم عادة ما ينشغلون بمواشـيهم والتنقل وراء الكلأ، إلا أنهم يجاهدون مع المسلمين، ومع ذلك " فإن لهم حقوقاً وواجبـات علـى الدولة القيام بها، وهي معروفة بالكتاب والسنة وذلك عندما يتعرضـون للقحـط والمجاعـة، أو الاعتداء عليهم من عدوٍ أو إعانتهم في الديات؛ لذا ينحصر دور الدولة في تقديم المـال للقبائـل البدوية فقط في حال كونهم بحاجة إليه، وما يتبع ذلك من حقوق وواجبات على الدولة القيام بهـا تجاههم" [٢].

---

(1) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج٣، ص١٥٢.

(2) أبو عبيد بن سلام، الأموال، ص٣٢٦. البيهقي، السنن الكبرى، ج٦، ص٥٦٦.

التنظيمات الماليـة

عمل الرسول(ﷺ) على تثبيت نظام يؤمـن ازدهار الحياة الاقتصادية بما فيها التجـارة والصناعة والزراعة، فقد أحل الإسلام حكومة مركزية واحدة تُعنى بالصالح العام وتعمل علـى تنسيقه وتنظيمه، وتنشر السلم والأمن ومنع الغزو والقتال بين المسلمين، إذ ألـف بـين قلـوبهم وأصبحوا بنعمته إخوانا، وحرم الربا، ومنع الممارسات غير الأخلاقية والاستغلال، وألغـى مـا كان يأخذه الحكام من عشور وضرائب[١].

واتخذ الرسول(ﷺ) بعد فتح وادي القرى بعض الإجراءات المالية المهمـة، فقـد تـرك اليهود في وادي القرى وعاملهم مثلما عامل عليه أهل خيبر[٢]، وقسم ما أصاب على أصـحابه من الغنائم [٣]، وخمس أراضي اليهود وعاملهم ما عامل عليه أهل خيبر[٤]، وذلـك وفـق آيـة الغنائم قال تعالى: ﴿ ۞ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٖ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ [٥].

وقسمَ الرسول(ﷺ) وادي القرى أثلاثاً، وذلك لأن أرض وادي القرى كانت أثلاثاً: ثلـث لبني عذرة وثلثاها لليهود، صالح الرسول(ﷺ) اليهود على الثلث فصارت أثلاثاً ثلث للرسول(ﷺ) وفيه صدقاته، وثُلُث لليهود، وثُلث لبني عذرة إلى أن أجلى عمر بن الخطاب(ﷺ) اليهـود عـن وادي القرى فبلغت قيمته تسعين ألف دينار، دفعها إليهم، وقال لبني عـذرة: " إن شـئتم أديـتم نصف ما أعطيت ونعطيكم النصف"، فأعطوه، وهو خمسة وأربعون ألف دينار فـصار نـصف الوادي لبني عذرة، والنصف الآخر الثُلث منه في صدقات الرسول(ﷺ)، والسدس منه للمـسلمين كافة، ومصرف جميع النصف سواء[٦].

---

(1) العلي، دولة الرسول، ص٣٨٠.

(2) الواقدي، المغازي، ج١، ص٧١١.

(3) المصدر نفسه، ج١، ص ٧١١.

(4) البلاذري، فتوح البلدان، ص٣٩.

(5) سورة الأنفال، الآية رقم (٤١).

(6) الماوردي، الأحكام الـسلطانية، ج١، ص٣٤٧. السرخـسي، المبـسوط، ج١٧، ص٧١. الفيروزآبـادي، القاموس المحيط، ص٤٨١.

وفي السنة التاسعة فرق لرسول(ﷺ) عماله على البلدان والقبائل [1]، بما فيها قبائل وادي القرى، حيث نزلت أية الزكاة قـال تعـالى:﴿ خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيۡهِمۡۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٞ لَّهُمۡۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[٢]، فولّى الأعجم بن سفيان البلوي على صدقات بنـي عـذرة وبلي في وادي القرى[٣]، وعيينة بن حصن على صدقات فزارة في وادي القرى أيضاً[٤]، وقيـل عمرو بن العاص[٥]، وبعث رجلاً من سعد هذيم على صدقاتهم[٦]؛ أي أُسندت المهمة إلى أحـد رجال القبيلة وهذا له دلالته؛ وربما كان القصد منه تعزيز مكانتهم الإداريـة وتوجيههـا نحـو الإسلام، وهذا يجعل لهم شبه استقلال ذاتي في ممارسة أعمالهم يراعون فيه ما كان سائداً فـي النظم القبلية من مكانة لرئيس القبيلة وشيخها[٧]. وكان الرسول(ﷺ) يأمر مـصدقيه أن يأخـذوا العفو منهم ويتوقوا كرائم أموالهم[٨].

وقد بين الرسول(ﷺ) للمسلمين في وادي القرى ما عليهم من واجبـات فـي الـصدقات والزكاة فبين لهم المقدار الذي يؤخذ، حيث تأخذ الزكاة من الإنتاج الزراعـي علـى الحنطـة، والشعير، والتمر، والعنب، والسلت، والذرة[٩]، ونصاب الزكاة من هذه الصنوف أن تبلغ خمسة أوسق[١٠]، وإذا كانت سيحاً على العيون والأمطار وجب عليه العشر، أما إذا سقي على النواضح

(1) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٣، ص١٤٧.

(2) سورة التوبة، الآية رقم (١٠٣).

(3) خليفة بن خياط، تاريخ، ص٦٢. البلاذري، أنساب الأشراف، ج٢، ص١٩١.

(4) البلاذري ،أنساب الأشراف، ج٢، ص١٩١.

(5) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٢، ص١٦٠. ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج١، ص ٣٨٩.

(6) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٢، ص ١٦٠.

(7) العلي، الإدارة، ص١٠٠.

(8) المرجع نفسه، ص١٠٠.

(9) يحيى بن آدم، الخراج، ص١٠٩. أبو عبيد، الأموال، ص٦٣٥.

(10) يحيى بن أدم، الخراج، ص١٣٢. ابو عبيد ، الأموال، ص٦٣٩. البخاري، الصحيح، ج٢، ص٥٤٠.

والسواقي وجب عليه نصف العشر[1]، وتعد أراضي وادي القرى أراضي عشرية كغيرها من أراضي العرب في الجزيرة العربية ولا خراج عليها.

ولم يفرض خراجاً على أراضي العرب وعدها عشرية، وكان له هدف سياسي من وراء هذا الإجراء؛ فالخراج له معنى الخضوع والذلة، وهو يريد للعرب وحدة سياسية، يقول أبو يوسف: " وقد ترك الرسول(ﷺ) من القرى ما لم يقسم وظهر على مكة عنوة وعلى غير دار من العرب، فلم يقسم شيئاً غير خيبر بالإضافة إلى أن الرسول(ﷺ) ظهر على غير دار من مشركي العرب فتركها على حالها" [٢]، ويظل ذلك بمثابة سوابق مهمة للخلفاء الراشدين حين أخذوا بها حرفياً، واسترشدوا بالاتجاهات التي تهدف إليها[٣].

وأشرف الرسول(ﷺ) بنفسه على خرص[٤] بعض المحاصيل، حيث أمر بعض صحابته بخرص حديقة أو حائط لامرأة يهودية في وادي القرى، في طريقة لغزوة تبوك في السنة التاسعة للهجرة بلغ عشرة أوسق[٥].

وفيما يتعلق بزكاة الماشية وهي: الإبل، والغنم، والبقر، فهناك شرطان أساسيان هما: أن تكون سائمة ترعى الكلأ والعشب فتقل مؤنتها ويتوتفر درها ونسلها[٦]. والشرط الثاني أن يحول عليها الحول لقوله(ﷺ): "لا زكاة في مال حتى يحول عليه الحول"[٧].

وفيما يتعلق بالأموال النقدية للمسلمين كالذهب والفضة فقد فُرضت عليها الزكاة، وذلك بواقع ربع العشر[٨]. وفرضت على عروض التجارة بشرط أن تبلغ النصاب، ويحول عليها الحول[٩].

---

(1) الإمام مالك، بن أنس(١٧٩هـ/ ٧٩٥م)، الموطأ، تحقيق خليل مأمون شيحا، ط١، دار المعرفة، بيروت، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م، ج١، ص ٢٤٩. يحيى ابن آدم، الخراج، ص١١٢. القاسم بن سلام، الأموال، ص٦٤٤. البخاري، الصحيح، ج٢، ص٥٤٠. أبو داوود، السنن، ج٢، ص ٢٥٢.

(2) أبو يوسف، كتاب الخراج، ص٣٩.

(3) المصدر نفسه، ص٩٤.

(4) الخرص: حرز ما على النخل من التمر. انظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (خرص)، ج٧، ص ٢١

(5) الواقدي، المغازي، ج٢، ص٨٦. القاسم بن سلاّم، الأموال، ص٦٥٢.

(6) الماوردي، الأحكام السلطانية، ص١١٥، ص١١٦.

(7) المصدر نفسه، ص١١٦.

(8) المصدر نفسه، ص١١٨.

(9) الإمام مالك، الموطأ، ج١، ص ٢٣٥-٢٣٧.

ونظراً لوجود المعادن في وادي القرى كمعدن جبل شيبان الذي يكثر فيه معادن الصفر والذهب والفضة[١]، وبعض المعادن الموجودة بالقرب من ذي المروة، فقد وجب على أصحابها دفع الزكاة بواقع ربع العشر، وكان عمر بن عبد العزيز يطلب أن يؤخذ من المعادن الزكاة دون الخمس، ويذكر أبو عبيدة أنه كتب: " أن خذ من المعادن الصدقة ولا تأخذ منهـا الخمـس "[٢]، وروي أنه كان يأخذ من المعادن ربع العشر[٣].

وفي السنة ٢٠هـ/٦٤٠م قام الخليفة الثاني عمر بن الخطاب(ﷺ) بإجلاء اليهـود مـن وادي القرى لأسباب اختلف عليها المؤرخون منها الشرعية ومنها الاقتصادية والأمنيـة، وقـام بتقسيمه بين المسلمين منهم عثمان بن عفان، وعبد الرحمن بن عوف، ومعيقيب، وزيد بن ثابت، ومحمد بن مسلمة وغيرهم من المسلمين[٤].

واهتمت الدولة الإسلامية في صدر الإسلام بتنظيم الجباية ووكّلت من يقوم بها سـواء من أفراد القبيلة أو من خارجها. ولما كانت القبائل البدوية التي تمتلك الماشـية مـضطرة إلـى السير وراء الكلأ والعشب في فصل الربيع، فقد تم التجمع عند أماكن المياه الغزيرة، وقد روعي أن تجبى الزكاة في الأماكن التي يجتمعون فيها ولا يجبرون على المجيء إلى أماكن لا تـتلائم مع ظروفهم وماشيتهم[٥].

ويرسل الوالي السعاة أو المصدقين إلى القبائل لجمع الصدقات، ويذكر أن محمـد بـن مسلمة(ﷺ)[٦] كان مصدقاً لعمر بن الخطاب(ﷺ) على قبيلة جهينة[٧]، والنعمان بن بشير مصدقاً

(1) الحسن الأصفهاني، بلاد العرب، ص٣٩٨.

(2) الإمام مالك، الموطأ، ج١، ص ٢٣٠. أبو عبيد، الأموال، ص٤٢٣.

(3) الإمام مالك، الموطأ، ج١، ص ٢٣٠. الماوردي، الأحكام السلطانية، ص١٢٠.

(4) ابن هشام، السيرة، ج٣، ص٣٧١. الواقدي، المغازي، ج١، ص٧١٦. السيوطي، تـاريخ الخلفـاء، ج١، ص٥٣.

(5) العلي، صالح، تنظيم جباية الصدقات فـي القـرن الأول الهجـري، مجلـة العـرب، ج١٠، الريـاض، ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م، ص ٨٧٠.

(6) محمد بن مسلمة بن خالد الأنصاري، ولد قبل البعثة باثنتين وعشرين سنة، حضر مع الرسول(ﷺ)، معارك عديدة، وروى عنه أحاديث كثيرة، واستخلفه الرسول على المدينة في بعـض غزواتـه، (ت ٤٦هـ/ ٦٦٦م). انظر: ابن عبد البر، الاستيعاب، ج١، ص ٤٢٩. ابن حجر، الإصابة، ج٣، ص ٣٨٣.

(7) ابن الكلبي، نسب معد، ج١، ص ٣٨١.

لعثمان بن عفان (رضي الله عنه) على قبائل سعد هذيم، وقيل إنه كان مصدقاً لمعاوية بن سفيان[١] ومحمد بن عمران الطلحي على بني فزارة بوادي القرى يقدم عليهم في جنفاء[٢] وهو مجمع من مجامعهم يأخذ منهم الصدقات[٣]. وكانت الصدقات توزع بين فقراء من أُخذت منهم ترد على فقرائهم [٤]، وما يتبقى منها يؤخذ إلى الخليفة حيث بيت مال المسلمين[٥].

وقد حددت الآية القرآنية الأصناف التي تدفع إليهم الصدقات، في قول ا تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾[٦].وعادة ما توزع الصدقة محلياً في المكان الذي أخذت منه، وقد أمر هشام بن عبد الملك أن توزع صدقات أهل الحجاز فيهم ولا تنقل عنهم وكذلك أهل نجد[٧].

---

(1) ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ج١، ص١٣٥. المسعودي، مروج الذهب، ج٢، ص ١٠٦. أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج٢٤، ص٢١٥٠.

(2) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص٢١.

(3) وكيع، أخبار القضاة، ص١٩٤.

(4) أبو عبيد، الأموال، ص٣٣٣.

(5) ابن زنجويه، أبو أحمد حميد بن مخلد، (ت ٢٥١هـ/٨٦٥ م)، كتاب الأموال، تحقيق شاكر ذيب فياض، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ط١، الرياض، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، ج٣، ص ١١٩٠. أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج٢٤، ص٧٤٧٨.

(6) سورة التوبة، الآية رقم(٦٠).

(7) ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي، (ت ٣٣٨هـ/ ١٢٣٤م)، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، دار الفكر، دمشق، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨، مصر ص٢٤٢.

الفصل الثالث

الحيـاة الاقتصـادية في وادي القرى

أولاً: الزراعـة

- العوامل المؤثرة في الزراعة
- الإقطاعات والملكيات الخاصة
- الـطرق الزراعية وأساليبـها
- طرق الري
- المحاصيل الزراعية وأماكـن زراعتها
- الرعي والثروة الحيوانيـة

ثانياً: التـجارة

- الطرق
- الأسواق
- السلع
- النقود

ثالثاً: الصناعة والحرف

أولاً: الزراعـة

- **العوامل المؤثرة في الزراعة**
- **الإقطاعات والملكيات الخاصة**
- **الـطرق الزراعية وأساليبـها**
- **طرق الري**
- **المحاصيل الزراعية وأماكـن زراعتها**
- **الرعي والثروة الحيوانيـة**

العوامل المؤثرة في الزراعـة

ساهمت عدة عوامل أساسية في ازدهار الزراعة في وادي القرى في صـدر الإسـلام، حيث استثمرت الأراضي الخصبة في أماكن متنوعة من هـذا الـوادي، وانتـشرت الـزروع والنخيل، وحقق فائضاً كبيراً من التمور والثمار، حتى وصِفَ بأنه من القرى العظام والمأمونـة التي لا تنقطع ثماره من أيدي الناس، لكثرة نخيلها وزروعها[١].

ومن أبرز هذه العوامل انتشار الأراضي الخصبة، الصالحة لإنتاج الأنواع المختلفة فـي كثير من قرى الوادي حيث تنتشر تلك الأراضي في قرح[٢]، الـسقيا[٣]، ذو المـروة[٤]، وفـي العلا[٥]، وكذلك الحجر[٦]، وتعود خصوبة هذه الأراضي إلى وفرة الميـاه والعيـون الـسائحة والمتدفقة في وادي القرى مما ساعد في انتشار الزراعة وازدهارها[٧]، بالإضافة إلى وقوع وادي القرى في منطقة لابات أو حرات، تعد من أكبر الحِرار في الجزيرة العربية، حيث تـدعم هـذه الحرار الزراعة بالترب الغنية بالمعادن؛ لِذا نجحت الزراعة في وادي القرى لا سـيما زراعـة النخيل[٨].

ومن العوامل التي ساعدت في ازدهار الزراعة –أيضاً- تشجيع الإسلام على الزراعة، والعمل فيها، ووردت آيات قرآنية فيها ذكر للزراعة، وفضلها منها قولـه تعـالى: وَهُوَ ٱلَّذِيٓ

(1) الإمام مالك بن أنس الأصبحي،(١٧٢هـ/٧٩٥م)، المدونة الكبرى، تحقيق حمد الدمرداش محمـد، ط١، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م. الباجي، المنتقى، ج٣، ص.١٧٥

(2) الحسن الأصفهاني، بلاد العرب، ص ٩٨. البكري، معجم ما استعجم، ج١، ص ٤٠.

(3) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص٨٤.

(4) المصدر نفسه، ص ٨٤.

(5) ابن بطوطة، الرحلة، ج١، ص١٥٦.

(6) الإصطخري، المسالك والممالك، ص١٤.

(7) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص ٨٤. البكري، معجم ما استعجم، ج١، ص٤٣. يـاقوت الحمـوي، معجـم البلدان، ج٤،ص٣٣٨. القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص٢٩٦.

(8) الواقدي، المغازي، ج٢، ص ٧١١. المقدسي، أحسن التقاسيم، ص ٨٤. البكري، معجم ما اسـتعجم، ج١، ص ٤٧. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص ٢٤٧. الجاسر، أبوعلي الهجـري وأبحاثـة، ص٢٣١. البلوي، خالد، ج١، ص٦١. الجاسر، معجم البلاد السعودية، ق١، ص ٤١٤.

أَنشَأَ جَنَّٰتٍ مَّعۡرُوشَٰتٍ وَغَيۡرَ مَعۡرُوشَٰتٍ وَٱلنَّخۡلَ وَٱلزَّرۡعَ مُخۡتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهًا وَغَيۡرَ مُتَشَٰبِهٖۚ كُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوۡمَ حَصَادِهِۦۖ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴾[1].

وقد روي عن الرسول (ﷺ) أحاديث كثيرة في فضل الزراعة والحث عليها، فقـد روي عنه أنه قال: "ما من مسلم يغرس غرساً أو يزرع زرعاً فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمـة إلا كان له به صدقة "[2].وقال "من أحيا أرضاً ميتة فهي له"[3]، ويجب أن يكون ذلك بعد أخذ الإذن من إمام المسلمين لأن حكمها إليه وأن لا تكون ملكاً لأحد أو في محارم الآخرين[4]. وتُسحب إذا لم يتم إحياؤها خلال ثلاث سنوات، كما فعل عمر بن الخطاب(ﷺ) مع قوم من جهينة أقطعهـم الرسول(ﷺ) ولم يحيوها[5] وكذلك بلال بن الحارث المزني[6] الذي صادر منه الأراضي عنـدما عطلها ولم يحيها[7].

إضافة إلى ذلك أدت إجراءات الرسول(ﷺ) في وادي القـرى بعـد أن افتتحهـا سـنة (٧هـ/٦٢٩م)، إلى ترك النخل والأرض بيد اليهود يزرعونها وعاملهم عليها، كما فعل مع أهل خيبر[8]. كما منح الإقطاعات لبعض الأفراد والجماعات من القبائل العربية التي تـدرك أهميـة الأرض في وادي القرى من أجل استثمارها وزراعتها، -وبالتالي-التشجيع على الزراعة، كما

---

(1) سورة الأنعام، الآية رقم (١٤١).

(2) البخاري، الصحيح، ج٢، ص٤٦٠.

(3) أبو يوسف، يعقوب بن إبرهيم (ت٢٨٢هـ/٧٩٨م)، الخراج، تحقيق أحمد محمـد شـاكر، دار المعرفـة، بيروت، د.ت، ص٦٤. أبو عبيد، الأموال، ص ٤٠٣.

(4) أبو يوسف، الخراج، ص٦٤. أبو عبيد، الأموال، ج١، ص٢٣٣.

(5) ابن آدم، يحيى القرشي، (ت٢٠٣هـ/٨١٨م)، كتاب الخراج، تحقيق أحمد محمـد شـاكر، دار المعرفـة بيروت، د.ت، ص٩١.

(6) بلال بن الحارث بن عصام بن سعيد المزني(ت ٦٠هـ/٦٧٩م)، وفد بقومه على الرسول(ﷺ) في السنة الخامسة للهجرة وأقطعه الرسول(ﷺ) العقيق، شارك بالفتوحات الإسلامية وكان حامل لواء مزينـة، روى عن الرسول(ﷺ) عدة أحاديث في السنن وصحيحي ابن خزيمة وابن حبان، سكن البـصرة وتـوفي فيهـا وعمره ثمانون عاماً. انظـر: أبو عبيد، الأموال، ص٤٠٨. ابن عبد البر، الاستيعاب، ج١، ص55. ابـن حجر، الإصابة، ج١، ص١١٠.

(7) يحيى بن آدم، الخراج، ص٩٣.

(8) الواقدي، المغازي، ج٢، ص ٧١١. البلاذري، فتوح البلدان، ج١، ص ٣٩. ابن الأثيـر، الكامـل، ج١، ص٣٢١.

سيظهر لاحقاً. على الرغم من النظرة السلبية التي يحملها بعض أبناء القبائل البدويـة للزراعـة بسبب خلفيتهم الاجتماعية[١].

وساعد تدفق الأموال على أهل الحجاز نتيجة الفتوحات الإسلامية في شراء الأراضـي وظهور الملكيات في وادي القرى[٢]، لا سيما كبار الصحابة، وتدفق على أهل الحجاز –أيـضاً- الكثير من الرقيق والعبيد، الذين أسهموا على نحو كبير بتطوير الزراعـة وازدهارهـا نتيجـة معرفتهم وخبرتهم في الزراعة وأساليبها، وقد أثر هذا العامل إيجابـاً علـى تطـور الزراعـة وازدهارها، وهناك إشارات تدل على استعانة بعض الملاك، بهؤلاء العمال في ضِـيَاعِهم فـي وادي القرى، فقد استعان الخليفة عثمان بن عفان(ﷺ) ببعض مواليه وعبيده في وادي القرى[٣]، واستخدم عبد ا بن عمر(ﷺ) غلمانه ورقيقة للعمل في مزارعه وملكياتـه فـي وادي القـرى أيضاً[٤]، ومثله عبد ا بن الزبير(ﷺ) الذي كانت له ولأحفاده من بعده ضياع في وادي القـرى يقوم بفلاحتها بعض العبيد والموالي[٥]، واستخدم معاوية بن أبي سفيان(ﷺ) رقيقاً له في ضـيعة له بوادي القرى، وكان له الكثير من الرقيق والعبيد الذين يعملون في الحجاز واليمامة حتى قيل إنهم وصلوا في بلدة الخضارم من اليمامة، ما عدتهم وعدة أبنائهم ونسائهم أربعة آلاف[٦].

---

(1) الدوري، مقدمة في التاريخ الاقتصادي، ص٣٤.

(2) ابن سعد، الطبقـات، ج٢. الطبـري، تـاريخ الرسـل والملـوك، ج٤، ص ٣٧. الـدوري، مقـدمة، ص١٦-١٧.

(3) المسعودي، مروج الذهب، ج٢، ص٢٢٤.

(4) الشافعي، أبوعبد ا محمد بن إدريـس(ت٢٠٤هـ/٨١٩م)، كتـاب الأم، ط٢، دار الفكـر، بيـروت، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م ج٢، ص٦٩. ابن زنجويه، الأموال، ص٨٩. البيهقي، السنن الكبرى، ج٤، ص٥٦.

(5) البلاذري، أنساب الأشراف، ج٢، ص١٩٠. البكري، معجم ما اسـتعجم، ج٤، ص١٢٢٠. ابـن حجـر، الإصابة، ج،٢ ص ٣٠٩. الحميري، الروض المعطار، ص ٥٣٢.

(6) البلاذري، فتوح البلدان، ج١، ص ٤٠. ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٢، ص ٢٢٠. النويري، نهايـة الأرب، ج٥، ص٤٨٩. ابن سيد الناس، عيون الأثر، ج٢، ص١٥٢.

الأقطاعات والملكيات الخاصة

أشارت المصادر التاريخية إلى إقطاع الرسول(ﷺ) بعض الأفراد والجماعات أراضـي في وادي القرى، وقد اتسعت هذه الإقطاعات في عصر الخلفاء الراشدين والدولة الأموية، فقـد أقطع الرسول (ﷺ) عس العذري من أهالي وادي القرى أرضـاً بـالبويرة مـن وادي القـرى استطاع، أن يستثمرها، وعرفت باسمه " بويرة عس "[(١)]، وأقطع عنترة العذري أرضاً في وادي القرى أيضاً[(٢)]، بالإضافة إلى أنه أقطع أفراداً من بني فزارة أيضاً[(٣)]، وأفراداً من قبيلة جهينـة أراضي في عدة أماكن من الوادي، أذ أقطع عوسجة بن حرملة الجهني أرضاً بذي المـروة[(٤)]، وأقطع جمرة بن النعمان بن هوذة شيخ بني عذرة أرضاً كبيرة في وادي القـرى[(5)]، وأقطـع – كذلك -أحد " سعد هذيم "حائطاً في وادي القرى يعرف بحائط المداش[(٦)].

وكان لبعض الصحابة بعض الضياع والملكيات في وادي القرى، فقد ذكر المـسعودي أن للخليفة عثمان بن عفان ضِياعاً في وادي القرى بلغت قيمتها مع ضِياعٍ أخرى في حنين مئـة ألف دينار[(٧)]، وقيل: بأن له بعض الصدقات أيضاً في وادي القرى[(٨)]. وكان للخليفة علي بن أبي طالب بعض الملكيات والعيون بوادي القرى يعمـل بهـا بعـض مواليـه[(٩)]. ولأسـامة بـن

---

(1) الحازمي، الأماكن، ج١، ص ١٤٢. ابن الاثير، أسد الغابة، ج٤، ص ٣٣. ابن ماكولا، الحسين بن علـي (ت ٤٤٧هـ/١٠٥٥م)، الإكمال في رفع عارض الإرتياب عن المؤتلف والمختلف من الأسماء والكنـى والألقاب، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١هـ، ج٦، ص ١٠٤.

(2) الحازمي، الأماكن، ج١، ص ١٤٢. ابن حجر، الإصابة، ج٢، ص ٤٨٠.

(3) البكري، معجم ما استعجم، ج١، ص ٤٥. ياقوت الحموي، معجم البلـدان، ج٥، ص ٦٦. ابـن حجـر، الإصابة، ج٢، ص ٣٠٩. السمهودي، وفاء الوفاء، ج٤، ص٥١١.

(4) ابن سعد، الطبقات، ج٥، ص ٢٧٠. الحازمي، الأماكن، ج٢، ص٦٤٢. ياقوت الحموي، معجم البلـدان، ج٤، ص ٥٨. السمهودي، وفاء الوفاء، ج١، ص٣٢٤. محمد حميد ا ، مجموعـة الوثـائق الـسياسية، ص٢١٧.

(5) ابن سعد، الطبقات، ج٤، ص ٣٥٦. البلاذري، فتوح البلدان، ص٤٩. البكري، معجم مـا اسـتعجم، ج١، ص٤٤. ابن حجر، الإصابة، ج١، ص ٢٤٣.

(6) البكري، معجم ما استعجم، ج١، ص ٤٥.

(7) المسعودي، مروج الذهب، ج٢، ص ٣٤١، ص٣٤٢.

(8) ابن سعد، الطبقات، ج٣، ص ٧٧.

(9) ابن شبة، تاريخ المدينة ،ج١، ص ١٣٨. عبد الرزاق أبو بكر بن همام الصنعاني، المصنف، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، ط٢، بيروت، ١٤٠٣هـ، ج١٠، ص ٣٧٤.

زيد(ﷺ)بستان بوادي القرى[1]، وكان لعبد الله بن عمر(ﷺ) ضياع عدة في وادي القرى[2]، كما كان لعبد الله بن الزبير ضِياع في وادي القرى[3]، وتملك آل الزبير وأحفادهم ضِياع كثيرة في قرية المريسيع وهي إحدى قرى الوادي[4].

وعندما أجلى الخليفة عمر بن الخطاب(ﷺ)اليهود من الوادي سنة (٢٠هـ/٦٤٣م)، حدد الأراضي، وبينَ معالمها وقسم جزء منها بين عدد من الصحابة منهم: عثمان بن عفان(ﷺ)[5]، وعبد الرحمن بن عوف(ﷺ)[6]، وزيد بن ثابت(ﷺ)[7] ومحمد بن مسلمة(ﷺ)[8].

وساهمت عملية الشراء في توسيع الملكيات في وادي القرى، إذ اشترى الخليفة عثمان بن عفان من عبد الله بن عمر أرضاً وقيل عقاراً في وادي القرى[9]، واشترى معاوية بن أبي سفيان من بعض اليهود في وادي القرى أرضاً وأحيا أرضاً أخرى[10] أقطعها يزيد بن معاوية إلى عبد الملك بن مروان عندما سأله إياها[11].

---

(1) الإمام مالك، الموطأ، ج١، ص٢٦٠. البلاذري، أنساب الأشراف، ج١، ص٢٠٨. ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٨، ص ٤٨. ابن حجر، الإصابة، ج١، ص ٣١.

(2) الإمام مالك، الموطأ، ج١، ص ٢٨٣. وانظر: الإمام الشافعي، كتاب الأم، ج٢، ص ٦٤.

(3) البلاذري، أنساب الاشراف، ج٢، ص ١٩٠. ابن حجر، الإصابة، ج٢، ص ٣٧٧.

(4) البكري، معجم ما استعجم، ج٤، ص ١٢٢٠. الحميري، الروض المعطار، ص ٥٣٢.

(5) الواقدي، المغازي، ج٢، ص٧٢١.

(6) المصدر نفسه، ج٢، ص ٧٢١.

(7) المصدر نفسه، ج٢، ص ٧٢١.

(8) الصاغاني، العباب الزاخر، ص٣٦٦.

(9) البخاري، صحيح البخاري،ج٣، ص ١٥٥. ابن حجر، فتح الباري، ج٦، ص٤٣٨.

(10) البلاذري، فتوح البلدان، ص ٤٩.

(11) البلاذري، فتوح البلدان، ص ٤٩. وانظر: ابن سيد الناس، عيون الأثر، ج٢، ص١٩٧.

الطرق الزراعية وأساليبها

إن طريقة استغلال الأرض في وادي القرى هي ذاتها في الأماكن الأخرى من الحجاز، لا سيما المدينة، وخيبر، فالأرض إما أن تستثمر بصورة مباشرة إذ يقوم صاحبها بزراعتها بنفسه خاصة إذا كانت قليلة المساحة، أو بصورة غير مباشرة وذلك بأن يقوم بزراعتها بواسطة الرقيق والعبيد لقاء أجرٍ معلوم، أو إنه يعطيها بالمزارعة، أو يؤجرها لمن يقوم بزراعتها.

وقد استغلت الأراضي في وادي القرى على صورٍ عدة، رسم الرسول(ﷺ) خطوطها العامة بعد أن فتح الوادي، وهي إجراءات بدأها في خيبر بعد فتحها ثم طبقها بوصفها حل نهائياً في وادي القرى[1]، ومن طرق استغلال الأرض في وادي القرى، ما يعرف " بالمعاملة " أو " المزارعة " حيث تدفع الأرض لمن يزرعها مقابل تقاسم الثمر أو تقاسم الناتج بينهما، إذ ترك الرسول(ﷺ) الأرض والنخل بيد أهلها، وعاملهم كما عامل أهل خيبر[2]، ويعرف هذا باسم " المخابرة "[3]، نسبة إلى معاملة أهل خيبر كما ذكر ابن قدامة [4]، وقيل: إنها مشتقة من الخبار وهي الأرض اللينة والخبير: الأكار[5]، وكانت أول إشارة تاريخية في المصادر المتنوعة عن المعاملة أو المخابرة ما أوردته المصادر حول إجراءات الرسول مع أهل خيبر عندما ترك الأرض والنخل بيد اليهود، وعاملهم عليها لقاء نصف الثمر من النخل والزرع ثم نفذ هذا الأمر مع اليهود في وادي القرى[6].

وهناك المساقاة وهي أن يدفع الرجل بشجر أو نخيلٍ إلى آخر ليقوم بسقيهِ، وعمل سائر ما يحتاج إليه بجزءٍ معلوم له من ثمره، وإنما سميت مساقاة لأنها مفاعلة من السقي، ولأن أشجار أهل الحجاز هي أكثر حاجة للسقي؛ لأنهم يسقونها من الآبار فسميت بذلك[7]، وغالباً ما تشيع المساقاة عند المزارعين الذين يستقون من الآبار كما هو الحال في بعض الأماكن في

---

(1) الدوري، النظم، ص٨٩.

(2) ابن هشام، السيرة، ج٣، ص٣٧١. البلاذري، فتوح البلدان، ج١، ص٣٩.

(3) الخوارزمي، مفاتيح العلوم، ص٣٢. ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل(ت٤٥٨هـ/١٠٦٥م)، المخصص، ج٣، ص ٤٨٥.

(4) ابن قدامة، عبد الله بن أحمد (ت ٦٢٠هـ/ ١٢٢٠م)، ط١، المغني، دار الفكر، بيروت، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م، ج٥، ص ٥٨٣.

(5) المصدر نفسه، ج٥، ص ٥٥٤.

(6) ابن هشام، السيرة، ج٢، ص ٥٦٧. الواقدي، المغازي، ج٢، ص ٧١١.

(7) أبو عبيد، الأموال، ص ١٠٩. ابن قدامة، المغني، ج٥، ص ٥٨٢-٥٨٣.

وادي القرى وفي الحجاز عامة[1]. وكان في وسط المزارع والبساتين، بعض الآبـار الخاصـة التي وضعت عليها السواني التي تخرج الماء فتصبه في القنوات التي تتخلل النخيل أو الأشجار فتسقيها[٢].

وتنتشر المساقاة في وادي القرى في قرية السقيا، وكذلك في الحجر التـي تنتـشر بهـا الآبار بكثرة[٣]، وقد ذكر أبو يوسف أن الرسول(ﷺ) عندما افتتح خيبر دفعها إلى اليهود مـساقاة بالنصف[٤]، وهذا ما فعله مع أهل وادي القرى –أيضاً- بحسب ما تذكر الروايات إذ كـان قـد عاملهم على نصف ما لهم من ناتج أرضهم[٥].

وهناك المغارسة التي تقوم على اتفاق بين صاحب الأرض والفـلاح علـى أن يغـرس الأخير الأشجار ويعمل فيها حتى تثمر، ويكون له جزء من الثمر معلوم[٦]، وهو جائز، أمـا إذا قام على مقاسمة الأرض والشجر فإنه فاسد وغير جائز عند بعضهم[٧]، وساعد نظام المغارسـة على ازدهار الزراعة لا سيما زراعة النخيل في الوادي على نحو كبير[٨]؛ لأن النخيل عادة مـا يقوم على غرس " الودي"، وهو صغار النخيل الذي يتوالد في النخلة الواحدة، وهو نظـام قـائم ومعروف في زراعة النخيل حتى اليوم. وكانت اليهود تغرس النخيل بكثرة في وادي القرى[٩].

وقد تؤجر الأرض إذا كانت بيضاء، ويغرسها المستأجر مقابل دراهـم عـده سـنة أو سنتين وهذا جائز عند أبي يوسف[١٠]، وروى سعد بن أبي وقاص قوله" كنا نكري الأرض على عهد الرسول (ﷺ) بما على السواقي من الزرع وبما سَعدَ من الماء منها[١١]، فنهانا الرسول (ﷺ)

(1) ابن قدامة، المغني، ج٥، ص٥٥٤.

(2) العمري، الحرف والصناعات في الحجاز، ص ٩٨.

(3) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص ٨٤.

(4) أبو يوسف، الخراج، ص ٨٥.

(5) الواقدي، المغازي ،ج١، ص ٧١١. البلاذري، فتوح البلدان، ص ٣٩.

(6) ابن قدامة،، المغني، ج١١، ص ٣٤٠.

(7) المصدر نفسه، ج١١، ص ٣٤٠.

(8) الإمام مالك، الموطأ، ج٢، ص ٢٣٥.

(9) البكري، معجم ما استعجم، ج١، ص ٤١.

(10) أبو يوسف ،الخراج، ص٩٠.

(11) ما سعد من الماء: أي تسرب ونضح من السواقي، وقيل ما جاء من الماء سيحاً دون الدلو.انظـر: ابـن منظور، لسان العرب، مادة (سعد)، ج٣، ص ٢١٣.

عن ذلك ورخص لنا في أن نكريها بالذهب والورق[1]، وروي أن عروة بن الزبيـر(ﷺ) كـان يكري أرضاً له بالذهب والورق، وأن عبد الرحمن بن عوف(ﷺ) تكارى أرضاً فلم تـزل بيـده حتى مات[٢].

ولا شك بأن تلك الطرق الزراعية مرتبطة بشروط وأحكام معروفة تضمن لكلا الطرفين العدل والإنصاف ومن ذلك: عدم ارتباطها بمكاييل معلومة، وعدم تخصيص جزء مـن الـزرع لأحدهما وجزء للآخر، لنهي الرسول (ﷺ) عن ذلك، لأن الزراعة قد تتعرض للإصابة بالأوبئـة أو الأضرار، وأن يتفق الطرفان على حصة معلومة كالنصف أو الثلث أو الربع وغيرهـا مـن الشروط الأخرى التي تضمن الحقوق للجميع ولا تتنافى مع الدين الإسلامي.

وكان أهل الحواضر في وادي القرى عادةً ما يعملون بأرضـهم ويقومـون بفلاحتهـا وسقايتها بأنفسهم، وقد يجلب الرقيق والأيدي العاملة لاستغلال مساحات واسعة من الأرض فـي وادي القرى، وتشير المصادر إلى تقدم زراعي كبير في وادي القرى منذ القرن الهجري الأول حتى نهاية القرن الخامس[٣]، وهذا يعني أن هناك جهداً كبيراً قد بذله الأهالي في مجال الزراعة، وهو مدعوم باليد العاملة التي توافرت في المنطقة خاصة بعد الفتوحات الإسـلامية التـي تـم استخدامها في أمور كثيرة منها الزراعة والبناء والرعي[٤].

وقد استخدم أهالي وادي القرى أساليب جيدة في تنظيم الزراعة، وحمايـة مـزارعهم، وهي أساليب معروفة في الحجاز بعامة، حيث زرعوا النخيل على هيئة خطوط متوازية، وعلى نحو مستقيم، يبعد بعضها عن بعض مسافات معلومة يطلق عليهـا اسـم " الـسكة " [5] كمـا استخدموا هذا النظام في زراعة الكرم أيضاً[٦]، ويتخذون له العريش، وهو ما عرش للكرم مـن عيدان تجعل كهيئة السقف، فتجعل عليها قضبان الكرم فتعرشها[٧]. وما زالـت هـذه الأسـاليب

---

(1) أبو داود، سليمان بن الأشعث (ت٢٧٥هـ/٨٨٨م)، سنن أبي داود، ط١، القاهرة، ١٣٧١هـ/١٩٥٢م)، ج٢، ص١٤٢.

(2) الإمام مالك، الموطأ، ج٢، ص ٢٣٦.

(3) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص٨٤.

(4) الشافعي، كتاب الأم، ج٢، ص٦٩. البلاذري، أنساب الأشراف، ج٢، ص١٩٠.

(5) ابن منظور، لسان العرب، مادة (سكك)، ج١٠، ص٤٣٩.

(6) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب، ج٧، ص٢٩.

(7) الزبيدي، تاج العروس، مادة (عرش)، ج٤، ص ٣٢٢.

تستخدم في وادي القرى حتى اليوم، وقد كانوا يستغلون ما بين النخيل فـي بعـض الزراعـات البسيطة كالدباء، أو القثاء وغيرها من المزروعات المؤقتة[١].

واهتموا بتأبير النخيل وقت الإبار[٢] (أي زمن التلقيح) وتأبير النخيل تلقيحه، ومنه قول الرسول(ﷺ) في الحديث المأثور" خير المال سكّةٌ مأبورة ومهرة مأمورة".وفي قول مالك بن أنس يشترط صاحب الأرض شد الحِظار، وخم العين، وسرو الشرب، وإبار النخيل، وقطع الجريـد، وجذ التمر[٣].

أما الأدوات التي استخدمت في الزراعة في وادي القرى فهي كثيرة وتعد من الوسـائل المساعدة في الزراعة، ويمكن الإشارة إلى بعضها: كالمحراث: وهي الحديدة أو الخـشبة التـي تحرث بها الأرض[٤]، وهناك المعزقة: وهي الفأس التي تستخدم في حفـر الأرض للزراعـة، وهناك المسحاة: وهي المجرفة التي تستخدم في الحفر أيضاً، استخدموا – كـذلك- المـالق أو المملقة وهي خشبة عريضة تجرها الثيران، وذلك لتمليس التربة المثارة[٥].

كما اهتم أهل القرى ببناء أمـاكن صـغيرة مـن الطـين وبعـض الحجـارة تعـرف "بالمربد"،وهناك " الجرين " وهما موضعان خاصان لجمع الثمار لا سـيما التمـر[٦]، ومـازال المربد معروفاً بالمنطقة حتى اليوم.

أما بالنسبة إلى الحيوانات التي استخدمت في الزراعة فمنهـا البقـر، وقـد ورد فـي الأحاديث أنها للحراثة وليست للركوب[٧]، والإبل، والحمير، ويطلق عليها " النواضح "، وهـي التي يستخرج بواسطتها الماء، واستخدمت –كذلك- الكلاب في العمل الزراعي وقـد ورد فـي الحديث ذكر " كلب حرث " و كلب زراعة "[٨].

---

(1) العمري، الحرف والصناعات في الحجاز، ص٩٩.

(2) ابن منظور، لسان العرب، مادة (أبر)، ج١، ص٤٧.

(3) الإمام مالك، الموطأ، ج٢، ص ٢٣٠.

(4) ابن منظور، لسان العرب، مادة (حفر)، ج٤، ص ٢٠٦.

(5) محمدين، الزراعة والري في الحجاز، ص٣٢٦.

(6) ويطلق اسم المربد على مكان توضع فيه الإبل وقيل سوق الإبل، واشتهر مثل ذلك في البصرة. أنظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (ربد)، ج٣، ص ١٧٠. ومادة (جرن)، ج١٣، ص٨٦.

(7) البخاري، أبو عبد ا محمد بن إسماعيل(ت٢٥٦هـ/٨٧٠م)، صحيح البخاري، ضبط وتحقيق مـصطفى ديب البغا، ط٥، دار اليمامة، دمشق، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م، ج٢، ص ٨١٨.

(8) البخاري، الصحيح، ج٢، ص ٨١٨.

واستخدمت وسائل عديدة لحماية المحاصيل الزراعية من غارات الطيور، منها "اللعـين" وهو على هيئة رجل، واستخدموا أكياساً سوداء تنصب على أعواد لتذعر الطيور والحيوانات[1]، وكذلك لحمايتها من بعض الآفات التي يمكن منعها، كزحف الرمال وصدها بـبعض الأشـجار كالأثل الذي يزرع على جوانب البساتين. وقد عملوا على حماية مـزارعهم مـن المعتـدين أو السراق بإقامة الحوائط عليها من جميع الجهات، وقد أطلق عليها اسم " الحائط " حماية لها مـن المعتدين وفي ذلك قال الشاعر ابن مقبل[٢] :

كنخل بأعلى قرح حيط فلم يزل　　　له مـانع حتـى أنـى فتمتعـا

أي حفظ بحائط بني حوله [٣].

واستخدم المزارعون طرائق أخرى لحماية حوائطهم وزروعهم كأن يضعوا على الحائط الخزيز، وهو العوسج الذي يجعلونه على رؤوس الحيطان ليمنع التسلُّقَ أو الاطلاع عليه[٤].

---

(1) محمدين، الزراعة والري في الحجاز، مرجع، ص٣٢٦.

(2) ابن مقبل، ت (ت بعد ٣٧ هـ / ٦٥٧م)، الديوان، تحقيق عزة حسن، دمشق، إحياء التراث القديم، دمشق، ١٣٨١هـ/١٩٦٢م، ص٣٧١.

(3) البكري، معجم ما استعجم، ج٣، ص ١٠٦١.

(4) ابن منظور، لسان العرب، مادة (حزز)، ج٥، ص ٣٤٥.

طرق الـ ـري

اعتمد أهل الجزيرة العربية، باستثناء اليمن وعمان، على الآبـار والعيـون، بالدرجـة الأولى، نتيجة قلة الأمطار والافتقار للمجاري المائية الدائمة، وهذا لا يعني أنهم لا يعتمدون على الأمطار، فهناك بعض الأماكن التي يعتمد أهلها على الأمطار في زراعتهم كالطائف التي تهطل عليها الأمطار بكميات كافيه لقيام الزراعة على المطر[1].

أما في وادي القرى اعتمدت الزراعة بالدرجة الأولى على العيـون والقنـوات المائيـة المنتشرة في الوادي، أما المناطق التي تقل أو تندر فيها العيون، كالحجر مثلاً، فإن الري فيهـا يعتمد على الآبار. كما عثر فيها على قنوات منحوتة من الحجر.

وتكثر العيون التي تعتمد عليها الزراعة في مدينة " قرح " وفي " العـلا " وكـذلك " ذو المروة" و" السقيا "، وقد مر بها ياقوت الحموي في مطلع القرن السابع الهجري/الثالـث عـشر الميلادي، وذكر أن مياهها كانت تتدفق ولا ينتفع بها أحد، ودلت الاكتشافات الأثرية والدراسات الحديثة على وجود آثار كثيرة للعيون في منطقة وادي القرى التي ازداد ازدهارها الزراعي منذ عصر الرسول(ﷺ) وعصر الخلفاء الراشدين(رضي الله عنهم) حتى نهاية العصر الأموي على أقل تقدير[٢].

وينقسم الري قسمين هما: السقي من العيون أو من الآبار بالسواقي، والقسم الآخر شـاق ومتعب وهو السقي بالآلات والنواعير والسواني والدلاء التي تدور بها الإبل والحمير والبغـال، ويكثر هذا في قرح، وفي العلا، وذو المروة؛ نظراً لكثرة العيون وغزارة مياههـا، وقـد ذكـر البكري أن اليهود حفروا الآبار وأسـاحوا عيونـها[٣]، والسيح: الماء الظاهر الجاري على وجه الأرض[٤]، وهذه الطريقة لا تحتاج إلى الاستعانة بأي آلة سوى أدوات بـسيطة لتعـديل اتجـاه المياه، وتعرف هذه الأراضي التي تخترقها القنوات والعيون باسم " الخيف "، وأحياناً تطلق كلمة خيف للدلالة على القناة والأرض التي تسقيها معاً[5].

---

(1) ابن الفقيه، البلدان ،ص ٢٩. العمري، الحرف والصناعات في الحجاز، ص ١٠١.

(2) الراشد، سعد، الآثار الإسلامية في الجزيرة العربية في عصر الرسول والخلفاء الراشدين، الندوة العالميـة الثالثة لتاريخ الجزيرة العربية، جامعة الملك سعود، الرياض، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٩م، ج٢، ص١٦٧.

(3) البكري، معجم ما استعجم، ج١، ص ٤٣.

(4) ابن منظور، لسان العرب، مادة (سيح)، ج٢، ص ٤٩٢.

(5) نصيف،القنوات ونظام الزراعي في المدينة، ص ٢٠٠.

أما بالنسبة إلى القنوات، فقد انتشرت في وادي القرى، خاصة قرح، والعلا، وفي الأخيرة عرفت أهم القنوات المائية وأضخمها في منطقة وادي القرى وربما في الجزيرة العربية، حيث يعتمد الري في تلك المنطقة على نظام القنوات التي يعود تاريخها إلى ما قبل الميلاد[١].

ولا بد أن تسير القناة نحو ميل متدرج وخفيف نحو الأرض المراد ريها، حيث تحفر بئر في مكان غزير الماء إما في سفوح الجبال، أو في المرتفعات، أو في أعالي الوديان أو مداخلها أو بطون الأودية، حيث يبحث عن الأعشاب والشجيرات الخضراء، أو بعض ما يدل على الماء سواء بشم التراب أو رائحة بعض النباتات، أو بملاحظة حركة لحيوان مخصوص، وهو نوع من الفراسة، أو بوضع الأذن على الأرض[٢].

ويتم الحفر عادة على عمق ٣٠٠ قدم، فإن لم يوجد الماء فقد يستبدل المكان، وإن وجد الماء فقد تعمق البئر لمترين ثم تقاس نسبة غزارة الماء ونسبة الانحدار بواسطة حبل تقاس به نسبة الانحدار والمسافة بين الآبار حتى يصل الماء إلى الأرض المراد ريها، حيث يدلّى حبلٌ طويل في البئر الأم حتى يصل طرف الماء في قاع البئر، ويضع المساح علامة يعرف بها بعد سطح الماء ثم يغرز عصا عند فم البئر، ويقف متجهاً إلى جهة الأرض المراد جلب الماء إليها، وعلى بعد ٣٠-٥٠ متر تقريباً يعين النقطة التي تحفر بها البئر الثانية التي تكون أقل عمقاً من الأولى، وهكذا في الآبار التي تليها حتى يأتي إلى مكان مخرج القناة على وجه الأرض[٣].وقد تكون للقناة الواحدة عدة فروع، وذلك لزيادة كمية الماء، كما هو الحال في قنوات العلا التي يتفرع معظمها من منطقة العذيب أو وادي الحشيش قديماً بين الحجر والعلا[٤].

وهناك الري بواسطة الآبار، إذ تتنوع الآبار في وادي القرى حسب طولها وطريقة الحفر، فهناك الآبار المتصلة بعضها ببعض عن طريق القنوات الجوفية، وهي آبار متناسقة تحفر ويباعد بينها؛ ليجتمع فيها الماء، وقد عرفت هذه الآبار في قرح وفي العلا منذ العهد الديداني واللحياني، وتعرف باسم الكظائم[٥].وقد ذكر البكري أن اليهود عندما سكنوا وادي

(١) Nasif, AL-ULA, p157.

(٢) النويري، نهاية الأرب، ج٣، ص ٣٤٣.

(٣) نصيف، القنوات والنظام الزراعي في المدينة، ص٢٠٠.

(٤) Nasif, AL- ULA , p159.

(٥) أنظر: ص٤١.

القرى استخرجوا الكظائم وأساحوا العيون[1]، وقامت الزراعة على الآبار في منطقـة الحجـر؛ نظراً لطبيعتها الجغرافية، وعدم وجود العيون فيها.

ويستخرج الماء من الآبار عادة بالدلاء المصنوعة من الجلود والحديد، وتستخدم الِقـرَب وهي الراوية التي يحمل فيها الماء، وقيل: الدلو العظيم الذي يستسقى به على الـسانية [2]، و- كذلك- السواني وهي الآلة التي تقوم بإخراج الماء من البئر لسقي الزرع أو الحيوان وغيره [3]، والنعامة وهي خشبة تعرض على البئر بواسطة منارتين على حافة البئر[4].

وعادة ما تستخدم الحيوانات في عملية استخراج المياه من الآبـار؛ ومـن الحيوانـات المستخدمة في هذه العملية: الجمال، ثم الثيران، والحمير، والبغال، ويطلق على هذه الحيوانات التي تقوم بهذه العملية " النواضح " جمع ناضح: وهي الحيوانات التي يسقى عليها الماء. ومنـه قول الرسول (ﷺ) ما سقي من الزرع نضحاً ففيه نصف العشر" يريد ما سقي بالدلاء والقـرب والسواني[5].

وبما أن الحوائط تقع خارج المدينة أو القرية في الغالب، فإنها عادة ما يكون بها آبـار خاصة بها، أو جداول ماء صغيرة تُجرى لها من الآبار القريبة منها، ويطلق على هذه الجـداول الصغيرة في الحجاز اسم " ربيع "[6].

وقد استفاد الأهالي من مياه الأمطار في ري المزارع والحقول، لا سيما تلك المـزارع القائمة على أطراف الأودية والشعاب الصغيرة، فإذا هطلت الأمطار سالت وانحدرت إليها وقـد تحبس مياه الأمطار في بعض " الشراج "، وهي مجاري الماء ومسيله من الحرار إلى الـسهل، فيحتبس الماء فيها وتكون أحواضاً يستفاد منها في الري، ولقد كانت هذه الوسائل معروفة فـي الحجاز، وفي حديث الزبير أنه خاصم رجلاً من الأنصار في سيول شراج المدينة إلى الرسـول (ﷺ) الأنصاري الزبير للرسول(ﷺ) فقال له الرسول اسق: يا زبير ثم أرسل إلى جارك[7].

---

(1) البكري، معجم ما استعجم، ج١، ص ٤٣. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص ٣٣٨.

(2) ابن منظور، لسان العرب، مادة (غرب)، ج١ ،ص ٦٣٧.

(3) المصدر نفسه، مادة (سنا)، ج٥، ص ١٣٢.

(4) انظر: ص ٢٥.

(5) أبو عبيد، الأموال، ص٣٨.

(6) الإمام مالك، الموطأ، ج٢، ص ٢٦٦. ابن منظور، لسان العرب، مادة (ربع)، ج٥، ص١٢٥.

(7) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص ٣٣١.

ولا يستبعد وجود السدود في المنطقة حيث تساعد التشققات الصخرية والأودية الكثيـرة في وادي القرى في بناء السدود، وقد تكون سدوداً بسيطة تقام في مواسم الأمطار فقط، وعادة ما تكون من الأتربة والحجارة الصغيرة لا تتطلب جهداً كبيراً، بل يقوم المـزارع بإقامتهـا، وقـد يشترك أكثر من مزارع فيها إذا كان السد يروي حقولاً زراعية متعددة الملكية[١].

وقد أثبتت المسوحات والحفريات الآثارية وجود مثل هذه الـسدود فـي منطقـة وادي القرى، لا سيما في وادي المعتدل بالقرب من العلا، ومن المحتمل أنها أقيمت على أنقاض سدود سابقة تعود إلى ما قبل الإسلام[٢].

---

(١) النعيم، الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية، ص ١٠٤.

(٢) Kay. Shirly " Some Ancient Dams of the Hejaz ", 1978, Vol.8 P.70-71. النعـيم، الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية، ص١٠٦-١٠٧.

المحاصيل الزراعية وأماكـن زراعتهـا

لا تختلف المحاصيل الزراعية والأشجار المثمرة المعروفة آنذاك في وادي القرى عـن المحاصيل الزراعية في الحجاز عامة، لا سيما في المدينة، نظراً لتشابه البيئة الزراعية إلى حدٍ كبير من ناحية خصوبة الأرض ووفرة المياه، وطبيعة السكان، فضلاً عن أن أساليب الزراعـة هي ذاتها في الحجاز، عدا عن كون وادي القرى له صلات قوية مع القرى والمدن الأخرى في الحجاز حتى أن الشخص الذي يمتلك ضياعاً وبساتين في المدينة قد يملك مثلها في وادي القرى.

وتجدر الإشارة إلى أن المحاصيل الزراعية الأساسـية كـالتمور والحبـوب وبعـض الخضراوات والفواكه لا تختلف عما هي عليه اليوم، إذا ما استثنينا الأشجار التي عرفـت فيمـا بعد، كالحمضيات مثلاً، التي أصبحت من المحاصيل الأساسية في القرون التالية [1].ومـن أهـم المحاصيل الزراعية التي عرفت في وادي القرى في تلك المرحلة ما يلي:

١- التمـور

تعد التمور من أبرز المحاصيل الزراعية في وادي القرى وأشهرها، حيث توافر المياه، والتربة، وكذلك المناخ الملائم لمثل هذه المحاصيل[٢]، وكانت زراعة النخيل المـصدر الغـذائي الأول للسكان في وادي القرى ومصدر معاشهم وتجارتهم، لذا نجد زراعة النخيل قد ازدهـرت على نحو كبير في عدة مواضع من وادي القرى، كما ذكرت عدة مصادر[٣]. وتعد تمـور وادي القرى من التمور الجيدة التي تنتج في الحجاز بعامة[٤]. ومن أنواع التمـور فـي وادي القـرى العجوة[5]، وهي نوع من التمر اشتهر بالحجاز وأجوده بالمدينة، وقد انتشر في عدة مواضع من

---

(1) ذكر ابن بطوطة والقلقشندي. البرتقال والليمون في وادي القرى. انظـر: ابـن بطوطـة، الرحلـة، ج١، ص١١٠. والقلقشندي، صبح الأعشى، ج٦،ص ١٤٥.

(2) السيف، الحياة الاقتصادية والاجتماعية، ص ٥٩.

(3) الإمام مالك، المدونة، ج٦، ص ٤٥٦. أبو الحسن الأصفهاني، بلاد العرب، ص٣٩٧، ٣٩٩، ٤٠٠، ٤٠١. المقدسي، أحسن التقاسيم، ص٨٤- ٨٥. البكري، معجم ما استعجم، ج١، ص٤٣. ياقوت الحموي، معجـم البلدان، ج٤، ص٣٣٨.

(4) عرف في الحجاز عدة أنواع من التمور، ففي المدينة وحدها أكثر من مئة وثلاثين نوعاً، مـن أشـهرها: العجوة التي كانت من أحب أنواع التمر للرسول(ﷺ)، والصيحاني، والرعلة، والبرني. واشـتهرت خيبـر بجودة تمورها كصيحاني خيبر. للمزيد انظر: السمهودي، وفاء الوفاء، ج١، ص ٧٢. يـاقوت الحمـوي، معجم البلدان، ج٣، ص ٢٨١. السيف، الحياة الاقتصادية والاجتماعية، ص٦٥.

(5) ابن سيده، المحكم، ج٥، ص١٦٣. ابن منظور، لسان العرب، مادة (خذم)، ج١٢،ص١٦٨.

وادي القرى. ومن أنواع التمور –أيضاً- في وادي القرى البرني، وهناك البردي الذي اشتهرت به ذي المروة[١]. ويعرف البلح عند أهالي وادي القرى باسم السياب الذي يسميه أهـل المدينـة بالسداء أوالسدي[٢] ونَسب بعضهم نوعاً من التمر يسمى " القروية " إلى وادي القرى[٣].

وكانت زراعة النخيل في وادي القرى تتركز بالدرجة الأولى في الأماكن التي تتوافر فيها المياه بالقرب من العيون والآبار، وبعض الشعاب والأودية، ونظراً لكثرة المياه ووفرتها، " كقرح " التي كانت تزرع بها النخيل على نحو كبير[٤]. وانتشرت زراعة النخيـل فـي الـسقيا ويديع حيث انتشرت فيها زراعة النخيل والأشجار حيث العيون والآبار والمياه الجارية[٥]، وقد استغلت المنطقة الواقعة بين قرح والسقيا استغلالاً جيداً لزراعة النخيل والأشـجار المتنوعـة؛ نظراً لخصوبتها ووفرة المياه بها[٦]، وفي الحجر انتشرت زراعة النخيل التي تسقى بالنواضـح من الآبار المنتشرة في الحجر، أما في ذي المروة، حيث تنتشر العيون والميـاه الغزيـرة فقـد انتشرت زراعة النخيل بأنواعه، وتميزت بجودة تموره خاصة التمر البردي[٧].

ويطلق على وقت جني التمر الجذاذ، وقيل: الجداد، ويكون الجذاذ بالنهار لأن الرسـول (ﷺ) نهى عن جذاذ الليل وحصاده[٨]، إذ يجمع في مكان يعرف باسم المربد حتى ييبس وينقـى ثم يخزن، والمربد للتمر كالبيدر للقمح، ويؤكل ثمر النخل بلحاً ورطباً أو تمراً، والأخيـر هـو الأفضل، نظراً لقيمته الغذائية وسهولة حمله وتخزينه وكنزه إلى أعوام مقبله.

---

(1) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص ٨٣.

(2) ابن منظور، لسان العرب، مادة (سيب)، ج٦، ص ٤٥١.

(3) ابن سيدة، المحكم، ج٦، ص٤٩٧. وانظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (قرا)، ج١٥، ص١٧٤.

(4) البكري، معجم ما استعجم، ج١، ص ٤٣.

(5) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص٣٥٩.

(6) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص٨٥.

(7) المصدر نفسه، ص ٨٥.

(8) أبو يوسف، الخراج، ص ١٣١.

٢- الحبـوب

ومن المحاصيل الزراعية في وادي القرى الحبوب، وفي مقدمتها القمح وهو البر، ويعد من أهم أنواع الحبوب، وكان يزرع في المنطقة، ويعد من المحاصيل الزراعية الرئيـسة التـي يعتمد عليها السكان[١]، ومع ذلك لم يكن محصول القمح كافياً، لذا كان يستورد من بلاد الشام لا سيما البلقاء التي عرفت بمعدن الحنطة[٢].

ومن الحبوب الأخرى التي انتشرت وعرفت زراعتها في وادي القرى: الـشعير الـذي يعد غذاء شعبياً يأكله عامة الناس[٣]. ويعمل منه الخبز والسويق، وذكر أن أهل الحجاز يخلطونه مع حبوب أخر يعملون منه شراباً يعرف باسم السقرقع [٤]، ويعد أرخص من الحنطة، ويـزرع عادة تحت النخيل [5].

ومن الحبوب –أيضاً- الذرة، وهو نبات يشبه الدخن، ينبت في السهل وشعاب الجبـال، ويضع مِنْه الخبز الذي يعرف باسم الطهف [٦].ويـستخدم علفـاً للحيوانـات لا سـيما أوراقـه وأغصانه.

وانتشرت أنواع أخرى من الحبوب، وعادة ما يلجأ إليها في سنوات الفقر والفاقة، مثل " السلت " وهو ضرب من الشعير، وقيل: الشعير الحامض، ويشبه الحنطة وينبت بالحجاز والغور يتبردون بسويقة في الصيف[٧] ومن الحبوب المعروفة الطهف والعلس أيضاً.

وتقوم زراعة الحبوب في وادي القرى عادة على الأمطار، وربما زرعت على العيـون والآبار، ويعد الشعير والذرة أكثر هذه الحبوب وجوداً في الحجاز عامة بما فيها وادي القرى[٨].

---

(1) العمري، الحرف والصناعات في الحجاز، ص١١٠. السيف، الحياة الاقتصادية والاجتماعية، ص٦٦.

(2) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص ٤٨٩.

(3) العمري، الحرف والصناعات، ص١١٠.

(4) ابن منظور، لسان العرب، مادة (سقرقع)، ج٦، ص ٢٩٣.

(5) محمدين، الزراعة والري في الحجاز، ج٢، ص٣٢٨.

(6) ابن منظور، لسان العرب، مادة (طهف)، ج٨، ص٢١٢.

(7) المصدر نفسه، مادة (سلت)، ج٦، ص٣٢٠.

(8) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٢، ص ١٢٣.

٣- الفـواكـه والخضـراوات

عرفت زراعة الفواكة والخضراوات في أماكن متنوعة من وادي القرى، ومن الأشجار المثمرة في وادي القرى الكروم أو العنب، وتذكر بعض المصادر أن أصل زراعة الكروم فـي منطقة الطائف قد جاءت من وادي القرى بوساطة قسي بن منبه جد بني ثقيف، وقيل هو ثقيـف نفسه، إذ جاب معه من وادي القرى قضبان العنب بعد أن مكث فيه مدة يعمل فيها عنـد امـرأة يهودية هناك[١]، ويرى بعض الباحثين أن انتشار هذه الأشجار في منطقة الحجاز عامـة كـان بواسطة اليهود والأنباط[٢]. ويبدو أن أماكن زراعته كانت في الأجزاء الشمالية من وادي القرى حيث المناخ ملائم لزراعته.

وعرف من المحاصيل الزراعية: الأترج، وهو من الفواكة المعروفة في صدر الإسلام، وهو نبات يشبه الليمون ولكنه أكبر حجماً منه، وشُبه المؤمن الذي يقرأ القرآن بالأترجة طعمهـا طيب وريحها طيب، وتستخدم بذوره في بعض العلاجات[٣].

وتنتشر زراعة البطيخ بنوعيه الأخضر والأصفر في وادي القرى، وعادة ما تزرع مثل هذه المحاصيل بالقرب من العيون والقنوات المائية المنتشرة في وادي القـرى، كعيـون قـرح والعلا، و ذو المرة.

ويعدد القلقشندي الفواكه والخضراوات المنتشرة في الحجاز عموماً بما فيه وادي القرى ويذكر منها: الرطب، والعنب، والموز، والسفرجل وغيرها[٤]، ومما عرف من الخضراوات في وادي القرى زراعة البصل والثوم، والكراث، والدباء، الذي كان معروفاً بالحجاز وورد ذكـره بالقرآن والسنة ويعرف باليقطين والقرع، وقد أكله الرسول (ﷺ) مراراً وكان يطلب إلى أهله أن يكثروا من الدباء في الطبيخ لأنه يشد قلب الحزين[٥]، وعادة ما تزرع هذه المزروعـات بـين سكك النخيل وفي الأماكن التي تتخللها القنوات التي يمر من خلالها الماء[٦].

---

(1) البكري، معجم ما استعجم، ج١، ص ٦٥-٦٦. ابن المجاور، تاريخ المستبصر، ص١٨.

(2) حتي، فليب تاريخ العرب، ط٣، دار الكشاف، ١٩٦١م، ج١، ص٢٢. جواد علي، المفـصل فـي تـاريخ العرب، ج١، ص١٥٢.

(3) ابن القيم، زاد المعاد، ج٤، ص ٢٦٠

(4) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٢، ص ١٢٣.

(5) ابن القيم، زاد المعاد، ج٤، ص ٣٦٨.

(6) العمري، الحرف والصناعات، ص ٩٩.

ومن المحاصيل الزراعية التي تزرع في القرى والحواضر وتستخدم أعلافاً للحيوانـات القت (البرسيم)[١]. وتستخدم أوراق الذرة وأغصانها أعلافاً للحيوانات أيضاً.

---

(1) السيف، الحياة الاقتصادية والاجتماعية، ص ٦٧.

الرعي والـثروة الحيوانيـة

يمثل وادي القرى أحد المناطق الرعوية المهمة في الحجاز، لما يتمتع به من تنّوع فـي الأشجار والنباتات، وقد ساهم هذا الأمر في تشجيع سكان الوادي على تربية الماشية من أبقـار وأغنام وإبل، وبالتالي شكّل الرعي إلى جانب الزراعة في وادي القرى ركيـزة أساسـية فـي اقتصاد الوادي وازدهاره، إضافة إلى توفر الموارد المائية، التنوع الجغرافي والمناخي له.

وتعد الأغنام، سواء الضأن أوالماعز، من الحيوانات الرئيسة التي يربيها الأهـالي فـي وادي القرى[1]؛ كونها من أهم المصادر التي تمون الناس باللحوم، والألبان، والـسمن والأقـط، عدا عن توفيرها المواد الأولية اللازمة لصناعة الملابس والبيوت والخيام، كالصوف، والـوبر والشعر، والجلود[2]، فقد اهتم بعض السكان والقبائل في وادي القرى بتربية الأغنـام، وتـشير بعض المصادر إلى أن قبائل: عذرة، وجهينة، وفزازة قد اهتمت بتربية المواشي[3].

وشكلت الإبل عماد الثروة عند الكثير من القبائل البدوية في منطقة وادي القرى، لا سيما قبيلة عذرة، وعادة ما تستورد الإبل من اليمن حيث توجد كرام الإبل كالأرحبية[4]، والمهرويـة العيدية [5]، والداعرية [6]، التي تنسب إلى داعر من بلحارث، والمجيدية، ومنها الإبـل المهريـة المعنبرة [7]. وتعد الإبل من مقاييس الثروة والجاه عند القبائل البدوية في وادي القرى كما هـو عند سائر العرب، ومنها تدفع الديات، ومهور الزواج في الغالب [8]؛ فقد طلب مالك العذري من ابن أخيه عروة بن حزام العذري ثمانين ناقة صداقاً لابنته عفراء، وفي ذلك يقول عروة[9] :

---

(1) ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ج١، ص ٩٠.

(2) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج٢٤، ص٨٤٩٢.ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ج١، ص ٩٠. الأدريسي، نزهة المشتاق، ج١، ص ٣٥٣. جواد علي، المفصل في تاريخ العرب، ج١، ص ٢٠٣.

(3) ابن سعد، الطبقات، ج١، ص٢٥٧. ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ج١، ص٩٠. أبو الفـرج الأصـفهاني، الأغاني، ج٨، ص ٢٨٥٣.

(4) الأرحبية: نسبة إلى أرحب بن الدعام من همذان باليمن. انظر: الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص١٠٢.

(5) المهروية: ويقال لها العيدية –أيضاً- نسبة إلى غفار العيدي من قبيلة مهرة باليمن. انظر: ابـن الكلبـي، نسب معد، ج٢، ص ٧١٣. الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص ١٠٢.

(6) الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص ١٠٢.

(7) ابن الكلبي، نسب معد، ص١٦٢.

(8) ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ج١، ص ١٤٨. أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج٥، ص ٤٠٨. البغـدادي، خزانة الأدب، ج١، ص ٤٣٢. السيف، الحياة الاجتماعية والاقتصادية، ص٧٥.

(9) البغدادي، خزانة الأدب، ج١، ص ٤٣٢.

يطـالبني عمـي ثمـانين ناقـةً   ومالي يا عفراء إلا ثمـانيـا

وكان لدى أبي الشاعر المشهور جميل بن معمر الكثير من الإبل[١]، وأُهدي إلى جميـل بن معمر مئة بكرة من أخواله الجذاميين عندما مدحهم في إحدى قصائده[٢]، وملـك هدبـة بـن خشرم[٣] مجموعة من الإبل، وكذلك زيادة بن زيد العذري[٤]. وكان لدى الشاعر جواب العذري الكثير من الإبل أيضاً [٥]، ورعى نصيب الشاعر المشهور إبلاً لسيدة من قبيلة بلي[٦]، وذكـرت بعض المصادر أن قبيلة فزارة شاركت بأعداد كبيرة من الإبل في غزوة الأحـزاب [٧]. كمـا يوجد سوق مشهورة للإبل في وادي القرى [٨].واستفاد الأهالي في وادي القرى من الإبل في نقل تجارتهم بين مدن الحجاز وبلاد الشام، كما كان يفعل حكم الوادي الذي كان يكري جماله لنقـل الزيت من الشام إلى المدينة ومكة [٩]، أما في مجال الزراعة فقد استخدمت الإبل في نقل المـاء من الآبار لري الأراضي، وهي ما يعرف باسم الإبل النواضح.

واهتم أهالي وادي القرى بتربية الخيول، وكانت الخيل من نصيب أهل اليـسر والحـال الحسن في وادي القرى، لا سيما شيوخ القبائل وزعمائها، فكان شيخ بني عذرة جمرة بن النعمان ممن يملكون الخيول [١٠]. وكذلك قبيلة فزارة، حيث كان لدى عيينة بن حصن وإخوته مجموعـة من الخيل، وقد أغار على لقاح الرسول(ﷺ) في الغابة الواقعة على طريق الشام ومعه أربعـين

---

(1) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج٨، ص ١٣٧.

(2) المصدر نفسه، ج٢، ص ٣٥٥.

(3) هدبة بن خشرم بن كرز بن سعد هذيم، شاعر فصيح متقدم، وراويةً مشهور، وكان يروي للحطيئة كـان جميل بن معمر راوية له، وكان هدبة قد قتل زيادة بن زيد، فسجنه والي معاوية بن أبي سفيان على المدينة سعيد بن العاص ثم قتل قوداً بزيادة عندما رفض أهل الأخير الدية. انظر: ابن قتيبة، الـشعر والـشعراء، ج٢، ص١٤٧. أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج٢٤، ص ٨٤٩١.

(4) المصدر نفسه، ج٢٤، ص٨٤٩٣.

(5) المصدر نفسه، ج٥، ص ٢٣١.

(6) المصدر نفسه، ج١، ص٣٣٣.

(7) ابن هشام، السيرة، ج٣، ص ٢٢٦. ابن سعد، الطبقات، ج٢، ص٦٣.

(8) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج٦، ص٢٣٦٠. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص ٣٢١.

(9) أبو الفرج الأصفهاني، ج٦، ص٢٣٦٠.

(10) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٥، ص٢٧٣. ابن حجر، الإصابة، ج١، ص ٢٤٣.

فارساً [١]، وكان الرسول(ﷺ) قد اشترى فرسه السكب [٢]، من رجل من فزارة بعشرة أواق من الفضة[٣]، واشترى الخليفة عمر بن الخطاب(ﷺ) من حَمل بن بدر الفزاري فرساً بعشرة آلاف درهم ثم ردها إليه يجاهد بها وتناسلت عندهم، وقد أخذ الحجاج بقية نسلها منهم [٤]، وكان مصدر الخيول العربية من نجد حسب ما تشير إليه بعض المصادر[٥]، عدا بعض قرى الحجاز وبواديه، حيث كان بنو مصعب بن الزبير ينتجون الخيل ويهتمون بها [٦]، ومن أهل الحجاز الذين اهتموا بتربية الخيول والتجارة بها بنو سليم [٧].

وعرف الأهالي في وادي القرى الحمير[٨]، وتعد الحمير أول واسطة للركوب وللحمل عند الحضر وأهمها، وهي للحضري مثل الجمال للبدوي[٩] يستخدمونها في نقل أمتعتهم والركوب عليها والسفر عليها من مكان لآخر.

وكان وادي القرى مجالاً واسعاً لتنقل القبائل البدوية القاطنة في المنطقة، التي تمتلك القطعان الكبيرة من الإبل والأغنام، كقبيلة عذرة، وفزارة، وبلي، وكذلك جهينة، حيث اشتهرت منطقة وادي القرى بالمراعي الخصبة، كوادي بغيض، الذي كان يرعى به جميل بن معمر إبل والده عندما تعرف على معشوقته بثينة [١٠]، ووادي الدوم الذي يفصل بين وادي القرى وأرض

(1) ابن هشام، السيرة، ج٣، ص ٢٩٤. الواقدي، المغازي، ج١، ص ٥٣٩. ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٢، ص٧٧.

(2) البلاذري، أنساب الأشراف، ج٢، ص ١٥٩. ابن الأثير، الكامل، ج٢، ص ٣١٤.

(3) أواق: جمع أوقية، إحدى الأوزان المستخدمة عند العرب، وكانت الأوقية الشرعية المستخدمة في وادي القرى في صدر الإسلام تساوي ٤٠درهماً أي ١٢٥ غراماً. أنظر: هنتس، فالتر، الأوزان والمكاييل، ص١٩.

(4) ابن هذيل، علي بن عبد الرحمن(ت ٧٩٣هـ/١٣٩٠م)، حلية الفرسان وشعار الشجعان، طبعة محمد عبد الغني حسن، دار المعارف، ١٩٥١م، ص ٣٥.

(5) ابن حجر، الإصابة، ج١، ص ٢٠٣.الفيروز أبادي، المغانم المطابة، ص٩٦. السيف، الحياة الاقتصادية والاجتماعية، ص ٧٨.

(6) الزبير بن بكار، جمهرة نسب قريش، ج١، ص ٧٥.

(7) السمهودي، وفاء الوفاء، ج٢، ص ٧٥٤.

(8) ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ج١، ص ٩٠.

(9) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب، ج١، ص ٢٠٢.

(10) جميل، الديوان، ص ١٥.

خيبر[1]، ووادي عرنان الذي كان يتخذ مراعٍي للإبل [2]، كذلك المراعي المنتشرة شـمال وادي القرى في تِلاع الحجر والجنينة[3]، وتتنقل القبائل البدوية إلى البوادي المجـاورة طلبـاً للكـلأ ومساقط الغيث عندما تجدب أراضيهم، إذ طلب بنو فزارة من الرسول(ﷺ) في السنة الخامـسة للهجرة أن يأذن لهم بانتجاع تغلمين، وما والاه إلى المراض[4]، وقد وصف الإدريـسي منطقـة وادي القرى وما حولها، بأنها بلاد إبل وألبان، وأسمان وأن أهلهـا ينتجعـون مراعـي هـذه الأرضين، وأنهم أهل كرم وبذل لما في أيديهم، وهم يسكنون بيوت الشعر، وينتقلون من موضع إلى موضع ولا يقيمون بمكان ولهم مصايف ومرابع يدورون عليها وينتقلون إليها مع الدهر وهم مترددون إليها[5].

وقد عرف الحمى في وادي القرى، فكان لقبيلة سعد هذيم بعض الأحماء الذي منعته عن القبائل الأخرى، لا سيما الأماكن الخصبة الصالحة للزراعة التي تتوافر بها المياه، وقد يتنـازع عليها في بعض الأوقات، كما نازع ورد بن مرداس من سعد هذيم والملقب بأسد الهـوارات [6]، جمرة بن النعمان العذري على بعض الأماكن في وادي القرى [7]، وكما أن الرسـول(ﷺ) أقـر بعض الحِمى لبعض القبائل في وادي القرى، فحمى لبني عذرة واديهم وذلك عندما طلب شـيخ بني عذرة جمرة بن النعمان من الرسول أن يقطعه ركضة فرسه ورميـة سـوطه مـن وادي القرى[8]، ومع ذلك فإن الإسلام نظر في مشكلة الماء والمرعى، وما ترتب عليه مـن خلافـات وحروب بين القبائل، وأعلن الرسول(ﷺ) أن الناس شركاء في ثلاث: الماء والكلأ والنار، حيـث قال: " ثلاث لا يمنعن الماء والكلأ والنار " [9].

---

(1) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج٨، ص ٣٤٤.

(2) الجاسر، في شمال غرب الجزيرة، ص٥٠٠.

(3) جميل، الديوان، ص ٤٨.

(4) ابن سعد، الطبقات، ج٣، ص١٧٤. النويري، نهاية الأرب، ج١٧، ص١١٧.

(5) الإدريسي، نزهة المشتاق، ج١، ص٣٥٣.

(6) الهوارات: جمع هورة بمعنى الهلكة.

(7) ابن سعد، الطبقات، ج٥، ص٢٧٣. البكري، معجم ما استعجم، ج١، ص ٤٥.

(8) ابن سعد، الطبقات، ج٥، ص٢٧٣. خزنة كاتبي، غيداء، الحمى بين الجاهلية وصـدر الإسـلام، مجلـة دراسات تاريخية، العددان: ٨٧،٨٨، أيلول- كانون أول، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤، ص ١٣٧.

(9) ابن ماجة، ابو عبد ا محمد بن يزيد، (ت ٢٧٣هـ - ٨٨٧م)، سنن ابن ماجه ، تحقيق بشار عـواد، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤١٨ – ١٩٩٨م، ج٢ ص ٨٢٦.

ج٢، ص ٨٢٦. القاسم بن سلام، الأموال، ص٤١٣.

ثانيـاً: التجـارة

تعد التجارة من الأنشطة الأساسية التي مارسها العرب قديماً في الجزيرة العربية، وتكاد تكون التجارة الحرفة الوحيدة عند العرب التي لم ينظر إليها العربي وإلى المشتغل بهـا نظـرة استهجان وازدراء وانتقاص، بل عدت عندهم من أشرف الحرف قدراً ومنزله [(١)]، وكان للموقـع الجغرافي الذي احتلته الجزيرة العربية دور كبير في تطور التجارة وازدهارها؛ حيث تمر مـن خلالها طرق التجارة القديمة براً وبحراً التي تربط الهند والشرق الأقصى عبر الجزيرة العربيـة وبواسطة التجار العرب ببلاد الرافدين وحوض البحر الأبيض المتوسط ومنه إلى أوروبـا؛ لـذا قامت على أطراف الجزيرة العربية عدة دول هي في عامتّها دول تجارية كالـدول: المعينيـة، والسبئية، والحميرية في اليمن، والدولتين: اللحيانية والنبطية في شمال الجزيرة العربية [(٢)] بمـا فيها وادي القرى.

وظهر الاهتمام بالتجارة في وادي القرى مبكراً، يعود ذلك للقرن السادس قبـل المـيلاد عندما قامت فيه أبرز المستوطنات التجارية التي أسسها المعينيون[(٣)] حيث تمر القوافل التجاريـة فيها بين الشمال والجنوب، وعندما قامت دولة ديدان في المنطقة أصبحت وسيطاً مهماً في نقـل تلك التجارة، والعمل بها[(٤)]، لا سيما تجارة البخور وسروج الخيل[(٥)]، وعنـدما خَلَفـتْ الدولـة اللحيانية الدولة الديدانية في المنطقة كان لها نفوذ تجاري كبير حيث سيطرت على سواحل مهمة على البحر الأحمر بما فيها خليج العقبة(خليج القلزم) الذي أصبح خليجاً لحيانيـاً مكّنهـا مـن فرض سيطرتها على طرق التجارة البحرية والبرية على حدٍ سواء[(٦)].

واستفاد الأنباط من هذه الطرق بعد أن سيطروا على المنطقة عـام٢٥ق.م، التـي تعـد شرايين التجارة بين العربية الجنوبية وبلاد الشام، وفرضوا الضرائب علـى التجـار والتجـارة وعادت عليهم بفوائد كبيرة، وقد عملوا وسطاء في نقل التجارة بين الـشام ومـصر ومواضـع أخرى من جزيرة العرب[(٧)].

---

(١) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب، ج٧، ص ٢٢٧.

(٢) الدوري، مقدمة في تاريخ صدر الإسلام، ص٣٩.

(٣) جواد علي، المفصل، ج٢، ص٢٤١. الأنصاري، لمحات، ص ٧٧.

(٤) العهد القديم، اشعيا ١٢ : ١٣. حزقيا، ٢٧ : ١٥.

(٥) Hoyland.Arabia and the Arabs, p66.

(٦) جواد علي، المفصل، ج٢، ٢٤٢. الأنصاري، لمحات، ص٧٧-٨٧.

(٧) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب، ج٣، ص ٥.

وفقدت المنطقة أهميتها التجارية بعد سقوط دولة الأنباط على يد الرومـان عـام ١٠٦م وذلك بسبب تدهور مدن الشمال، وتحول الطرق التجارية إلى البحر الأحمـر، وظهـور خـط تراجان الذي يربط بين بصرى الشام وخليج العقبة، بالإضافة إلى أن التنافس الساساني البيزنطي على طرق التجارة التي تمر بالجزيرة العربية، وتدهور الأوضاع السياسية في العربية الجنوبية أدى بذلك إلى تدهور أوضاع منطقة وادي القرى وفَقْد أهميتها وضعف الطريق الداخلي ليختفي مدة من الزمن (١).

وفي مطلع القرن السادس الميلادي أخذ يبرز دور مكة الديني والتجاري تدريجياً؛ بسبب وقوعها على الطريق التجاري الذي يربط بين جنوب الجزيرة العربية وشـمالها، وكـان هـذا الطريق قد ازداد نشاطاً بسبب الشلل الذي أصاب طريق تجارة الهند إلى الخليج العربي بـسبب الصراع الساساني البيزنطي آنذاك، ففي ظل هذا الوضع برزت مكة وتجارتها المزدهرة فـشقت لنفسها طريقاً مستقلاً باتخاذ سياسة حياد بين القوتين المتصارعتين(٢).

وعندما نشطت تجارة قريش على نطاق واسع داخل جزيرة العرب وبلاد الشام والعراق لا سيما بعد أن عقدت الإيلاف، وهي العهود والمواثيق، وقيل العصم، التي كتبت لسادة قـريش وهم هاشم وإخوته عبد شمس، والمطلب، ونوفل، بنو عبد مناف مـن ملـوك الـشام والعـراق واليمن والحبشة لتأمين رحلاتهم التجارية(٣)، انعكس ذلك إيجاباً على منطقة وادي القرى، حيـث عقدت قريش –أيضاً- إيلافاً آخر مع أشراف القبائل العربية الواقعة على طريق الشام، وكان من بينها قبائل وادي القرى حيث أخذ هاشم بن عبد مناف من أشراف كل حي مر بهم في طريقـه إيلافاً (٤)، ويرى بعض الدارسين أن الإيلاف الذي عقدته قريش مع القبائـل العربيـة، لا سـيما القبائل البدوية على الطرق التي تمر بها تجارتها، أهم بكثير من تلك العهود التي عقدت مع حكام العراق وبلاد الشام أو اليمن، إذ كان في استطاعة الأعراب نهب قوافل مكة وسلب أموالها وهي

---

(١) Encyclopadia Britannica, vol.1 p1401.

(٢) الدوري، مقدمة في التاريخ الاقتصادي، ص ١٢.

(٣) ابن حبيب، المحبر، ج١، ص ١٦٢.البلاذري، أنساب الأشراف، ج١، ص٦٦. الطبري، تـاريخ الرسـل والملوك، ج٢، ص ٢٥٢. المسعودي، مروج الذهب، ج١، ص ١٩٣. الثعالبي، أبي منصور عبد الملك بن محمد(ت٤٢٩هـ/١٠٣٧م)، لطائف المعارف، تحقيق إبراهيم الأبياري و حسن كامل الصيرفي، دار أحياء الكتب العربية، ١٣٧٩هـ/١٩٦٠م، ص١١. السهيلي، الروض الأنف، ج١ ص١٣٠.

(٤) ابن حبيب، المنمق، ص٣٣. ابن سعد، الطبقات، ج١، ص ٧٥. ابن الأثير، الكامل،ج١، ص٣٧١.

ذاهبة أو آيبة محملة، فلا يستطيع أهل مكة فعل شيء ولا تبقى أية فائدة عندئذٍ لعقود الإيلاف مع حكام العراق، وبلاد الشام [1].

وتظهر أهمية هذا الإيلاف بالنسبة إلى القبائل العربية في منطقة وادي القـرى، حيـث أصبحوا شركاء لقريش في تجارتها والعمل سوياً على حمايتها وتأمينهـا، وتقـديم الأدلاء لهـم أيضاً، بل إن مهمة الحماية وردع قطاع الطرق وصعاليك العرب وطلاب القوافـل وأصـحاب الغارات والغزوات أصبحت ضرورة يسعى إليها شيوخ هذه القبائل من غير حاث ولا محـرض لأن تجارة قريش باتت تجارتهم هم أيضاً[2].

واستفاد السكان في وادي القرى من مرور القوافل التجارية عبر أراضيهم حيث وفـرت لهم مصدر رزق وفوائد، سواء ما يجنونه من أرباح نتيجة لتوفير الأدلاء أو الحماية أو الرسـوم والعوائد الأخرى[3]، أو من خلال ما تحمله قريش من بضائع لهم فيكفونهم حِملانهـا ويـردون إليهم رأس مالهم وربحهم[4].

وبذلك نجحت قريش بتأمين تجارتها من مخاطر اللصوص وقطاع الطرق وربط أهـالي المنطقة بهم اقتصادياً. ولعل ظهور سوق قرح في وادي القرى الذي كان من أسواق العرب في الجاهلية قد ظهر أو بدأ ينتعش تجارياً بسبب هذا النشاط التجاري الكبير لقوافل قريش في تلـك المرحلة، وقد أشار القرآن الكريم لهذه التجارة وهذا الإيلاف في سورة كاملة تحمل اسم قـريش قال تعـالى: قَالَ تَعَالَى: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ ﴿١﴾ إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ﴿٢﴾ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ ﴿٣﴾ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾[5]

إن من المعلوم أن هناك روابط مصاهرة بين قريش من جهة وقبيلتي عذرة وبلي، اللتين تسكنان وادي القرى من جهة أخرى، وهذه القبائل أدت دوراً كبيراً في استعادة قريش نفوذها في مكة من قبيلة خزاعة التي سيطرت على مكة ردحاً من الزمن إذ استعان قصي بأخيه لأمه رازح

---

(1) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب، ج٧، ص ٢٨٨.

(2) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب، ج٧، ص ٢٨٨. فكتور سحاب، إيـلاف قـريش: رحلـة الـشتاء والصيف، المركز الثقافي العربي، بيروت، ١٩٩٢م، ص ٢٢٣.

(3) الدوري، التكوين التاريخي للأمة العربية، ص ٢٧.

(4) المسعودي، مروج الذهب، ح١، ص ١٩٣. عواطف سلامة، قريش قبل الإسلام، ص٢٣١.

(5) سورة قريش كاملة.

بن ربيعة زعيم بني عذرة ومجمع قضاعة كلها[1]، كما كانت أم العاص بن وائل من قبيلة بلـي وكان الرسول(ﷺ) قد بعث عمرو بن العاص(ﷺ) في غزوة ذات السلاسل ليتودد أخواله من بلي وقضاعة ويذكرهم بصلة القرابة، ويدعوهم إلى الإسلام ويستنفرهم للجهاد[2]، لِإذا كان لِمثل هذه العلاقات والمصاهرات دور كبير في إنجاح مثل هذا الإيلاف والمعاهدات.

ولـما جاء الإسلام حث على التجارة والسعي في طلب الرزق والكسب الحـلال، وقـد ورد لفظ التجارة في القران الكريم في عدة مواضع، منها قولـة تعـالى: ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝١٠ وَإِذَا رَأَوْاْ تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا ۚ قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِ ۚ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴾ [3]. وقد نهى الإسلام عن الربا في التجـارة، قـال تعـالى:قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴾ [4].وعَمِل الرسول(ﷺ) بالتجارة قبل النبوة[5]، وحث عليها، وامتدح العمل بها وعده تسعة أعشار الرزق [6].وعَمِلَ بها بعض صحابته، فكان أبو بكر الصديق (ﷺ)معروفـاً بالتجـارة[7]، وكـان عثمان بن عفان(ﷺ) تاجراً في الجاهلية والإسلام أيضاً [8]، وعبد الرحمن بـن عـوف(ﷺ) [9] وغيرهم من الصحابة.

---

(1) ابن الكلبي، النسب الكبير، ج٢، ص٧١٦. ابن حبيب، المنمق، ص٨٢، ٢٩٧. اليعقـوبي، تـاريخ، ج١، ص٩٣. البلاذري، أنساب الأشراف، ج١، ص ٢١.

(2) ابن هشام، السيرة، ج٢، ص ٦٢٣. الواقـدي، المغـازي، ج١، ص٣١٢. ابـن سـعد، الطبقـات، ج٢، ص١١٢.

(3) سورة الجمعة، من الآية (١٠) إلى ألآية (١١).

(4) سورة البقرة، الآية (٢٧٦).

(5) الواقدي، المغازي، ج١، ص ٢٣. الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٢، ص ٢٧٧، ٢٨٠.

(6) المنّاوي، محمد عبدالروؤف، فيض القـدير،ط١، دار الكتـب العلميـة، بيـروت، ١٤١٥هـ ـ/١٩٩٤م ج٣،ص٣٢٢.

(7) ابن سعد، الطبقات، ج٣،ص١٥٨. البلاذري، أنساب الأشراف، ج٣، ص ٣١٣.

(8) ابن سعد، الطبقات ج٣، ص ٦٠. البلاذري، أنساب الأشراف، ج٣، ص ٣٠٠.

(9) ابن سعد، الطبقات، ج٣، ص١١٦. البلاذري، أنساب الأشراف، ج٣، ص ٣١٣.

الطـرق

ساعد موقع الجزيرة العربية على أن تكون لها روابط تجارية قديمة مع مختلف أقطـار العالم حيث تقع في مركز جغرافي استراتيجي مهم وسط العالم، وعلى طرق التجارة العالميـة، لاسيما الطرق التي تصل الشرق الأقصى والهند من جهة، بالبحر الأبيض المتوسط مـن جهـة أخرى، حيث كان لابد من مرور هذه التجارة عبر الجزيرة العربية التي أصبحت ممراً رئيـساً للتجارة العالمية سواء من خلال الطرق البرية أو الموانئ البحرية، لا سيما أنها تميزت بسواحل بحرية مهمة مثل: سواحل عمان(١)، والشحر(٢)، وحضرموت(٣)، وعدن(٤)، وسواحل اليمن، إلى جدة (٥)، ثم يمتد إلى الجار(٦)، حتى ينتهي إلى أيله(٧)، وهو أخر حد ديار العرب(٨).

ويمر عبر وادي القرى شبكة من الطرق الرئيسـة التي تُعد من أهم شـرايين التجـارة الدولية في العالم القديم، جعلته عقدة من عقد المواصلات المهمة التي تربط جزيرة العرب ببلاد

---

(1) عمان: بضم أوله وتخفيف ثانية، اسم كورة عربية على ساحل بحر اليمن، شرقي هجر، وكانت تبحر منها السفن إلى الصين وسواحل الهند والشرق الأقصى، تشمل بلدان كثيرة ذات نخـل وزروع إلا أن حرهـا يضرب به المثل، دخلت الإسلام منذ عهد الرسول(ﷺ). للمزيد انظـر: الأدريسي، نزهـة المـشتاق ،ج٢ ص ٥٣. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص ١٥٠.

(2) الشحر: ساحل اليمن، وهو ممتد بينها وبين عمان، وإليه ينسب العنبر الشحري. انظر: البكري، معجم مـا استعجم، ج٣، ص ٧٨٣. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص٤٣.

(3) حضرموت: ناحية واسعة باليمن شرقي عدن، قرب البحر، بها رمال كثيرة تعرف بالأحقاف، مـن أهـم مدنها تريم وشَبام. انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص٦٣.

(4) عـدن: مدينة مشهورة باليمن، على ساحل بحر الهند، وهي بلد تجارة، وبها أقدم أسواق العرب. أنظـر: الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص٤٤. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص ٨٩.

(5) جـدة: مدينة على ساحل مكة، سميت بذلك لأنها حاضرة البحر، والجدة من البحر والنهر، ما ولي البـر، وأصل الجدة، الطريق الممتدة. انظر: البكري، معجم ما اسعجم، ج٢، ص ٣٧١.

(6) الجـار: ساحل المدينة المنورة على البحر الأحمر، بينها وبين المدينة يوم وليلة، وهي قرية كثيرة القصور والأهل، ترسو إليها السفن القادمة من مصر، والحبشة، والبحرين والصين. انظر:البكـري، معجـم مـا استعجم، ج٢، ص ٣٥٥. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص٣٩٠.

(7) أيـلة: بالفتح، مدينة قديمة على البحر الأحمر، مما يلي الشام، وقيل إنها أخر الحجاز، وأول الشام وهـي مدينة عامرة، بها الزرع والنخيل، وسكانها من اليهود، قدم صاحبها واسمه رؤبة بن يجنه اليهـودي إلـى الرسول(ﷺ) في غزوة تبوك، وصالحه على دفع الجزية، وهي اليوم مدينة العقبـة فـي أقـصى جنـوب الأردن. انظر: ابن هشام، السيرة، ج٤، ص ١٦٩. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص٢٩٢.

(8) الإصطخري، المسالك والممالك، ص٥. ابن حوقل، صورة الأرض، ص١٨.

العراق وبلاد الشام ومصر[١]، حيث توافرت في وادي القرى جميعها المقومـات لخدمـة هـذه الطرق، من وفرة المياه، وقلة الصعوبات والعقبات[٢]، والبعد عن المناطق الـصحراوية الجافـة التي تنعدم فيها مثل هذه المقومات، وكذلك توفر عامل الأمن، وقربها من السواحل البحرية على البحر الأحمر. وأسهم قيام الأسواق الموسمية التي تقام في جزيرة العـرب فـي إيجـاد طـرق مسلوكة بين هذه الأسواق تنظم السفر بين المناطق المنتجة والمناطق المستهلكة[٣]، لا سـيما أن وادي القرى كان فيه أحد هذه الأسواق وهو " سوق قرح "[٤]. وقد أدرك الأمويون أهميـة وادي القرى بوصفه نقطة التقاء الطرق الرئيسة من الشام ومصر؛ لذا عملوا علـى إحكـام الـسيطرة عليها في حروبهم مع عبد ا بن الزبير، ومع الخوارج ليمنعوهم مـن الإنتـشار أو وصـول الإمدادات إليهم، وقد نجحوا في ذلك[٥].

ومن أهم الطرق التي تخترق منطقة وادي القرى ذلك الطريق القادم من جنوب الجزيرة العربية والذي يبدأ من ظفار بساحل عمان[٦] بمحاذاة وادي حضرموت، ثم إلى شـبوة [٧] فـي أقصى الغرب من حضرموت، فيلتقي بالطريق الفرعي المؤدي إلى عدن، ثم منها إلى مأرب [٨]، ثم إلى صنعاء[٩]، ومن صنعاء يخرج طريق تجاري كبير يربط جنوب الجزيرة العربية بشمالها

---

(1) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب، ج٢، ص ٢٤٢.

(2) العلي، صالح، طرق المواصلات القديمة في بلاد العرب، مجلـة العـرب، الريـاض، ج١١، الـسنة٢، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨، ص ٩٦٣.

(3) العلي، طرق المواصلات، ص ٩٦٣.

(4) ابن عبد ربة، العقد الفريد، ج٧، ص٢٧. الحازمي، الأماكن، ج٢، ص٧٦٦. يـاقوت الحمـوي، معجـم البلدان، ج٤، ص ٣٢١. الأبشيهي، بهاء الدين محمد بن أحمد (ت ٨٥٤هـ/ ١٤٤٦م)، المستطرف في كل فنٍ مستظرف، تحقيق إبراهيم صالح، ط١، دار صادر، بيـروت، ١٩٩٩م، ج٢، ص ٥٩٦. الـسمهودي، وفاء الوفاء، ج١، ص ٣٣١. الأفغاني، أسواق العرب، ص١٦٩.

(5) البلاذري، أنساب الأشراف، ج٧، ص ١١٤. ابن الأثير، الكامل، ج٢، ص٢٧١. النويري، نهاية الأرب، ج٢١، ص ٨١.

(6) ظفـار: مدينة باليمن، على ساحل بحر الهند، من أعمال الشحر، قريبة مـن صـحار. انظـر: يـاقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص ٦٠.

(7) شبـوة: بلدة باليمن، على الجادة من حضرموت إلى مكة. انظر: ياقوت الحمـوي، معجـم البلـدان،ج٣، ص٣٢٣.

(8) مـأرب: مدينة باليمن بين حضرموت وصعناء. انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص ٣٣.

(9) صنعاء: قصبة اليمن، وأحسن مدنها، بها الزروع والفواكة والمياه الوفيرة. انظر: الهمداني، صفة جزيـرة العرب، ص ١٠٢. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص ٤٢٥.

ومن ثم بلاد الشام والعراق، مروراً بمكة ومنها ينطلق إلى الشمال حتى يصل إلى وادي القرى، حيث يتم تبادل البضائع هناك[١]. ولقد قام الأنباط قديماً بدور رئيسي على هذا الطريق في نقـل البضائع إلى سواحل البحر الأبيض المتوسط، ومصر، لا سيما في نقل المر واللبان، والبخـور، الذي يصل إليهم عبر هذا الطريق[٢].

بالإضافة إلى أن المكانة الدينية والاقتصادية لمكة قد عززت أهمية هذا الطريق بالنـسبة إلى أهالي وادي القرى، لا سيما في مواسم الحج، والأنشطة التجارية في مكة، وسـوق عكـاظ الذي يحرص سكان وادي القرى على الحضور إليه كل موسم[٣]، وصلاتهم التجارية مع قـريش وتجارتها[٤].

وارتبط وادي القرى مع المدينة بطريق رئيس آخر، يعد جزءاً من طريق الحج الـشامي والحج المصري وقد ذكرها كُلٌ من الحربي[٥]، وابن خرداذبة [٦]، وابن رسته[٧] وقدامـة بـن جعفر[٨] والمقدسي[٩]. وأهم المحطات على هذا الطريق مايلي: السقيا، ثم الرحبة (الرحيبة عند ابن رسته) ثم إلى ذي المروة، ثم إلى مر[١٠] ثم إلى السويداء [١١]، ثم إلى ذي خشب[١]، ثم إلـى المدينة.

---

(١) Delacy Oleary Arabia before Mohammed, London, 1927,p103.
حقي، إسماعيل، أسواق العرب، ص ٣١.

(٢) Richard and Bowen , Trade routes. P38.

(٣) المرزوقي، أبو علي أحمد بن محمد(ت٤٢١هـ/١٠٢٠م)، الأزمنة والأمكنـة، دار الكتـاب الإسـلامي القاهرة، د.ت، ج٢، ص ١٦٨.

(٤) العلي، طرق المواصلات، ص٩٦٣.

(٥) الحربي، المناسك، ص ٤٠٣.

(٦) ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص ١٥٩.

(٧) ابن رسته، الأعلاق النفيسة، ج٢، ص ١٨٢.

(٨) قدامة بن جعفر، الخراج، ص ١٩٠ – ١٩١.

(٩) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص١١٠.

(١٠) مـر: بالضم، ضد الحلو، وادٍ ببطن إضم، وتعرف بذا مر و المر –أيضاً- أحد منازل الحج الشامي المار بالمدينة. انظر الحربي المناسك، ص٤٠٠. ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص١٥٩. ياقوت الحمـوي، معجم البلدان، ج٤، ص٨٩. الجاسر، بلاد ينبع، ص ٢١٠.

(١١) السـويداء: تصغير سوداء، سماها المقدسي السويدية، موضع على بعد ليلتين من المدينـة علـى طريـق الشام، من منازل الحج. انظر: الحربي، المناسك، ص ٤٠١. المقدسي، أحسن التقاسيم، ص١٠٦. يـاقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص ٣٢٢.

وهناك طريق آخر يربط بين وادي القرى وخيبر، وهو الطريق الذي سلكه الرسول(ﷺ) عندما فتح وادي القرى سنة (٧هـ/٦٢٨م)، وهذا الطريق يربط وادي القرى بعدة قـرى بـين وادي القرى وخيبر، منها: " بـُرمة " الواقعة بين خيبـر ووادي القـرى، الغنيـة بالمحاصـيل الزراعية، والمياه والعيون، التي وصفت بأنها عرض عظيم من أعراض المدينة تحوي أمـولاً كثيرة لبعض الصحابة من قريش[٢] وَبَلاكِث[٣]، والشبكة أو شبكة الدوم[٤]، واشتهرت هذه القرى الثلاث بالمحاصيل الزراعية، لا سيما التمر والحبوب في القرن الأول الهجري[٥]. وتكمن أهمية هذه الطرق بأنها تربط وادي القرى بهذه الأماكن المنتجة لا سيما الحبوب، ويوجـد – كـذلك- سوق مهمة هناك هي سوق نطاة خيبر المشهورة قبل الإسلام[٦] والتي استمرت بعـد الإسـلام أيضاً[٧].

ويرتبط وادي القرى مع العراق بعدة طرق بواسطة طريق يبدأ من الحيرة، ثم يمـضي إلى وادي الرمة[٨]، حتى يصل إلى خيبر، ثم عن طريق وادي القرى يتجه إلى المدينة ومكة في الطريق الذي يصل بين شمال الجزيرة العربية وجنوبها، ومن مكة إلى عكاظ [٩]. وذكر المقدسي طريقاً يربط بين قَرح والبصرة، لكنّه لم يفصل القول فيه[١٠]، وهناك طريـق آخـر مـن وادي

---

(1) ذو خُشب: وادي يقع شمال المدينة، على طريق الشام، له ذكر كثير في كتب السير والمغازي، به قـصور لبني أمية، نزلوا به حين أخرجوا من المدينة قبيل وقعة الحرة سنة ٦٣هـ. انظـر: الحربـي، المناسـك، ص٤٠١. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص ١٦٧.

(2) الواقدي، المغازي، ج٢، ص ٧٠٩. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص٤٦. السمهودي، وفاء الوفاء، ج١، ص ٣٠٠.

(3) بلاكث: وقيل بلكثة، من أعراض المدينة، بالقرب من برمة، وخيبر بين ذي المروة وذي خـشب. انظـر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص ٤٧٨.

(4) الشبكة: تقع بالقرب من برمة بينها وبين بلاكث، سميت بالشبكة لكثرة المياه، والآبار، ارتبط اسـمها مـع برمة وبلاكث، وأطلق عليهن وصف عرض عظيم من أعراض المدينة. انظر: البكري، معجم ما استعجم، ج١، ص٢٧١. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص ٣٢٢.

(5) الوهيبي، قرى عربية، ص١٠٠٢.

(6) ابن حبيب، المحبر، ج١، ص ٢٦٨.

(7) الحربي، المناسك، ص ٢٩١.

(8) وادي الرمة: وادٍ كبير يمتد من أعالي المدينة المنورة وخيبر مروراً بعالية نجد عبر القصيم ثم ينتهي بشط العرب عند الكويت والعراق.

(9) خليف، يوسف، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، دار المعارف، مصر، ١٩٥٩م، ص١٢٥.

(10) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص ٩١.

القرى إلى العراق عن طريق تيماء التي تبعد عن وادي القرى ثلاث مراحل، وقيل أربع[١]، ثـم إلى دومة الجندل، وهي إحدى أسواق العرب المشهورة قبل الإسلام [٢]، ومنها يخرج طريق إلى العراق[٣].

أما بالنسبة إلى بلاد الشام فإن وادي القرى قد ارتبط منذ القدم بـالوادي، بعـدة طـرق رئيسة، وهي طرق تربط بلاد الشام مع الحجاز والجزيرة العربية بصفة عامة، وهي من أبـرز الطرق وأقدمها، وتربط الجزيرة العربية بالبلاد المجاورة لها، كبلاد الشام والعراق وكذلك مصر وكان طريق قوافل قريش الرئيس مع بلاد الشام. وفضلاً عن كتب الجغرافيا فإن كتب الـسير، تحدثت عن هذه الطرق، لارتباطها بالسرايا التي بعثها الرسول(ﷺ) لاعتـراض قوافـل قـريش التجارية القادمة من بلاد الشام. بيد أن كتب السير لم تصفه بدقة، وإنما اكتفت بالإشـارة إلـى المواضع التي كانت هذه السرايا تعترض فيها قوافل قريش التجارية[٤]، وكان هذا الاعتراض في أغلبه يتم على الجزء الجنوبي الواقع بين وادي القرى ومكة، كغزوة ودان [٥]، وغزوة بـدر [٦]. وقد سلك التجار المسلمون هذا الطريق، لا سيما بعد نشاطهم التجاري الذي بدأ يزداد منذ الـسنة الثانية للهجرة، فقد كانت قبيلة فزارة ممن سبب للمسلمين كثيراً من المتاعب والمخـاطر فـي منطقة وادي القرى الواقعة على هذا الطريق[٧].

وكذلك يرتبط وادي القرى مع بلاد الشام بعدة طرق رئيسة أخـرى أهمهـا: الطريـق التبوكية؛ نسبة إلى مدينة تبوك الواقعة على هذا الطريق[٨].وتشير رواية ذكرها ابـن اسـحاق، وكذلك الطبري، أن الخليفة أبو بكر الصديق(ﷺ)، عندما جهز الجيوش الإسلامية لفتح بلاد الشام أمر يزيد بن أبي سفيان، وأبا عبيدة عامر بن الجراح، وشرحبيل بن حسنة (ﷺ) بـأن يـسلكوا الطريق التبوكية إلى البلقاء من عليا الشام[٩]، وذكر الواقدي والبلاذري أن جـيش الفتوحـات

---

(١) المقدسي، المصدر نفسه، ص ١٠٦. الأدريسي، نزهة المشتاق، ج١، ص ١١٢.

(٢) ابن حبيب، المحبر، ص٢٦٥.

(٣) Oleary, Arabia, p 103.

(٤) حقي إسماعيل، أسواق العرب، ص٣٨-٣٩.

(٥) ابن هشام، السيرة، ج٢، ص٣٤٨.

(٦) المصدر نفسه، ج٢، ص٢٥٧.

(٧) ابن سعد، الطبقات، ج٢، ص٨٧.

(٨) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٣، ص٣٨٧.

(٩) ابن اسحاق، السيرة، ج٢، ص٤٥. الطبري، تاريخ الرسل والملوك،ج٣، ص ٣٨٧. ابن عساكر، تـاريخ دمشق، ج٢، ص٦٩.

انطلق من المدينة على وادي القرى ليخرجوا إلى تبوك ومنها إلى الجابية[١].ويسلك هذا الطريق الحجاج القادمون من بلاد الشام.

وقد حـدد الحربي[٢]، وابن خـرداذبة[٣]، وقدامـة ابن جعفـر[٤]، وابـن رسـتـه[٥] المناطق التي يمـر بها هذا الطريق وهم مختلفون في بعض الأماكن لا سيما الحربي[٦] ويبـدأ هذا الطريق من " دمشق إلى منزل، ثم إلى ذات المنازل، ثم إلى سرغ [٧]، ثم إلى تبوك، ثم إلى المحدثة[٨]، ثم إلى الأقرع [٩]، ثم إلى الجنينة ثم إلى الحجر، ثم إلى وادي القرى... حتى يـصل إلى مكة مروراً بالمدينة ".

وهناك طريق أخر يربط وادي القرى ببلاد الشام ينطلق من الحجر إحدى قـرى وادي القرى الشمالية، ثم يتجه نحو تيماء[١٠]، ومنها إلى دومة الجندل، ثم إلى بلاد الشام عن طريـق وادي السرحان [١١].ويذكر البلاذري أن هذا الطريق قد سلكه بعض الرسـل بـين عمـر بـن الخطاب(ﷺ) وجيوش الفتح في بلاد الشام[١].

---

(1) الواقدي، فتوح الشام، ج١، ص ٢٧. البلاذري، فتوح البلدان، ج١، ص ٣.

(2) الحربي، المناسك، ص ٤٠٣.

(3) ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص ١٥٠.

(4) قدامة بن جعفر، الخراج، ص ١٩١.

(5) ابن رسته، الأعلاق النفسية، ج٢، ص٧٨.

(6) وهذا الطريق عند الحربي، على النحو التالي: " دمشق، ثم إلى الصنمين، ثم إلى أذرعات، ثم إلى الزرقاء، ثم إلى القسطل، ثم إلى قبال، ثم إلى بالعة، ثم إلى الحفير، ثم إلى معان، ثم إلـى ذات المنـار، ثـم إلـى المغيثة، ومنها إلى سرغ... حتى وادي القرى.." المناسك، ص ٤٠٣.

(7) سَـرغ: بفتح أوله وسكون ثانية، ثم غين معجمة، وهو أول الحجاز وآخر الشام، بين المغيثة وتبوك، مـن منازل الحج الشامي، لقي به عمر بن الخطاب(ﷺ) أمراء الأجناد في أثناء الفتوحات، بينها وبين المدينـة ثلاث عشرة مرحلة وتسمى اليوم المدورة في جنوب الأردن. انظـر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص ٢١١.

(8) المحـدَثة: إحدى منازل الحج الشامي، بين تبوك، ووادي القرى.

(9) الأقـرع: أحد منازل الحج الشامي بين تبوك ووادي القرى. الواقدي، فتوح الشام، ج١، ص ٢٧. يـاقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص ٢٣٦.

(10) البكري، معجم ما استعجم، ج١، ص ٣٢٨.

(11) الراشد، سـعد، منطقة الحجاز وشمال غرب الجزيرة وصلتها ببلاد الشام في صدر الإسـلام والخلافـة الراشدة، المؤتمر الدولي الرابع لتاريخ بلاد الشام، الندوة الثانية، عمـان، ١٤٠٥هـ ـ/١٩٨٥م، ص٤٧٨. نورة النعيم، الوضع الاقتصادي، ص٢٢٠. ووادي السرحان: منخفض واسع يمتد مـن الأزرق جنـوب

وقد احتفظت بلاد الشام بعلاقاتها التجارية مع وادي القرى؛ نظراً لقربها منه، وعدم وجود أية حواجز طبيعية تفصل بينهما، فضلاً عن ثرواتها الزراعية وتنوعها لا سيما الحنطة المتوافرة في بلاد الشام في البلقاء وحوران اللتين عرفتا بمعدن الحنطة [٢]، عدا عن النشاط التجاري والصناعي في بلاد الشام [٣]؛ لذا كان أهالي وادي القرى يفدون إلى بلاد الشام ويمتارون منها ما يحتاجون إليه من بضائع[٤]، وقد ذكر المقدسي أن وادي القرى " مطرح الشام والعراق"[٥]؛ أي تجتمع به تجارة الشام والعراق.

أما فيما يخص مصر فإن الاتصال التجاري بين مصر ووادي القرى يرجع إلى زمن قديم جداً حيث كانت العلاقة الاقتصادية بين منطقة وادي القرى وبين مصر قوية منذ أيام الديدانيين ثم اللحيانيين. حيث ينطلق طريق مصر من السقيا وهي إحدى قرى الوادي التي تُعد نقطة التقاء الطريق بين مصر وبلاد الشام، مروراً بعدة منازل أهمها واحتا شغب وبدا ثم مدين وأيلة على ساحل البحر الأحمر[٦]، التي كانت مركزاً تجارياً برياً وبحرياً يجتمع فيها حجاج الشام من جهة فلسطين وحجاج مصر والمغرب من جهة أخرى، ثم يسلكون طريق الحج المصري باتجاه وادي القرى عن طريق شغب وبدا ثم إلى السقيا[٧]. وكانت مصر مصدراً لتمويل الغذاء والبضائع لمدن الحجاز وقراه بما فيها وادي القرى في صدر الإسلام[٨]، وكانت

المملكة الأردنية الهاشمية شمالاً، حتى دومة الجندل شمال المملكة العربية السعودية جنوباً. وكان يعرف قديماً باسم وادي الأزرق، ثم تحول إلى وادي السرحان نسبة إلى قبيلة السرحان الكلبية القضاعية. للمزيد انظر: الجاسر، في شمال غرب الجزيرة، ص٤٠-٤١.

(1) يذكر البلاذري، أن أبو عبيدة عامر بن الجراح (ت١٨هـ/٦٣٩م) بعث شخصاً اسمه عرفجة بن مازن إلى عمر بن الخطاب(ﷺ) بفتح قيسارية وساحل الشام، ولما وصل عرفجة أرسل معه عمر كتاباً انطلق به عن طريق تيماء، إلى أبي عبيدة يأمره بأن يبعث جيشاً بقيادة عمرو بن العاص لفتح مصر. انظر: البلاذري فتوح الشام، ج١، ص٢٨١.

(2) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص ٤٨٩.

(3) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص١٨٠- ١٨١.

(4) ابن قتيبة ،الشعر والشعراء، ج١، ص ١٣٤-١٣٥.

(5) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص٩٧.

(6) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص ٢٩٢.

(7) اليعقوبي، البلدان، ص ٣٩، ص ٤٣.

(8) المصدر نفسه، ص٩٤.

معظم السفن القادمة من شواطئ الجزيرة العربية تحط رحالها في ميناء القُلزم [١]، التي يـصفها المقدسي بقوله: " إنها خزانة مصر وفرضة الحجاز ومغوثة الحاج"[٢].

وكان لوادي القرى عدة موانئ على سواحل البحر الأحمر، ومن أبرزها: ساحل الحوراء ذات المياه العذبة التي يكثر فيها النخيل والأشجار، وسكانها من قبيلة جهينـة، وقبيلـة بلـي[٣]، ترسوا فيها السفن التجارية القادمة من مصر[٤]. وميناء العونيد الواقع على البحر الأحمر وهـو الساحل الثاني لِوادي القرى[٥]، حيث ترسوا في هذه الموانئ السفن المحملة بالبـضائع والـسلع القادمة من مصر، وكانت هذه الموانئ - مع موانئ أخرى للحجاز - على البحر الأحمر مثـل ساحل الجار، وساحل جدة، وساحل مدين[٦]، لها نشاط تجاري كبير مع السواحل المـصرية، لا سيما ساحل القلزم، وعيذاب[٧]، وساحل أَيلَة التي أصبحت من الموانئ البحرية على ساحل البحر الأحمر [٨]، واستطاعت هذه الطرق والموانئ أن توفر للسكان فـي وادي القـرى كثيـراً ممـا يحتاجون إليه من سلع ومواد أساسية.

---

(1) القلزم: مدينة على ساحل البحر الأحمر، فيها التجار الذين يجهزون الميرة من مصر إلى الحجـاز، وإلـى اليمن. انظر اليعقوبي، البلدان، ص٩٤. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص ٣٨٧.

(2) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص١٧٨.

(3) الحميري، الروض المعطار، ص٢٠٥.

(4) البكري، معجم ما استعجم، ج٢، ص ٤٧٤. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص ١٢٦.

(5) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص ٨٤.

(6) اليعقوبي، البلدان، ص ٩٤. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص ٦٥.

(7) عَيذاب: بلدة على ضفة البحر الأحمر، على خليج السويس، ترسوا فيها المراكـب القادمـة مـن عَـدن. ويركب منها الناس من بلاد الصعيد ومصر إلى الحجاز، واليمن. انظـر: اليعقـوبي، البلـدان، ص ٩٤. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص ٢٦٥.

(8) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص ٦٥.

خريطة توضح الطرق التجارية المارة بوادي القرى



خريطة توضح طرق الحاج الشامي والمصري المارة بمنطقة وادي القرى



الأســـواق

لقد كان للحركة التجارية النشطة عند العرب في الجزيرة العربية، دور كبير فــي قيــام عدة أسواق مشهورة، سواء الأسواق الثابتة التي كانت قائمة على نحو دائم في المــدن والقــرى التي يبيع فيها الباعة ويقصدها المشترون، أو تلك الأسواق الموسمية التي تقــام فــي مواســم معينة(١). وكان هدفهم من هذه الأسواق هو عرض سلعهم التجارية سواء تلك السلع المحلية، أو تلك التي يستوردونها من الهند والشرق الأقصى، فضلاً عن السلع التي يأتي بها التجار من الشام أو العراق(٢).

والأسواق؛ جمع سوق، ويقال: تسوق القوم إذا باعوا واشتروا، وقد ســميت ســوقاً لأن التجارة تجلب إليها وتُساق المبيعات نحوها(٣). وعرف عند العرب بعض المــصطلحات التــي تتحدث عن السوق وترمز إلى حركتها وتقلباتها مثل: نفقت السوق، وكسدت، وانحمقت الــسوق أي خسرت. وقد عَرَفت العرب أسواقاً موسمية كبيرة ومشهورة في جزيرة العرب أهمها ســوق دومة الجندل (٤)، وسوق عكــاظ (٥)، وسوق مجنّة(٦)، وسوق ذو المجاز(١)، وبالقرب مــن وادي

---

(1) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب، ج٧، ص٣٦٥.

(2) المرزوقي، الأزمنة والأمكنة، ج٢، ص ١٦١.

(3) ابن منظور، لسان العرب، مادة (سوق)، ج٦، ص ٤٣٥-٤٣٦.

(4) سوق دومة الجندل: من أسواق العرب المشهورة قبل الإسلام، وأولها قياماً، يوافيها العرب من كــل أوب، وقيامها من أول يوم من شهر ربيع الأول إلى النصف منه، يأتونها من أطراف الشام، ومن العراق ومــن سائر أنحاء الجزيرة. انظر: ابن حبيب، المحبر، ص ٢٦٣. اليعقوبي، تاريخ، ج١، ص ٢٧٠. المرزوقي، الأزمنة والأمكنة، ج٢، ص ١٦١. ابن كثير، البداية والنهاية، ج٣، ص ١٨٩.

(5) سوق عكاظ: تقع بين مكة والطائف وقيل بأعلى نجد، وهو من أشهر أسواق العرب في الجاهلية وأعظمها شأناً، ولا يكاد يخلو كتاب تاريخي أو أدبي تحدث عن العرب قبل الإسلام إلا وفيه ذكر لهذه السوق، نظراً لما يقوم به من أنشطة اقتصادية، وثقافيه، وأدبية، واجتماعية. ويقال: إنها ســميت بعكــاظ لأن العــرب يتعاكظون فيها أي يتفاخرون بأشعارهم وأنسابهم فيها. كان قيامها في ذي القعدة من كل عام. حددها بعض المحدثين بأنها شمال الطائف وتبعد عنها بضعة كيلو مترات عند التقاء أودية الطائف ومفيضها في ســهل ركبة بالقرب من مطار الحوية إحدى مدن الطائف اليوم. للمزيد انــظر: ابن حبيب، المحبــر، ص ١٩٥. اليعقوبي، تاريخ، ج١، ص ٢٧٠. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص ٤٨٧. المرزوقــي، الأزمنــة والأمكنة، ج١، ص ١٩٢. الجاسر، سوق عكاظ، مجلــة العــرب، ج١٢، الــسنة ١٣٨٨هــ ـ/١٩٦٨م، ص١١٣٩.

(6) سوق مجنــّة: من أسواق العرب في الجاهلية، تقع بمر الظهران أسفل من مكة، وكان مدة نشاطها عــشرة أيام. انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص ٥٨.

القرى كانت تقوم إحدى هذه الأسواق هي سوق نطاة خيبر[٢]، وسوق المشقر[٣] وهنـاك عـدة أسواق تقام باليمن وعمان [٤]. وكان للسكان في وادي القرى صلات تجارية مهمـة مـع هـذه الأسواق التي يحضرونها باستمرار لشراء ما يحتاجون إليه من سلع، وربما يكون حضور بعض الأسواق - كسوق عكاظ - له أثر معنوي كبير عند العرب، فيأتي إليه زعماء القبائل وشيوخها لحضور مثل لهذه الأسواق، حيث ذُكر أن معمر بن الحارث الخيبري بن ظبيان بـن حـن بـن عذرة جد الشاعر المشهور جميل بن معمر كان يحضر إلى سوق عكـاظ [٥]؛ لأن مثـل هـذه الأسواق لا تقتصر على النشاط التجاري حسب، بل كانت لها إسهاماتها الثقافية، والاجتماعيـة والسياسية أيضاً.

وقد ظهر في وادي القرى أسواق ذات نشاط متزايد في صدر الإسلام لا سـيما سـوق " قـرح "وهي السوق الرئيسة بوادي القرى، وكانت من أسواق العرب في الجاهلية [٦]. وقد زاد نشاط هذه الأسواق بصورة أكبر في القرون اللاحقة مستفيدةً من وقوعها على شبكة من الطـرق التي تربطها مع بلاد الشام، ومصر والعراق، ومدن الحجاز واليمن، حتى قال عنها المقدسـي: " وليس بالحجاز اليوم بلد، أجل وأعمر، وآهلَ وأكثـر تجـاراً وأمـوالاً وخيـرات بعـد مكـة منها"[٧].وكانت سوق قرح سوقاً حيوية ونشطة في المنطقة في صدر الإسلام حيث استطاعت أن تخدم أهل المنطقة، وتوفر لهم جميع ما يحتاجون إليه من سلع، تجلب من بلاد الشام والعـراق ومصر وقد ذكر المقدسي إنها " مطرح الشام والعراق "[٨]، حيث يقدم إليها التجار مـن جميـع

---

(1) ذو المجاز: من أسواق العرب في الجاهلية، تُقام بعرفة على ناحية كبكب، ومدة قيامها ثمانية أيام. انـظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص ٥٥.

(2) نطـاة خيبر: تقع هذه السوق بخيبر بالقرب من وادي القرى، واستمرت سوق خيبر حتى بعـد الإسـلام بزمن طويل. انظر: ابن حبيب، المحبر، ص ٢٦٨. الحربي، المناسك، ص ٢٩١.

(3) المشقر: سوق تقام بالبحرين، وهو حصن لعبد القيس. انظر: ياقوت الحمـوي، معجـم البلـدان،ج٢، ص ١٣٤.

(4) حول هذه الأسواق انظر: ابن حبيب، المحبر،ج١، ص٢٦٥. حقي اسماعيل، أسـواق العـرب، ص٦٥-١٠٤.

(5) المرزوقي، الأزمنة والأمكنة ،ج٢، ص ١٦٨.

(6) الحازمي، الأماكن، ج٢، ص٧٦٦. ياقوت الحموي، معجم البلـدان، ج٤، ص ٣٢١. الـسمهودي، وفـاء الوفاء، ج١، ص ٣٣١. الأفغاني، أسواق العرب، ص١٦٩.

(7) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص ٨٤.

(8) ياقوت الحموي، معجم البلدان،ج٤، ص ٨٤.

هذه النواحي، ومنهم من استقر فيها حتى قال المقدسي: " أنها بلـد شـامي مـصري عراقـي حجازي"[1]، وبها تجار من الموالي أيضاً، حيث ذكر أن عمر الوادي المغني المشهور، وأصـله من فارس، كان يعمل تاجراً يحمل الزيت من الشام إلى وادي القرى ومدن الحجاز الأخـرى[٢]. وتقع سوق قرح في منطقة يقال لها الصعيد أو صعيد قـرح [٣]، والـصعيد: المكـان المرتفـع والمستوي البارز [٤].

وفي السقيا سوق مزدهرة استفادت من موقعها؛ إذ يلتقي بها طريق الحـج الشـامي مع طريق الحج المصري من مصر وأفريقية[5]، وكان أهالي هذه الأسواق التي تقع على المحطـات يتاجرون مع من يفد إليهم في مواسم الحج، بل إن بعض التجار يأتون مع قوافل الحج ويتاجرون في هذه الأسواق. وقد ذكر ابن بطوطة أن هناك تجاراً من النصارى يرافقون الحجاج من بـلاد الشام حتى يصلوا إلى وادي القرى، ويبقون هناك حتى عودة الحجاج من الديار المقدسة [٦]. وقد انعكس ذلك إيجاباً على هذا السوق، وعلى أهالي البلدة حتى وصفت بأنهـا أحـسن مـدن وادي القرى [٧].وهناك سوق بالحجر [٨]، وسوق ذي المروة التي تلتقي بها عدة طـرق مـن مـصر والشام، وساحل البحر الأحمر، وخيبر[٩]، وسوق الحوراء على ساحل البحر الأحمر، وقد كانت سوقاً عامرةً وسط الربض، وكان موقع هذه السوق مما يلي البحر بالقرب من الساحل[١٠].كمـا كانت هناك أسواق خاصة بالإبل في وادي القرى، تقع خارج المدن[١١].

---

(1) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص٨٤.

(2) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج٣، ص ١٨٠.

(3) الحسن الأصفهاني، بـلاد العرب ص ٣٩٧. المقدسـي، أحسن التقاسيم، ص ٢٩.

(4) ابن منظور، لسان العرب مادة (صعد)، ج٣، ص ٢٥٧.

(5) الحربي، المناسك، ص ٤٠٣. اليعقوبي، البلدان، ص ٩٤.

(6) ابن بطوطة، الرحلة، ج١، ص ٥٢.

(7) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص٢٩.

(8) الحسن الأصفهاني، بلاد العرب، ص ٣٩٧.

(9) الجاسر، بـلاد ينبع، ص ٢١٢-٢١٣.

(10) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص ٢٩.

(11) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج٢، ص ١٨٠. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص ٣٢١.

واستمر نشاط الأسواق في وادي القرى على نحو متزايد، وعَمِلت على توفير متطلبـات السكان في وادي القرى، وكانت من الأسواق المهمة لأهل البادية في منطقة الحجاز عامة[1]، لا سيما بعد أن أجلى الخليفة عمر بن الخطاب(ﷺ)، يهود خيبر سنة٢٠هـ/ ٦٤٠م[٢]، فلا بـد أن يكون لهذا القرار دور إيجابي كبير في نشاط أسواق وادي القرى، واحتلالها مركز الصدارة في شمال الحجاز، حتى وصفت بأنها من مجامع أسواق العرب [٣]، ومع بقاء نشاط سوق خيبر بعـد إجلائهم منها [٤]، إلا أنها لم تكن كما عليه في السابق. بالإضافة إلى أن وقوعها علـى طـرق الحج؛ قد حقَّقَ لها الاستفادة من هذه الطرق فضلاً عن قربها من بلاد الشام والعراق الغنيتـين بالمحاصيل الزراعية، واتصالها مع مصر عن طريق عدة موانئ على ساحل البحـر الأحمـر. فضلاً عن أنها كانت توفر جميع ما يريده أهل البادية في المنطقة من سلع وكانت تتأثر بـبعض الظروف أو العوامل التي عملت على عرقلة هذه الأسواق في بعض الأوقات والحد من نشاطها التجاري وعلى النشاط الاقتصادي على نحو عام، ويأتي في مقدمة هذه الاضطرابات الـسياسية التي عصفت بالدولة الإسلامية منها الفتنة الكبرى التي أدت إلى مقتـل الخليفـة عثمـان بـن عفان(ﷺ) حيث كان وادي القرى من مراكز الثوار الأساسية في هذه الثـورة سـنة(٣٥هـ ـ/ ٦٥٥م)[5]، كذلك الصراع الذي دار بين عبد ا بن الزبير، والأمويين على الحجاز، فتدهورت الأسواق هناك، وقلت السلع، وارتفعت الأسعار، ولم يكن الناتج المحلي كافياً لسد حاجات الناس، فأصابت الناس مجاعة كبيرة في وادي القرى، مما اضطر السكان إلى نهب تمور الصدقة التـي كانت عند الجراح بن الحصين الجعفي والي عبد ا بن الزبير على وادي القرى[٦].

وتأثرت الأسواق في وادي القرى ببعض المواقف السياسية التي حدثت في عهد الخليفة الوليد بن عبد الملك، بعد أن طلب إليه الحجاج بن يوسف الثقفي واليه علـى العـراق إخـراج العراقيين الذي آواهـم عمر بن عبد العزيز عندما كان والياً على الحجاز، وكان كثير من هؤلاء

---

(1) أبوالفرج الأصفهاني، الأغاني، ج٢، ص١٧٧. ابن حجة الحموي، تقي الدين أبو بكر بن علي(ت٨٣٧هـ ـ/ ١٤٣٣م)، ثمرات القلوب، مطبعة الاستقامة، القاهرة، ١٣٧٩هـ، ص ١٨.

(2) ابن هشام، السيرة، ج٣، ص٣٧٠. الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٢، ص ٣٠٢.

(3) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج٧، ص ٢٦. الأبشيهي، المستطرف، ج٢، ص ٥٩٦.

(4) الحربي، المناسك، ص ٢٩١.

(5) ابن شبة، تاريخ المدينة، ج٢، ص ٢١٢.

(6) البلاذري، أنساب الأشراف، ج٥، ص ٣٦٣.

العراقيين يشتغلون بالتجارة، فتم فأخرجوا من الحجاز ولم يترك الوالي منهم " تاجراً ولا غير تاجر "[١]، وكان كثير من هؤلاء التجار يأتي إلى وادي القرى [٢].

وفي سنة ١٢٩هـ/٧٤٦م، تعرض وادي القرى لاضطرابات سياسية أثرت في أسواقه، وخطوط التجارة التي تربطه مع المناطق المجاورة؛ حيث سيطر الخوارج بقيادة بلج بن عقبة الأزدي على وادي القرى، وشُلّت خطوط التجارة المؤدية إليه، فتعرضت الأسواق من جراء ذلك إلى حالة من الانكماش، وقلة في المعروضات، إلى أن تم القضاء عليهم على يد القائد الأموي عبد الملك بن محمد سنة ١٣٠هـ/٧٤٧م، وعاد نشاطها من جديد [٣].

ومما أثر في التجارة والأسواق في وادي القرى: السراق، وقطّاع الطرق، الذين كانوا يترصدون للقوافل التجارية على الطرق التي تأتي أو تمر بوادي القرى، بل إن بعض هؤلاء اللصوص كان يهجم على هذه الأسواق ويسرق ما يريد، ويصف بعض اللصوص من بني أسد كيف أنه كان ينتهز اشتغال التجار بشراء الإبل من أصحابها بسوق قرح في وادي القرى، ويغافلهم ويسرق منهم أحسن نوقهم وعليها رحلها ومتاعها، يقول [٤] :

ولما رَأيتُ التجر قد عَصبوا بها ... مساومةً خَفّت بهن يَميني [٥]

فأرأيتُ منها عَنْسةً ذاتَ جلةً ... كسِر أبي الجَارودِ وهو بَطِين

وكانت هذه الأسواق خاضعة للأحكام الإسلامية في البيع والشراء، والبعد عن الغش والتدليس والتطفيف، امتثالاً لقولة تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝٣﴾[٦]، وقد روي عن الرسول(ﷺ) قولة: "من غشنا فليس منّا"[٧].
وسار الخلفاء الراشدون من بعده على هذا النهج، وكان الخليفة عمر بن الخطاب(رضي الله عنه) يمارس

---

(1) اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص ٣٤٠. الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٥، ص ٢٨٥.

(2) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص٨٤.

(3) المسعودي، مروج الذهب، ج٢، ص ٣٢٧.

(4) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص ٣٢١. عطوان، حسين، الشعراء الصعاليك في العصر الإسلامي، ط١، دار الجيل، بيروت، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، ص ١١٥.

(5) عصبوا بها: اجتمعوا حولها وعنوا بها. انظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (عصب)، ج٦، ص١٥٢.

(6) سورة المطففين، الآية (١-٣).

(7) الإمام مسلم، صحيح مسلم، ج١، ص ٩٩.

الرقابة بنفسه على الأسواق[1] ثم عين عاملاً له على السوق هو السائب بن يزيـد علـى سـوق المدينة[٢]، واستعمل عبد ا بن عتبة على سوق المدينة[٣]، وكان الخليفة علي بن أبي طالب(ﷺ) يطوف بالأسواق وبيده الدرة [٤]. وفي العصر الأموي كان عامل السوق هو المسؤول عن مراقبة السوق، وله بعض المساعدين[5]. ولا بد أن مثل هذه الإجراءات كانت مطبقة في وادي القرى لا سيما أن الخليفة عمر بن الخطاب(ﷺ)، وهو الحريص على مصالح المسلمين ودينهم، قـد مـر بوادي القرى في طريقه إلى بلاد الشام سنة ١٩هـ/ ٦٤١م هـ وفي عودتهِ منها نـزل هنـاك واستقبله الأهالي، ونزلوا عليه، ثم أخذوا يسألونه عن بعض الجوانب الدينية، وأجابهم عنها[٦].

(1) ابن سعد الطبقات، ج٣، ص٦٥.

(2) أبو عبيد، الأموال، ص٦٤٠.

(3) ابن سعد، الطبقات، ج٥، ص ٥٨.

(4) المصدر نفسه، ج٣، ص ٢٧-٢٩.

(5) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج٥، ص ١٦٢. ج٤، ص١٨٠. الدوري، عبد العزيز، نـشوء الحـرف والأصناف في الإسلام، مجلة كلية الآداب، جامعة بغداد، العدد الأول، ١٩٥٩م، ص ١٣٨.

(6) ابن أعثم، الفتوح، ج١، ص ٢٣١.

السـلع

تنوعت السلع والبضائع التي كان يتم تداولها في أسواق وادي القرى، سواء كانت تنـتج محلياً أو تجلب من المناطق المجاورة. وهناك تنوع كبير في السلع المعروضة في هذه الأسواق، بسبب توافر بعضها محلياً، أو جلبها من مختلف الجهات، وذلك عن طريق شبكة الطرق التـي تمر بوادي القرى، فهناك: المحاصيل الزراعية، والملابس، والأسلحة، والأواني، وتجارة الماشية ومشتقاتها من ألبان، وأسمان، وغير ذلك.

ويأتي في مقدمة هذه السلع والمحاصيل الزراعية التمور، حيث اشتهرت أماكن عديـدة في وادي القرى بزراعة النخيل وإنتاج التمور[١]، ومن هذه الأماكن: قـرح [٢] والسقيا [٣] وذو المروة، التي اشتهرت بجودة تمورها وكثرتها، لا سيما التمر البـردي [٤]، والعـلا [٥]، وقريـة عمودان [٦] والمريسيع [٧]، وكان التمر من السلع الأساسية في أسواق وادي القرى، يجني منـه السكان الدخل الوفير ويباع أو يأكل بلحاً وتمراً، حيث يشتريه المسافر والحجاج، الـذين يـأتون إليهم من الأماكن المجاورة لا سيما أهل البادية[٨]، وربما صدر خارج وادي القرى. ويعد التمر غذاء رئيساً عند العرب، وتستخرج أو تُصنع منه بعض الأغذية، والمأكولات، كالدبس مثلاً [٩].

---

(1) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص ٨٤. السرخسي، المبسـوط، ج٥، ص ١٤٢.

(2) الواقدي، المغازي، ج١، ص ٧١٣. المقدسي، أحسن التقاسيم، ص٢٩. البكـري، معجـم مـا اسـتعجم ج١،ص٧١٣. ابن بطوطة، الرحلة، ج١، ص ٥١.

(3) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص ٨٤.

(4) المصدر نفسه، ص٨٤.

(5) ابن بطوطة، الرحلة، ج١، ص ٥١.

(6) الحسن الأصفهاني، بلاد العرب، ص ٣٩٦.

(7) البكري، معجم ما استعجم، ج٤، ص ١٢٢٠. الحميري، الروض المعطار، ص ٥٣٢.

(8) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج١، ص ١٢١. ابن حجة الحموي، ثمرات القلوب، ص ١٦.

(9) الدبس: عسل التمر وعصارته، وقيل رب التمر يؤكل إيداماً أو مع الخبز، وعند إعـداد الـسمن البـري يضاف إليه قليل من الدبس حتى يعطيه نكهةً طيبة. وهي طريقة متبعة حتى اليوم في المنطقة. حول الدبس انظر: ابن دريد، المخصص، ج٢، ص ٣٧٢. ابن منظور لسان العرب، مادة (دبس)، ج٦، ص ٧٥.

ومن السلع الغذائية –أيضاً- الحبوب كالقمح والشعير، ونظراً لقلة إنتاجهـا فـي وادي القرى كانت تستورد من خيبر التي تعد ريف الحجاز، حيث يزرع هناك [١]، ولكنّها كانت يجاب بكثرة من بلاد الشام من البلقاء [٢]، وحوران وهي معدن القمح والحبوب [٣]؛ لقربهما من وادي القرى وكان يضرب بحنطتهما المثل [٤].ويجاب القمح والحبوب – كذلك- من مـصرإذ تُحمـل على السفن إلى سواحل وادي القرى: مدين، والعونيد، والحوراء [٥].وكـان التجـار العراقيـون ينقلون كميات كبيرة من الحنطة والشعير إلى الحجاز أيضاً، ومن هؤلاء التجار من كان موجوداً في وادي القرى [٦]، وربما جاب من اليمامة أيـضاً؛ لـشهرتها بالحنطـة المعروفـة ببيـضاء اليمامة[٧].

ويجاب- كذلك- من بلاد الشام إلى أسواق وادي القرى زيت الزيتون[٨]، وكان يضرب بجودته المثل[٩]، وقيل: إن حكم الوادي كان يكري جماله لنقل الزيت من الـشام إلـى المدينـة ومكة[١٠]، ويعرف زيت الشام باسم " الزيت الركابي"؛ لأنه كان يحمل على الإبل من الشام[١١].

كما تُباع بأسواق وادي القرى الملابس بأنواعها: البرد، والحلل، والثياب، التي تجلب من مختلف الأقطار، لا سيما اليمن التي اشتهرت بجـودة برودهـا [١٢]، كالبـرود المعافريـة [١]

---

(1) ابن هشام، السيرة، ج٣، ص٣٦٠. الواقدي، المغازي، ج٢، ص٦٣٤، ٧٠٣.البلاذري، فتوح البلدان، ج١، ص ٢٥، ص ٢٧. الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٣، ص١٨. ابن كثير، البداية والنهايـة، ج٤، ص ٢٤٥. محمد حميد ا ، مجموعة الوثائق السياسية، ص ٧٢.

(2) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص ٤٨٩.

(3) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص ١٦٠.

(4) ياقوت الحموي، معجم البلدان ،ج١، ص ٤٨٩.

(5) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص٤٣. الحميري، الروض المعطار، ص٣٠٦.

(6) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص ٢٩.

(7) ابن الفقيه، مختصر كتاب البلدان، ص٢٩.

(8) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج١، ص ٢١٢. النويري، نهاية الأرب، ج٤، ص٢٨٠.

(9) الثعالبي، عبد الملك بن محمد(ت٤٢٩هـ/١٠٣٧م)، ثِمار القلوب في المضاف والمنسوب، تحقيق محمد أبو الفضل، القاهرة، دار المعارف، ١٣٨٤هـ/١٩٦٥م، ص ٥٣٢.

(10) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج٢، ص ١٨٤.

(11) الثعالبي، ثِمار القلوب، ص ٥٣٢.

(12) الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر(ت٢٥٥هـ/٨٦٨م)، التبصر بالتجارة، تحقيق عبـد الـسلام هـارون المطبعة الرحمانية، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م، ص١٤.

والعدنية[٢]، والنجرانية [٣]، وهناك الحبرة وهي ضرب من برود اليمن[٤]، وحلل الملوك التي كان يلبس منها جميل بن معمر[٥]. والثياب السحولية من اليمن أيضاً [٦]، ومن الملابس-أيضاً- الديباج[٧] والخُمر الجيدة [٨] التي تجلب من بلاد الشام، والثياب الرقاق، والكتانية وكذلك الصوف، من مصر[٩]، وهناك الثياب السابرية التي تجلب من مدينة سابور بفارس، وهي الثياب المعروفة بالإبريسم [١٠]، وقال شاعر عذرة جميل بن معمر يصف محبوبته [١١] :

لها مقلتا ريمٍ وَجِيد جَدَايةٍ وَبَطْن كَطَي السابِرِيةِ أهيَفُ[١٢]

كما تباع بعض الأسلحة في أسواق وادي القرى كالسيوف [١٣]، والسِهام، والقسي، ونصال الأسهم، والثلاث الأخيرة كانت تُصنّع محلياً [١٤]، من الأشجار التي تنبت في وادي القرى أو من المناطق المجاورة مثل شجر التألب [١٥]، وشجر

---

(1) المعافرية: نسبة إلى مدينة معافر من أرض اليمن. انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص١٢٤.

(2) العدنية: نوع من البرد يصنّع بمدينة عدن باليمن. انظر الأصفهاني، الأغاني ،ج٦، ص ١٥٢.

(3) النجرانية: ثياب أو حلل تنسب إلى مدينة نجران باليمن، وتشير الروايات أن الرسول(ﷺ) صالح أهل نجران على ألفي حلّة في كل رجب. انظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى ج١، ص ٢٨٨. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص ١٥٠.

(4) ابن سيدة، المخصص، ج١، ص ٣٨٦.

(5) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج٨، ص ١٣٦.

(6) السحولية: نسبة إلى قرية سحول باليمن، تصنع فيها الثياب القطنية البيض.انظر: المقدسي، أحسن التقاسيم ص ٩٨. ابن سيدة، المخصص، ج١، ص ٣٨٧.ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص ١٩٥.

(7) البكري، معجم ما استعجم، ج٣، ص ١٠١٠.

(8) المصدر نفسه، ج١، ص ١٣٢.

(9) ابن سعد، الطبقات، ج٥، ص ١٩٧. الجاحظ، التبصر بالتجارة، ص٣٠،

(10) الإبريسم: ضرب من الحرير. وقيل تعريب لكلمة فارسية، وتطلق على الحرير قبل أن يحزقه الدود، وبعد حزقه يسمى خزاً. انظر: الجاحظ، التبصرة بالتجارة، ص٢٧. ابن سيدة، المخصص، ج١، ص ٣٨٤.

(11) جميل ،الديوان، ص ١٢٧.

(12) الريم: الغزال. الجداية: الذكر من أولاد الظباء.

(13) جميل، الديوان، ص ١٢٨.

(14) ابن منظور، لسان العرب، مادة (ثرب)، ج٢، ص ١٢٢. و مادة (ودى)، ج١٥، ص ٢٦٠.

(15) ابن سيدة، المخصص، ج٢، ص ٣٩٨. ابن منظور، لسان العرب، مادة (تألب)، ج٣، ص ٤٢١.

الشوحط[1]، والنشم هو: شجر جبلي تتخذ منه القسي[2]، وكان الشاعر نصيب الذي يـسكن وادي القرى يبري القسي ويثقفها ويرمي النبل ويريشها[3]. وتُجاب بعض الأسلحة مـن خـارج وادي القرى من خيبر المشهورة بسهامها، ومن بلاد الشام تُجاب السيوف، من قرية مـشارف بالـشام المشهورة بالسيوف المشرفية[4]، ومن بصرى الشام [5]، ومن اليمن المشهورة بجودة سيوفها [6]، وبصرى الشام، والهند، والحيرة[7] وتُجاب الدروع من الشام، واليمن، وقد اشـتهرت الـدروع السلوقية [8].

ويتوافر في أسواق وادي القرى بعض أدوات الزينة مثل الحناء، التي تستخدمه النـساء للزينة [9]، وقد يجاب الزعفران، والعصفر[10]، من بلاد الشام[11]، وربما مـن أصـفهان التـي اشتهرت بالزعفران[12] والورس من اليمن [13]، لصبغ الثياب. ومن السلع المعروضة –أيـضاً- اللبان الذي ينمو في وادي القرى، عند جبل شيبان[14]، وكذلك الحبة الخـضراء[15] المعروفـة

---

(1) ابن منظور، لسان العرب، مادة (شحط)، ج٧، ص ٣٢٧.

(2) المصدر نفسه، مادة (نشم)، ج١، ص ٢٢٥.

(3) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج١، ص٣٣٣.

(4) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص ٢٥.

(5) كُثير عزة، الديوان، ص ٢٣٠.

(6) الكندي، أبو يوسف يعقوب بن إسحق(ت٢٥٦هـ/٨٧٠م)، السيوف وأجناسها، أخرجها عبد الرحمن زكي، مطبعة جامعة فؤاد، القاهرة، ١٩٥٢م، ص٨-٩. ابن سيدة، المخصص، ج١، ص ٤٦٨.

(7) ابن سيدة، المخصص، ج١، ص ٤٦٧.

(8) سـلوق: فيها خلاف قيل: مدينة باليمن اشتهرت بصناعة الدروع. وقيل مدينة بالشام تنسب إليها الكـلاب السلوقية. وقيل –أيضاً- من مدن الروم. انظر: ابن الفقيه، مختصر البلدان، ص٧٥. وقارن مع: الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص ١٤٩. البكري، معجم ما استعجم، ج٣، ص٧٥١. يـاقوت الحمـوي، معجـم البلدان، ج٣، ص ٢٤٢.

(9) جميل، الديوان، ص ٢٣٥. ابن عساكر، تاريخ دمشق ،ج٤٠، ص ٢٢٦.

(10) العصفر: نبات ينبت بأرض العرب، ويستخدم في صبغ الثياب. انظر: ابـن منظـور، لـسان العـرب، مادة(عصفر)، ج٤، ص ٥٨١.

(11) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص ١٤٥.

(12) الجاحظ، التبصرة بالتجارة، ص٣٩.

(13) الجاحظ، التبصر بالتجارة، ص٧. الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص ١٩٩.

(14) الحسن الأصفهاني، بلاد العرب، ص٣٩٨.

(15) المصدر نفسه، ص ٣٩٨.

بشجر البطم [١]، إذ يستخرج منها علكة المستكه التي تسمى علكة الأنباط [٢]، والأطياب: المسك والعنبر [٣]، وبعض أنواع الحلي كالأساور والخواتم، وربما كانت تصنع محلياً نظراً لوجود الذهب والفضة في وادي القرى[٤]. فضلاً عن بعض الأحجار الكريمة كالزمرد [٥] الموجودة في جبال وادي القرى وأوديتها [٦]، وعادةً ما تزين به الخواتم، والأساور، والتيجان، والأطواق وحلي السيوف. وهناك الكحل والإثْمد، الذي يكثر في وادي القرى ويستدل به على وجود الذهب والفضة[٧].

ويجلب من بلاد الشام الأقداح والأواني المنزلية المستخدمة في حفظ الطعام أو تقديمة مثل الصِحاف الشامية[٨]، والأواني المفضضة[٩]. ومن الطائف يجلب الأديم عالي الجودة والنعال الطائفية [١٠]، وهناك الأديم العكاظي الذي يجلب إلى سوق عكاظ ويباع فيها [١١]، وكان سكان وادي القرى ممن يحضرون إلى سوق عكاظ [١٢].

---

(1) ابن منظور، لسان العرب، مادة (بطم)، ج٢، ص ٥١.

(2) ابن سيدة، المخصص، ج٣، ص ٤٤٥.

(3) جميل، الديوان، ص ١٠١، ١٠٢، ١٣٥.

(4) الحسن الأصفهاني، بلاد العرب، ص٣٩٨.

(5) الزمرد: من أجود أنواع الأحجار الثمينة، تعم الخُضرة أصنافه ويستخدم في تزيين الأساور، والأكاليل والتيجان، والخواتم، ومعادنه جبال خضر. ويوجد بمنطقة الدراسة اليوم عدة أماكن لا تزال تحمل هذا الاسم حتى اليوم؛ بسبب وجود هذا الحجر الكريم في جبالها. انظر: عبد ا غبان، الآثار الإسلامية، ص ٦٩.

(6) شيخ الربوة، شمس الدين محمد بن أبي طالب(ت٧٢٧هـ/١٣٢٦م)، نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، ليدن، ص٩٠.

(7) الهمداني، الحسن بن أحمد(ت٣٤٥هـ/٩٤٥م)، الجوهرتين العتيقتين المائعتين الصفراء والبيضاء، ط١ تحقيق حمد الجاسر، المطابع الأهلية، الرياض، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م، ص٨٥.

(8) الأنطاكي، محمد بن محمد (ت١٠٠٨هـ/١٥٩٩م)، تزيين الأسواق بتفصيل أشواق العشاق، تحقيق أيمن عبد الجابر البحيري، دار البيان العربي، القاهرة، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م، ج١، ص ١٢٢.

(9) المفضضة: المموهة والمطلية بالفضة. انظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (فضض)، ج٧، ص ٢٠٦

(10) الإدريسي، نزهة المشتاق، ص٢٦.

(11) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص ١٨٢.

(12) المرزوقي، الأزمنة والأمكنة، ج٢، ص ١٦٨.

ويأتي أهل البادية ببعض منتجاتهم إلى أسواق وادي القرى، من لبن، وسـمن، وأقـط، وودك، ولحوم، والتي كانت متوافرة عندهم في الغالب [١].مقابل حصولهم على التمر والحنطـة وغير ذلك مما يحتاجون إليه، وقد ذكر الأصفهاني أن أهل المجنون(مجنون ليلى)كانوا يمتارون من وادي القرى [٢].وربما توافرت في أسواق وادي القرى بعض الأسماك، نظراً لقـرب وادي القرى من البحر الأحمر، ووجود موانئها على سواحله.

(1) الأنطاكي، تزيين العشاق، ج١، ص ١٢٢.

(2) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج١، ص ١٢١.

النـقود

عرف العرب النقود وتعاملوا بها قبل الإسلام بمدةٍ طويلة [١]، وليس هناك أكثـر دلالـة على معرفتهم النقود من ورود ذكر الدينار والدرهم في القرآن الكريم، فقد أشار إلى الدينار فـي قوله تعالى: ﴿ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [٢]، وإلى الدرهم بقول تعالى: ﴿ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍۭ بَخْسٍ دَرَٰهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ﴾ [٣]

وكان للعرب قبل الإسلام صلات تجارية مع البيزنطيين في بلاد الشام، وصلات تجارية مع الفرس في العراق أيضاً، لذا " كانت دنانير[٤] هرقل تَرِد على أهل مكة في الجاهليـة وتـرد عليهم دراهم [٥] الفرس البغلية، فكانوا لا يتبايعون إلا على أنها تبر" [٦].وذكر البلاذري أن سعيد

(1) عرفت منطقة وادي القرى النقود النبطية لا سيما بعد سيطرتهم على المنطقة في نهاية القـرن الأول قبـل الميلاد. وورد ذكر هذه العملة في عدة نقوش وجدت على بعض المقابر في منطقة الحجر، وحملت هـذه العملة عدة أسماء منها: " سلعين "، و " سلعية "، " وحارثية "، وقد أثبتت معظم نقوش الحجر التي أشارت إلى المسكوكات النبطية نسبة هذه المسكوكات إلى سلع عاصمة الأنباط " البترا ". ووجد اسم هذه العملـة- أيضاً- في نقوش في مدينة العلا عاصمة اللحيانيين. وقد ذكر الرحالان الفرنـسيان: أنطـوان جوسـن، ورفائيل سافيناك، اللذان زارا المنطقة سنة ١٩٠٧هـ، أنهما شاهدا الكثير من المـسكوكات النبطيـة مـع الجنود الذين يحرسون قلعة الحجر، وأنهم جمعوا – أي الجنود – الكثير من العملات النبطية التـي يعـود معظمها إلى مرحلة حكم الملك حارثة الرابع، واستطاع جوسن وسفيناك الحصول على بعض هذه القطـع النبطية. حول هذا الموضوع انـظر: جوسن، أنطونان؛ وسـافيناك، رفائيل، رحلة استكشافية أثرية إلـى الجزيرة العربية، ج١، ص ١٣٤-١٣٥. يوسف، فرج ا أحمد، مـسكوكات مملكـة الأنبـاط، ط١، دار القوافل، الرياض، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م، ص ٥٣، ص٥٧.

(2) سـورة آل عمران، الآية رقم (٧٥).

(3) سـورة يوسف، الآية رقم (٢٠).

(4) دنانير هرقل: المقصود بها الدينار البيزنطي، وهرقل هو الحاكم البيزنطي، والدينار وحدة ذهبية مأخوذ من الكلمة اليونانية اللاتينية Denarius.انظر: دائرة المعارف الإسـلامية، ط٢، ترجمـة أحمـد الـشناوي وآخرون، خوارزم خوست، ١٣٥٢هـ/١٩٣٣م، ج٧، ص ٣٦٩.

(5) الدرهم: وحدة من وحدات العملة الفضية، مأخوذة من الكلمة اليونانية (Seaxun)، ووصل إلى العرب عن طريق الفرس. انظر: دائرة المعارف الإسلامية، ج٧، ص ٢٢٦-٢٢٧.

(6) البلاذري، فتوح البلدان، ص ٥٧١.

بن المسيب، سـئلَ يوماً، من أول من ضرب الدنانير المنقوشة ؟ فقال: عبد الملك بن مـروان، وكانت الدنانير ترد رومية، والدراهم كسروية، ودراهم حميرية [(١)].وكان تعامل العـرب بهـذه النقود بالوزن وليس بالعدد، فكانت قريش تزن الفضة بوزن تسميه درهماً، وتزن الذهب بـوزن تسميه ديناراً، فكل وزن عشرة من أوزان الدراهم سبعة أوزان الـدنانير [(٢)]،، وكـل وزن مـن أوزان الدرهم والدينار يساوي مثقالاً، فالمثقال من الفضة يسمى درهماً، والمثقال مـن الـذهب ديناراً [(٣)].وكان وزن الدينار نحو ٤،٢٥جراماً، ويزن كل سبعة دنانير عشرة دراهم [(٤)]، وسـمي هذا الوزن عند الفقهاء بالدينار الشرعي تمييزاً له عما اختلف في وزنها، وكانت العلاقـة بـين الدينار والدرهم في الوزن لا في القيمة [(٥)]، وكانت الدراهم التي عرفها العـرب فـي الحجـاز متعددة ومتنوعة منها، الدرهم البغلي، أو البغلية [(٦)]، والسوداء الوافية [(٧)]، والـدراهم الطبريـة العتق [(٨)]، وكانت أوزانها متفاوتة أيضاً، فالعشرة منها تصل إلى عشرة مثاقيل، وبعضها تـصل العشرة منها إلى خمسة مثاقيل، وبعضها العشرة منها تصل إلى ستة مثاقيل، فجمع ذلك فوصلت إلى إحدى وعشرين مثقالاً، فأخذ ثلثه وهو سبعة مثاقيل[(٩)].

ولما بعِثَ الرسول(ﷺ) أقر التعامل بهذه النقود والأوزان علـى مـا كانـت عليـه [(١٠)]، وقـال: " المكيال مكيال المدينة، والميزان مـيزان مكة "[(١)]، وبموجبها فرضت زكاة الأموال[(٢)].

---

(1) البلاذري، فتوح البلدان، ص ٥٧٤. الحسيني، محمد باقر، تطور النقـود العربيـة الإسـلامية، ط١، دار الجاحظ، بغداد، ١٩٦٩م، ص١٤. والحميرية، نسبة إلى دولة حمير باليمن.

(2) البلاذري، فتوح البلدان، ص ٥٧٣.

(3) المقريزي، أحمد بن علي(ت ٨٤٥هـ/١٤٤١م)، شذور العقود في ذكر النقود، ط5، تحقيق محمـد بحـر العلوم، المكتبة الحيدرية، ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م، ص ٤. فالتر، هنتس، المكاييل والأوزان الإسـلامية ومـا يعادلها في النظام المتري، ترجمة كامل العسلي، منشورات الجامعة الأردنية، عمان، ١٩٧٠، ص٢٩.

(4) البلاذري، فتوح البلدان، ص ٥٧٣.

(5) أبو عبيد، الأموال، ص٧٠١. الماوردي، الأحكام السلطانية، ص ١٥٣.

(6) الدرهم البغلي: منسوب إلى ضراب يهودي مشهور باسم رأس البغل، كان يضرب النقود للخليفة عمر بن الخطاب(رضي الله عنه). المقريزي، شذور العقود، ص ٤٨-٤٩. الكرملي، انستانس، رسائل فـي النقـود العربيـة والإسلامية وعلم النميات، ط٢، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٩٨٧م، ص ٢٧.

(7) أبو عبيد، الأموال، ص٧٠١. المقريزي، شذور العقود، ص ٤٧.

(8) الدراهم الطبرية: من الدراهم المضروبة في طبرستان. انظر: أنستانس، رسائل في النقود، ص ٢٩.

(9) أبو عبيد، الأموال، ص٧٠٢. البلاذري، فتوح البلدان، ص ٥٧١.

(10) البلاذري، فتوح البلدان، ص ٥٧٢.

الأموال[٢]. ولما استُخلف أبو بكر الصديق(ﷺ) عمل في ذلك بسنّة رسول الله (ﷺ) ولم يغير منها شيئا[٣]، ولما تولى الخلافة عمر بن الخطاب(ﷺ) رأى أن يجمع بين هذه الدراهم وأخذ متوسطها فكان ستة دوانق [٤]، فاستقر الدرهم الإسلامي على ستة دوانق [5]، بينما ينسب المقريزي هذا الإجراء إلى الخليفة عبد الملك بن مروان [٦].

وفي سنة ١٨هـ/٦٣٩هـ ضرب الخليفة عمر بن الخطاب(ﷺ) نقوداً جديدة على طراز النقود الساسانية، وزاد في بعضها كلمة " الحمد لله "، وفي بعضها " محمد رسول الله "، وفي بعضها " لا إله إلا الله وحده " [٧].وضرب الخليفة عثمان بن عفان(ﷺ) النقود ونقش عليها " الله أكبر"[٨]. ولما اجتمع الأمر لمعاوية بن أبي سفيان ضرب الدراهم المعروفة بالسود الناقصة، وضرب الدنانير أيضاً [٩]، وكذلك الزبير بن العوام ضرب الدراهم المدورة في الحجاز[١٠]، وكان وادي القرى تحت سيطرة عبد الله بن الزبير، فكان لا بد أن تصل هذه الدراهم إلى الوادي[١١].

وفي عهد الخليفة عبد الملك بن مروان، بقي ضرب النقود على الطراز البيزنطي والطراز الساساني مدة مؤقتة، ثم قام بإصلاح شامل للنقد، لأسباب اختلف حولها، منها: كتابة بعض الآيات على القراطيس التي تحمل من مصر إلى الشام، فقد هدد الأمبراطور البيزنطي بأنهم سوف يكتبون ما يسيء للرسول(ﷺ)، ورد عليهم بأن حرم الدنانير البيزنطية وسك عملة جديد، فضرب الدنانير والدراهم [١٢]، ومنهم من رد الاضطرابات الناشئة عن اختلال أوزان

(1) ابو عبيد، الأموال، ص ٥٢٠.
(2) ابو عبيد، الأموال، ص ٧٠٢. االكرملي، النقود العربية، ص ٣٥.
(3) المقريزي، شذور العقود، ص ٧.
(4) الدانق: زنته ثمان حبات وخمس الحبة من الشعير. المقريزي، شذور، ص ٥.
(5) ابن خلدون، المقدمة، ج١، ص ٢٦١.
(6) المقريزي، شذور العقود، ص١٢.
(7) المقريزي، شذور العقود، ص ٨. الحسيني، تطور النقود، ص ٤٧.
(8) المقريزي، شذور العقود، ص ٩.
(9) ابن خلدون، المقدمة، ج١، ص ١٤٠
(10) الكرملي، النقود الإسلامية، ص٤٠.
(11) البلاذري، أنساب الأشراف، ج٢، ص ١٩٠.
(12) المقريزي، إغاثة الأمة، ص ٥٣. السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر(ت٩١١هـ/١٥٠٥م)، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، ج١، ص ٣٢٣.

النقود، وصيانتها من اللعب والغش[1]، وهناك آراء حديثة تقول بأنه أراد أن يوحد النظام المالي في الدولة الإسلامية ويجعلها مستقلة اقتصادياً عن الدولة البيزنطية[2]، والقضاء على النقود التي ظهرت أيام الثائرين على الدولة الأموية كعبد ا بن الزبير، والخوارج[3]، وصبغ الدولة بالصبغة العربية وتأكيد كيان الدولة المالي، وتدعيم اقتصادها، لذا عمل على سك النقود العربية الإسلامية الخالية من أية تأثيرات أجنبية[4]. وقد اختلف في تاريخ ذلك ما بين سنة ٧٤هـ/٦٩٣م [5]، وذكر المدائني أن الحجاج قد ضربها سنة ٧٥هـ/٦٩٤م ثم عممها سنة ٧٦هـ/٦٩٥م على جميع النواحي [6]. وانتهى بعد هذا التاريخ التعامل بالنقود الفارسية والبيزنطية، وصارت العملة العربية الإسلامية هي العملة الموحدة في جميع أقاليم الدولة الإسلامية [7]، وعند هذا التاريخ أصبحت هذه النقود هي العملة الرئيسة في الأقطار الإسلامية وقد تم تداولها في أسواق وادي القرى.

أما بالنسبة إلى الأوزان والمكاييل المستخدمة في وادي القرى، فمنها الصاع؛ وهو من مكاييل أهل المدينة، يأخذ أربعة أمداد [8]، وهو يعد وحدة الكيل الأساسية التي تتفرع عنها سائر المكاييل العربية والإسلامية، من مد، ووسق ،وقد استخدم في صدر الإسلام وما بعده [9].

وهناك الوَسقُ أو الوِسقُ، والجمع أوسق، ووسوق، وهو مكيلة معلومة، ويقال: أوسقت النخلة؛ أي كثرة حملها، أي طلعها من التمر [10].وعدت من المكاييل المشهورة التي تعامل بها

---

(١) ابن خلدون، المقدمة، ج١، ص ١٤٠. المقريزي، شذور النقود، ص ١٠-١١. فهمي محمد، فجر السكة العربية، ط١، القاهرة، ١٩٦٥م، ص ٣٠٥-٣٠٧. الحسيني، تطور النقود، ص ٣٣.

(٢) الدوري، مقدمة في التاريخ الاقتصادي، ص ٢٦.

(٣) Walker. J. , Acatalogue of Arab-Sassanian Coins, London, 1941, pp30,102 عبد الرحمن، فهمي محمد، فجر السكة العربية، ط١، القاهرة، ١٩٦٥م، ص ٣٠٥-٣٠٧. الحسيني، تطور النقود، ص ٣٣.

(٤) الحسيني، تطور النقود، ص ٢٢.

(٥) البلاذري، فتوح البلدان، ص ٥٧٤.

(٦) البلاذري، المصدر نفسه، ص ٥٧٤.

(٧) الريس، الخراج والنظم المالية، ص ٢٢٦.

(٨) الخوارزمي، مفاتيح العلوم، ص٢٩.ابن سيدة، المخصص، ج٣، ص٨٢. هنتس، المكاييل والأوزان، ص ٦٣.

(٩) الخوارزمي، مفاتيح العلوم، ص ٢٩. فاخوري، محمود، موسوعة القياس العربية والإسلامية، وما يعادلها بالمقادير الحديثة، مكتبة لبنان، بيروت، ٢٠٠٢م، ص ٥٥.

(١٠) ابن منظور، لسان العرب، مادة (وسق)، ج١٠، ص ٣٧٨.

العرب والمسلمين؛ لأن الرسول(ﷺ) قـدر بها زكاة الزروع؛ إذ قال: " ليس فيمـا دون خمـسة أوسق من التمر صدقة "[١].وقيل الوسق: حِمل البعير، وهو ستون صاعاً بصاع النبي(ﷺ)، وقيل هو العِدل أو العِدلان، وهو حمل البعير المعتدلة المتساوية [٢]، وقد خَرَص الرسـول(ﷺ) نخـل امرأة يهودية في وادي القرى في طريقه إلى غزوة تبوك فبلغ قيمة مـا تـم خرصـه عـشرة أوسـق[٣]، وأنه أطعم يهود بني عريض، من يهود وادي القرى، عشرة أوسـق مـن القمـح، وعشرة أوسق شعيراً في كل حصاد، وخمسين وسقاً تمراً يوفون في كل عام لحينه لا يظلمـون شيئاً [٤].

واستخدمت الأواقي أو الأوقية –أيضاً- في وادي القرى، وكانـت الأوقيـة الـشرعية المستخدمة في وادي القرى في صدر الإسلام تساوي ٤٠درهمـاً أي ١٢٥ غرامـاً [٥]، وذكـر البلاذري أن أحد الفزاريين باع إلى الرسول(ﷺ) فرساً بعشرة أواق تزن كل أوقيـــة أربعـين درهماً [٦]، ونصف الأوقية يعرف بالنش، ومنه حديث ابن أبي سلمة بن عبد الرحمن أنه قـال: سألت عائشة زوج النبي(ﷺ)، كم كان صدق رسول ا ؟ قالت: كان صداقه لأزواجه اثنتي عشرة أوقية ونشاً، قالت: أتدري ما النش؟ قال: قلت: لا. قالت: نصف أوقية، فتلك خمسمئة درهم، فهذا صداق رسول ا (ﷺ)لأزواجه [٧].

(1) البخاري، الصحيح، ج٢، ص ٥٤٠. القاسم بن سلاّم،الأموال، ص ٦٩٣.

(2) ابن سيدة، المخصص، ج٣، ص٤٤١. ابن منظور، لسان العرب، مادة (عدل)، ج١١، ص ٤٣٠.

(3) الواقدي، المغازي، ج١، ص ١٠٠٤. ابو عبيد، الأموال، ص٦٥٢.

(4) الواقدي، المغازي، ج.ابن سعد، الطبقات، ج١، ص ٢٧٩.

(5) هنتس، المكاييل والأوزان، ص ١٩.

(6) البلاذري، أنسـاب الأشـراف، ج١، ص ٢٢٢.

(7) الإمام مسلم، الجامع الصحيح، ج٧، ص ٢٥٥.

وهناك المد، ويبلغ ربع الصاع، وأصله من مد اليد وملؤها [1]، وكذلك الرطـل، ويبلـغ رطل أهل وادي القرى مئتي درهم [2]، أي ٦٢٥جراماً [3]، واستخدم الخَطر في وادي القرى[4]، وهو من المكاييل الكبيرة عند أهل الشام [5].

ومن الأوزان المستخدمة في وادي القرى المثقال، والدرهم، ونسبة وزن المثقـال إلـى الدرهم من الوجهة الشرعية هي ٧:١٠ [6]، وورد ذكر المثقال في القرآن بمعنى الوزن في عدة مواضع منها: قال تعـالى: ﴿ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ [7] والقيراط، وهو جزء من أجزاء الدينار [8].

أما بالنسبة إلى القياس فيبدو أن الذراع كان أهم وحدات قياس الأطوال المستعملة عنـد العرب عموماً وفي وادي القرى[9].

---

(1) ابن سيدة، المخصص، ج، ص ٤٤٠. ابن منظور، لسان العرب، مادة (مدد)، ج١٣، ص ٥٣.

(2) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص ٣٤.

(3) هنتس، المكاييل والأوزان، ص ٣١.

(4) الواقدي، المغازي، ج١، ص ٧٢١.

(5) ابن منظور، لسان العرب، مادة (خطر)، ج٤، ص ٢٤٩.

(6) هنتس المكاييل والأوزان، ص ٩.

(7) سورة سبأ، الآية رقم (٣).

(8) ابن منظور، لسان العرب، مادة (قرط)، ج٧، ص ٣٧٤. هنتس، المكاييل والأوزان، ص ٤٤.

(9) عن الأذرع المستخدمة في الدولة الإسلامية انظر: هنتس، المكاييل والأوزان، ص ٨١-٩٥.

الحرف والصناعات

كان موقف بعض العرب موقفاً سلبياً تجاه الحرف والصناعات، إذ كـانوا يحتقرونهـا ويأنفون العمل الحرفي والصناعي، لاسيما ما يتعلق بالحدادة والنجارة، وقد كانوا يسمون الحداد "القين" وهو الحداد والصانع[1]، وإن أكثر ما نجد ذلك الموقف عند القبائل البدوية.

وكانت النجارة من الحرف والصناعات التي عَمِل بها بعضهم في منطقة وادي القـرى، وكانت مزدهرة على نحو كبير، فكان النجارون يصنعون الأدوات والأثاث المنزلي كـالأبواب، والكراسي، والمناضد، وما يلبي احتياجات الناس هناك. وتذكر المصادر أن الرسول(ﷺ)عنـدما فتح وادي القرى، غنم أثاثاً ومتاعاً كثيراً [٢]. وعادة ما تستخدم أشجار الأثل المتـوافرة بـوادي القرى.

ولـما كانت منطقة وادي القرى منطقة زراعية وتقوم على الزراعة لا سـيما زراعـة النخيل، فقد قامت بعض الصناعات التي يعتمد إنتاجها أو صناعاتها على الزراعة، فمن خـوص النخيل، تصنع كثير من المستلزمات الزراعية، وبعض الأواني مثل: المكاتـل [٣]، والقِفـاف [٤] والممالق [٥]، والحصر. وتصنع الحبال من بعض الأشجار المتوافرة فـي بيئـة وادي القـرى، كشجر العرفط الذي ينمو في وادي القرى وتصنع منه الأرشية (الحبال)[٦].

وتصنع بعض الأسلحة كالسهام، والقسي، والنبال، ويذكر أن الشاعر نصيب كان يبـري السهام ويثقفها [٧].

وقد عرفت صناعة التعدين عند أهالي الوادي، لا سيما استخراج الذهب، والفضة؛ نظراً لتوافر مثل هذه المعادن عندهم، حيث ذكر الحسن الأصفهاني أن جبل شيبان [٨] معادن الـذهب

---

(1) ابن منظور، لسان العرب، مادة (قين)، ج١٣، ص ٣٥٠.

(2) الواقدي، المغازي، ج١، ص ٧١١. البلاذري، فتوح البلدان، ص٣٩.

(3) المكتل: وعاء يحمل فيه التمر. انظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة(كتل)، ج١١، ص ٥٨٢.

(4) القُـفة: وعاء لحمل ووضع الأشياء. انظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة(زبل)، ج١١، ص ٣٠٠.

(5) المالق: خشبة تسوى بها الأرض للزراعة.

(6) انظر: الفصل الأول، الحياة النباتية، ص ٢٩.

(7) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج١،ص ٣٣٣.

(8) جبل شيبان: مـازال يعرف بهذا الاسم حتى اليوم، ويقع غرب حرة الكريثيم (حـرة عـويرض)، فـي منطقة تعرف اليوم باسم الهضب، أوهضب زبالة، نسبة إلى فخذ زبالة، أحد فروع قبيلة بلي، علـى خـط

والفضة [1]. ويوجد في جبال المنطقة وأوديتها وعلى ضفاف الوادي [2] بعض الأحجار الكريمة، لاسيما حجر الزمرد. وقد ذكر شيخ الربوة أن حجر الزمرد من أجود أنواع الأحجار، ومعدنـه في خيبر، ووادي القرى[3]. وربما استفاد السكان من وجود هذه المعادن واستغلوها في صـناعة الحلي، وماله علاقة بالصياغة، التي اهتم بها اليهود، حيث كان لهم وجود في المنطقة [4]. وكانت الدولة الإسلامية تأخذ الخمس من هذه المعادن، وهذا دليل على أن السكان كانوا يستغلون هـذه المناجم [5].

ويوجد في وادي القرى البناؤزم الذين يقومون ببناء البيوت والمساكن والقصور، وهـي حرفة تقوم على إتقان عجن الطين، وضرب اللبن أو الطوب، وتكسير الأحجار وصـفها. وقـد أثبتت المسوحات الأثرية استغلال أهالي وادي القرى المواد الطبيعية المتوافرة في المنطقة، مـن أحجار، وطين، وجص، في عملية البناء[6]، واستفادوا من خبرة بعض الموالي الـذين يجيـدون مثل هذه الحرف، فكان عمر بن باذان المغني المشهور، وهو فارسي الأصل، مهندساً مـشهوراً في منطقة وادي القرى [7]، وكان ابن عريض اليهودي مشهوراً بالبناء وطـي الآبـار، وكـان الخليفة عمر بن الخطاب(ﷺ)قد أمره أن يطوي بئر تبوك لأنها كانت تنضب كل وقت[8].

وقامت النساء بنسج الملابس، وسدي الثياب؛ أي حياكتها، ويستخدم في حياكـة النـسيج أدوات منها: المبارم، وهي المغازل، التي يبرم أو يغزل بها الصوف [9]، ومنها الثياب المبرمـة

الطول: ٢٧/٣٠، وخط العرض: ٥٥/٤٠، وهناك الكثير من آثار التعدين في المنطقة الباقية حتى اليـوم. انظر: تعليق حمد الجاسر، في كتاب الجوهرتين للهمداني، ص ٣٧٨.

(1) الحسن الأصفهاني، بلاد العرب، ص ٣٩٨.
(2) غبـّان، الآثار الإسلامية، ص ٦٩.
(3) شيخ الربوة، نخبة الدهر، ص ٩٠.
(4) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص ٢٩.
(5) الإمام مالك، الموطأ، ج١، ص ٢٣٠. ابو عبيد، الأموال، ص ٤٧١.
(6) العمير، حفرية مدينة " قرح "، ص ٢٣٢.
(7) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج٢، ص ٢٣٧.
(8) الحازمي، الأماكن، ج١، ص٣٤.
(9) ابن منظور، لسان العرب، مادة (برم)، ج٢، ص ٤٣.

أو الثوب البـريم[١]، وكانـت بثينـة، صـاحبة جميـل بـن معمـر، تبـرم الغـزل علـى مغزل [٢]. وهناك الأواقي، وهي آلة يشد بها السدي، يستخدمها الحائك [٣].

---

(1) ابن منظور، المصدر نفسه، ج٢، ص ٤٣.

(2) الأنطاكي، تزيين الأسواق، ج١، ص ١٢٤.

(3) الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ج٢، ص ٤٤٢.

الفصل الرابع:
الحياة الاجتماعية والملامح الثقافية في وادي القرى

١- العناصر السكانية:
- القبائل العربية
- الموالي والعبيد

٢- العادات والتقاليد:
- الملابس
- مظاهر الزينة
- الأطعمة والأشربة
- المباني والمساكن

٢- الملامح الثقافية:
- الشعر
- الغناء
- المنافرة
- الأنساب

العناصر السكانيّة

يتكون المجتمع في وادي القرى من مجموعة من العناصر السكانية في مقدمتها القبائل العربية، وهم السكان الأصليون للمنطقة، والركيزة الأساسية للمجتمع في وادي القرى، ثم الأجناس الأخرى من الرقيق والموالي، وسوف نتناولهم على النحو التالي:

١- القبائل العربية

تعد القبيلة الركيزة الأولى للمجتمع في وادي القرى، لأنها تمثل الغالبية العظمى والقوة المسيطرة على المنطقة؛ بل إنها الصيغة أو الرابطة التي تعطي سكان المنطقة أو أي منطقة أخرى كيانهم السياسي التنظيمي القائم بذاته [1].وتنتشر في وادي القرى مجموعة من القبائل العربية التي ينتهي نسب معظمها إلى قضاعة بن حمير؛ أي أنها قبائل يمنية جنوبية في أصولها استقرت في وادي القرى منذ حوالي منتصف القرن الثالث الميلادي[٢]، بعد حربهم مع نزار بن معد الذي هزمهم في غور تهامة[٣]، حيث استقر جزء من هذه القبائل في وادي القرى: في السقيا، والرحبة، وقرح، والحجر وما والاها من الديار[٤]، أما الجزء الآخر من قبائل قضاعة فقد هاجر إلى بلاد الشام، وفيهم يقول عامر بن الظرب[5] :

قضاعةَ أجلينا من الغور كلّه	إلى فلجاتِ الشام تزجي المواشيا
وما عن تقالٍ إخراجنا لهم	ولكن عقوقاً منهم كانَ بَاديا

ويكاد يكون وادي القرى وادي قضاعة وحدها في تلك المرحلة لولا وجود قبيلة فزارة التي تعد من خارج قضاعة، عدا عن الأجناس الأخرى كاليهود، قبل إجلائهم سنة ٢٠هـ/٦٤٠م، والموالي. وأشهر القبائل التي تسكن وادي القرى:

---

(1) يحي، لطفي عبد الوهاب، الوضع السياسي في شبة الجزيرة العربية حتى القرن الأول الميلادي، ندوة دراسات في تاريخ شبة الجزيرة الندوة العالمية الثانية، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٩م، جامعة الملك سعود، الرياض، الكتاب الثاني، ص٩١.

(2) إحسان عباس، تاريخ بلاد الشام، ص ٧٠.

(3) غور تهامة: الغور: ما انخفض من الأرض، وغور تهامة مما يلي اليمن ما بين ذات عرق إلى البحر. انظر: البكري، معجم ما استعجم، ج١، ص ٢٠. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص ٢١٦.

(4) البكري، المصدر نفسه، ج١، ص٢٣، ص٢٨.

(5) المصدر نفسه، ج١، ص ٢٠- ٢١.

قبيلة عـذرة

يعود أكبر تجمع قبلي في وادي القرى إلى قبيلة عذرة بن سعد هذيم بن زيد بن ليث بن سود بن أسلم بن الحافي بن قضاعة [(١)]، التي استقرت في وادي القرى بعد حروبها مع معد بـن نزار وإجلائهم من غور تهامة [(٢)]، وكان ذلك في منتصف القرن الثالث الميلادي [(٣)]، ومن أهـم بطونها: حن، وبنو عامر، وكاهل، وإياس وعوف، ورفاعة [(٤)]، وانتشروا في معظم أنحاء وادي القرى، وسيطروا عليه، وكانت لهم القوة والعزة والثروة في وادي القرى [(٥)]، وكان لهم صنم في وادي القرى يعرف باسم " شمس "[(٦)] ،وقيل اسمه " خمام أو حمام " [(٧)].

وتمتد مساكنها في وادي القرى في: قرح، والرقعة، على الحجر [(٨)]، ثـم الجنينـة [(٩)]، والجناب، وتيماء، حتى تبوك، وأيله [(١٠)]. وكان لبني ضنّة من بني عذرة في وادي القرى العدد والشرف ومنهم رازح، وحن ابنا ربيعة أخوا قصي بن كلاب القرشي لأمه [(١١)] وهمـا اللـذان تصديا لحملة النعمان بن الحارث الغساني على وادي القرى، حينما غزاه، وكان صديقه الشاعر

---

(1) الكلبي، أبو المنذر هشام بن محمد (ت٢٠٤هـ/٨١٩م)، نسب معد واليمن الكبير، تحقيق ناجي حسن، عالم الكتب و مكتبة النهضة، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، ج٢، ص ٧١٥. ابن حبيب، أبو جعفر محمد، مختلف القبائل ومؤتلفها، ج١، ص١٠. ابن حزم، محمد بن أحمد، جمهرة أنساب العـرب، تحقيـق عبـد المنعم خليل، ط٤، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٩م ص٤٤٧-٤٤٨. القلقشندي، أحمد بـن محمد، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، القاهرة، ج١، ص١٢٠.

(2) البكري، معجم ما استعجم، ج١، ص٢٣.

(3) إحسان عباس، تاريخ بلاد الشام، ص٧٠.

(4) ابن الكلبي، نسب معد، ص ٧١٥. ابن حزم، جمهرة، ص٤٤٨.

(5) البكري، معجم ما استعجم، ج١، ص٣٩.

(6) اليعقوبي، تاريخ، ص ١٠٠.

(7) ابن سيد الناس، عيون الأثر، ج١، ص ١٠٥. التقي الهندي، كنز العمال، ج١٢، ص٣٨٢.

(8) ابن زبالة، أخبار المدينة، ص ١٦٢. البكري، معجم ما استعجم، ج٢، ص٦٦٦. ياقوت الحموي، معجـم البلدان، ج٣، ص٥٨.

(9) جميل بن معمر، الديوان، ص ٥٠.

(10) الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص ٩٠. البكري، معجم ما استعجم، ص٢٣.

(11) البكري، معجم ما استعجم، ج١، ص٤٣.

النابغة الذبياني قد حذره من قبيلة عذرة ونصحه بعدم غزو وادي القرى لقوة أهلـه مـن بنـي عذرة في أبيات منها[١]:

قـد قلت للنعمـان يـوم لقيتُـه	يريد بني حـن ببرقة صـادِر
تجنب بنـي حـن فـإن لقاءَهـم	كريه وإن لم تلـقَ إلا بـصابر
فتطمع بـوادي القـرى وجنـوبِهِ	وقد منعوه من جميعِ المعاشـر
هم منعوا وادي القرى مـن عـدوهم	بجمعٍ مبيـرٍ للـعدو المـكاثِر

ويبدو أنها وقفت على الحياد أثناء صراع الرسول(ﷺ) مع قريش، وقد أسلم منهم نفر منذ وقت مبكر منهم خالد بن عرفطة العذري [٢]، وزمل بن عمرو العذري[٣]، وقطبة بن قتـادة العذري[٤] في سنة(٩هـ/٦٣٠م)، حيث قدم وفد قبيلة عذرة بزعامة شيخها جمرة بـن النعمـان العذري، وكانت معه صدقة قومه من بني عذرة [٥] وكان أول من أتى بصدقة قومه مـن أهـل الحجـاز إلـى الرسـول(ﷺ)[٦]. ولـم تكـن لهـم ردة واضـحة أيـام حـروب

(1) النابغة الذبياني، الديوان، تحقيق حسين نصار، القاهرة، ١٤١٥هـ، ص ٣٦.

(2) خالد بن عرفطة بن أبرهة بن سنان العذري: كان حليفاً لبني زهرة، أسلم مبكراً، وصحب الرسـول(ﷺ)، وروى عنه، شارك في الفتوحات الإسلامية، وكان قائد الميمنة يوم القادسية، وليَ الكوفة أيام الخليفة عمر بن الخطاب(رضي الله عنه)، وقف مع معاوية بن أبي سفيان(رضي الله عنه) في صفين، توفي بالكوفة سـنة(٦٠هـ/٦٧٩م). انظر: ابن الكلبي، نسب معد، ص٧١٩. ابن سعد، الطبقات، ج٥، ص٢٧٣. الطبـري، تـاريخ الرسـل والملوك، ج٣، ص٥٣١. ابن عبد البر، الاسـتيعاب، ج٢، ص٤٣٤. ابـن الأثيـر، أسـد الغابـة، ج٢، ص١٣١-١٣٢. ابن حجر، الإصابة، ج١، ص ٤٠٩.

(3) زمل بن عمرو بن المغيرة بن حسان العذري من بني ضنّه من عذرة، وفد علـى الرسـول(ﷺ) بالمدينـة مسلماً، وكتب له الرسول(ﷺ) كتاباً إلى قومه، وعقد له لواء عليهم، استعمله معاوية بن أبـي سـفيان(رضي الله عنه) على شرطته، وكان أحد شهود التحكيم بصفين، ثم استعمله يزيد بن معاوية على خاتمه، شهد بيعة مروان بالجابية، وقتل يوم مرج راهط سنة (٦٤هـ/٦٨٣م). انـظر: ابن الكلبي، نسب معـد، ج٢،ص ٧١٨. ابن الأثير، أسد الغابة، ج٢، ص٣٢٠.ابن سعد، الطبقات، ج١، ص ٢٨٦. ابن حزم، جمهرة النسب، ص ٤٤٩. ابن عبد البر، الاستيعاب، ج١، ص ١٦٨. ابن حجر، الإصابة، ج١، ص ٥٥١.

(4) قطبة بن قتادة العذري: له صحبة، شارك مع المسلمين في غزوة مؤتة سنة (٨هـ/٦٢٩م)، وكـان قائـد الميمنة، وهو الذي قتل مالك بن رافلة الإراشي قائد نصارى العرب في جيش الروم. انظر: ابن هـشام، ج٤، ص١٧. الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٣، ص٣٩. ابن الأثير، أسد الغابة، ج٤، ص٣٨٨.

(5) ابن سعد، الطبقات ،ج٥، ص٢٧٣. البلاذري، فتوح البلدان، ج١، ص ٤٠. ابن عبد البـر، الاسـتيعاب، ج١، ص٢٧٥. ابن حجر، الإصابة، ج١، ص ١٤٣.

(6) ابن سعد، الطبقات، ج٥، ص٢٧٣.

الردة[1]، وقد شاركوا في الفتوحات، واستقر بعضهم في مناطق الفتح كالشام والعراق[2]، وإليهم ينتمي الشاعر المشهور جميل بن معمر صاحب بثنية، وعبد الرحمن بن الخشخاش قاضي عمر بن عبد العزيز(ت١٠١هـ/٧١٩م) بدمشق[3]، واشتهرت قبيلة عذرة بالحب العذري العفيف وإليها ينسب. وقد اختفى اسم هذه القبيلة في الوقت الحاضر، ولم يَعد لها ذكر بين الناس، غير أن هناك من يدعي نسب هذه القبيلة حيث يذكر بعضهم أن عشيرة القروق التي تقطن مدينة العلا اليوم هي من بقايا هذه القبيلة التي تلاشي اسمها في الوقت الحاضر[4].

قبيلة سعد هُذيم

سعد هذيم بن زيد بن ليث بن سود بن أسلم بن الحاف بن قضاعة[5]، ويرجع سبب التسمية بسعد هذيم نسبة إلى عبد حبشي حضن سعداً في صغره، فغلب عليه[6]، ومن سعد هذيم تفرعت قبيلة عذرة، وبنو سلامان، وبنو الحارث[7].سكنت قبيلة سعد هذيم في وادي القرى، والحجر، والجناب وما والاها من البلاد، وانتشروا بها[8]، وامتد انتشارهم شمالاً حتى تبوك، وقيل إن تبوك كانت بركة لأبناء سعد هذيم[9]. أسلم منهم نفر قليل كورد بن عمر بن مرداس، وقيل المداش، وشارك في سرايا الرسول(ﷺ) مع زيد بن حارثة ضد بني فزارة في سنة

---

(1) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٣، ص٢٤٣.

(2) ابن الكلبي، نسب معد، ج٢، ص٧١٩. اليعقوبي، تاريخ، ص٣٢٤.

(3) عبد الرحمن بن الخشخاش العذري، ولي القضاء للخليفة عمر بن عبد العزيز في دمشق، وسنة وفاته مجهولة. انظر: ابن الكلبي، نسب معد، ج٢، ص٧١٩. خليفة بن خياط، تاريخ خليفة، ص ٢٥٢. أبو زرعة الدمشقي، عبد الرحمن بن عمرو(ت ٢٨٢هـ/٨٩٤م)، تاريخ أبي زرعة الدمشقي، تحقيق شكر ا الفوجاني، مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٩٨٢م، ج١، ص ١٦. وكيع، أخبار القضاة، ص ٢٠٣. ابن حزم، الجمهرة، ص ٤٤٩. ابن ماكولا، الإكمال، ج٣، ص ١٤٧، ص١٥٠.

(4) نصيف، العلا، ص٦٣-٦٤.

(5) ابن الكلبي، نسب معد، ج٢، ص ٧١٤-٧١٥.

(6) ابن الكلبي، نسب معد، ص ٧١٥. ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٢٣، ص ١٢٣. النويري، نهاية الأرب، ج١٨، ص٥٩. الصالحي، سبل الهدى والرشاد، ج١، ص ٢٩٢.

(7) ابن الكلبي، نسب معد، ج٢، ص ٧٢٠-٧٢١.

(8) البكري، معجم ما استعجم، ج١، ص ٤٣.

(9) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص١٤.

(٦هـ/٦٢٧م) [١]، جاء وفدهم للرسول(ﷺ) عام الوفود وأعلنوا إسـلامهم[٢]، وأرتـد بعـضهم بزعامة معاوية الوائلي ثم عادوا لحضيرة الإسلام[٣].

قبيلة بلـي

يعود نسب هذه القبيلة إلى بلي بن عمرو بن الحافي بن قضاعة[٤]، والنسبة إليها بلـوي. وهي تعد ثاني أكبر تجمع في وادي القرى بعد بني عذرة. وتقع ديارهم شمال ينبع، منقطع ديار جهينة وحرة بني سليم [٥]حتى شغب، وبدا[٦]، والرحبة، والسقيا، ووادي الجزل في وادي القرى، وأرض الجناب[٧]، ومنهم جماعة في المدينة[٨]، وقد امتد انتشارها حتى بلاد الشام منـذ وقـت مبكر قبل الإسلام حيث سكن بطون منها جبل التين[٩]، والبلقاء[١٠]، وارتبطت بأحلاف وعلاقات مصاهرة مع قريش[١١]، واستغلت هذه الصلات في حروب المسلمين مع أعدائهم مـن قـريش والقبائل الأخرى كما في معركة ذات السلاسل[١٢]، جاء وفدها إلى الرسـول(ﷺ) فـي المدينـة بزعامة شيخهم أبي الضباب سنة (٩هـ/٦٣٠م)[١٣]، حيث برز من بينها عـدد مـن الـصحابة

---

(1) ابن هشام، السيرة، ج٤، ص ٣٦٥. ابن سعد، الطبقات، ج١، ص٢٤٥. الطبري، تاريخ الرسل والملـوك، ج٢، ص٦٤٣.

(2) الواقدي، المغازي، ج١، ص ١٠٣٤.، ابن سعد، الطبقات، ج١، ص٢٨٤. ابن الأثير، الكامـل، ج١، ص ٣٦٥. ابن سيد الناس، عيون الأثر، ج٢، ص ٣٠٥.

(3) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٣، ص٢٤٣. ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٢، ص ٥٢.

(4) ابن الكلبي، نسب معد، ج٢، ص ٧٠٤. ابن حزم، الجمهرة، ص ٤٤٢. القلقشندي، نهاية الأرب، ص ٥٥.

(5) الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص٨٦. البكري، معجم ما استعجم، ج١، ص٢٨.

(6) البكري، معجم ما استعجم، ج١، ص٢٩. الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص ٨٦.

(7) البكري، معجم ما استعجم، ج١، ص ٢٩. الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص ٨٦. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص ٣٨٨.

(8) البكري، معجم ما استعجم ،ج١، ص٢٩.

(9) الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص٩٠.

(10) ابن الكلبي، نسب معد، ج٢، ص ٧٠٥. الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٣، ص٣٧.

(11) كانت أم عمرو بن العاص من بلي وقيل أم أبية العاص. انظر: الواقدي، المغازي، ج١، ص ٧٧٠. ابـن هشام، السيرة، ج٤، ص٢٧٢. الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٣، ص٣٢.ابن عبد البر، الاسـتيعاب، ج٣، ص١١٨٦.

(12) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٢، ص١١٢. الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٣، ص ٣٢.

(13) ابن سعد، الطبقات،ج١، ص ٢٨٥. ابن كثير، السيرة ،ج٣، ص٥٥١.

منهم: رويفع بن ثابت البلوي[١] ويزيد بن ثعلبة البلوي[٢] وزهير بن قـيس البلـوي أحـد قـادة الفتوحات في شمال أفريقية[٣] وغيرهم من الصحابة، وما زالت قبيلة بلي منتشرة فـي المنطقـة حتى اليوم.

قبيلة جهينة

يعود نسبها إلى جهينة بن زيد بن ليث بن سود بن أسلم بـن عمـر بـن الحـاف بـن قضاعة[٤]، ومساكنها من حدود رضوى[٥]، والأشعر، والأجرد[٦]، إلى ما بين نجد والبحـر[٧]، وبطن إضم وأعراضة[٨]، والعيص[٩]، أما في وادي القرى فإنهـا انتـشرت فـي ذي المـروة، والرحبة[١٠] ونواحٍ أخرى من وادي القرى، كالحجر[١١]، وشاركت قبيلتي عذرة وبلي في أرض الجناب[١٢]، هاجر منها قسم كبير إلى الأمصار الإسلامية زمن الفتوحات واستقر بها، لا سـيما

(1) رويفع بن ثابت البلوي: أسلم وصحب الرسول(ﷺ)، وروى عنه، وهو الذي استقبل وفد قبيلته عندما قدموا على الرسول(ﷺ) في السنة التاسعة للهجرة حيث كان ينزل الجناب بالقرب من وادي القرى. انـظر: ابن سعد، الطبقات، ج١، ص٢٨٥. الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٢، ٣٦٣. ابن حجر، الإصـابة، ج١، ص٢٥٠.

(2) يزيد بن ثعلبة بن خزمة بن عمرو البلوي: صحابي جليل، حليف بني سالم بن عوف من الخـزرج، شـهد العقبة الأولى والثانية. انظر: ابن عبد البر، الاستيعاب، ج٥، ص٤٤٦. ابـن حجـر، الإصـابة،ج٣، ص ٦٥٣.

(3) زهير بن قيس البلوي: يكنى أبا شداد، ويقال: إن له صحبه، شهد فتح مصر، ثم أفريقية، واستشهد بها في قتاله مع الروم هناك سنة (ت٧٦هـ/٦٩٥م). ابن حجر، الإصابة، ج١، ص٣٨٦.

(4) ابن الكلبي، نسب معد، ج٢، ص٧٢٣. ابن حزم، الجمهرة، ص٤٤٤.

(5) رضوى: جبل بين المدينة وينبع، من ديار جهينة. انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص٥١.

(6) الأشعر والأجرد: من جبال جهينة بالقرب من ينبع بين المدينة والشام. انظر: يـاقوت الحمـوي، معجـم البلدان، ج١، ص١٩٨، ص ١٠١.

(7) الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص٦٦.

(8) البكري، معجم ما اسعجم، ج١، ص٣٧.

(9) العيص: من أودية الحجاز المشهورة، بين ينبع وذو المروة، يصب في وادي إضم (الحمض)، ومن خلاله يمر طريق المعرقة المشهور. الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص٦٧.

(10) الحسن الأصفهاني، بلاد العرب، ص٣٩٩. البكري، معجم ما استعجم، ج١، ص ٣٨. ياقوت الحمـوي، معجم البلدان، ج٤، ص٣٣٨.

(11) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص ٣٨٨.

(12) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص ٣٨٨.

في مصر[١]. وتعد قبيلتا جهينة وبلي من أكثر القبائل ثبوتاً وتواجداً في مواطنها الأصلية حتى اليوم. ويرتبط بعضها بأحلاف مع الأنصار في المدينة[٢]، وكان لها حلف مع قريش أيضاً، ومع قبيلة عذرة، وقد لزمت الحياد في الصراع الذي دائر بين قريش والرسول(ﷺ)، ثم دخلت في الإسلام وشاركت مع الرسول(ﷺ) يوم فتح مكة بثمانمئة مقاتل[٣]، وجاء وفد منها إلى المدينة في السنة التاسعة[٤]، حيث كانت موادعة للطرفين[٥]، ثم تحالف بعض جهينة مع الرسول(ﷺ)، مثل بني زرعة، وبني ربعة، ومنحهم الرسول(ﷺ) الأمان على أنفسهم وأموالهم، وأن لهم النصر على من ظلمهم أو حاربهم وساوى بين حاضرهم وباديهم [٦]، ثم تحولت للإسلام، وشاركت مع الرسول(ﷺ) في حروبه، ولم تشارك في حروب الردة بعد وفاة الرسول(ﷺ)[٧].اشتهر منهم معبد بن خالد الجهني[٨] وعبد ا بن بدر الجهني[٩]، وعوسجة بن حرملة الجهني[١٠]، وغيرهم من الصحابة.

---

(1) القلقشندي، صبح الأعشى، ج١، ص٣١٦.

(2) ابن هشام، السيرة، ج٢، ص٢٤٥. ابن حجر، الإصابة، ج١، ٩٨.

(3) ابن هشام، السيرة، ج٤، ص٤٩. الواقدي، المغازي، ج٢، ص ٨٢٠.

(4) ابن سعد، الطبقات، ج١، ص٢٨٧.

(5) خليفة ابن خياط، تاريخ خليفة، ص٣٤.

(6) ابن سعد، الطبقات، ج١، ص ٢٣٣.

(7) باشميل، محمد أحمد، حروب الردة، دار الفكر، دمشق، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م، ص ٣٩.

(8) معبد بن خالد الجهني: أسلم قديماً، وكان يلزم البادية، (ت ٧٢هـ/٦٩١م) وعمره بضع وثمانين سنة. انظر: الواقدي، المغازي، ج٢، ص ٨٢٠. ابن سعد، الطبقات، ج٥، ص٢٦٥. ابن عبد البر، الاستيعاب، ج٣، ص١٤٢٦. ابن الأثير، أسد الغابة، ج٥، ص ٢٠٩.

(9) عبد ا بن بدر الجهني: أحد قادة جهينة يوم فتح مكة، شارك في بعض سرايا الرسول(ﷺ)، توفي في خلافة معاوية. انظر: الواقدي، المغازي، ج٢، ص ٨٢٠. ابن سعد، الطبقات الكبرى،ج٤، ص ٣٤٧. ابن الأثير، أسد الغابة، ج٣، ص١٨٣. ابن حجر، الإصابة، ج٢، ص ٢٨٠.

(10) عوسجة بن حرملة بن جذيمة بن سبرة الجهني: كان ينزل ذي المروة، أقطعه الرسول(ﷺ) أرضاً له ولجماعته هناك. انظر: ابن الكلبي، نسب معد، ج٢، ص ٧٢٦. ابن سعد، الطبقات، ج٥، ص٢٧٠. ابن حجر، الإصابة، ج٣، ص ٤١.

قبيلة فـزارة

يعود نسبها إلى فزارة بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان[1]، التي لها فروع كبيرة منها: مازن، وبنو مرة، وعدي، وشمخ، وبدر[2] وفي بدر كـان شـرف فـزارة وزعامتهـا[3] وسكناهم أبرق الحنان وأبانا من وادي القرى[4]، والمنطقة الممتدة ما بين نجـد ووادي القـرى، وجبلي طي [5]، وجبال الخَطم والمنطقة الممتدة ما بين خيبر ووادي القرى[6]، سـيطرت فـزارة على منطقة مهمة واستراتيجية من وادي القرى، وتسيطر على الطرق التي تربط بـين خيبـر، والمدينة، ووادي القرى، وتيماء وبلاد الشام[7]. وكان موقفها من الإسلام عدائياً منذ وقت مبكر، وأخذت تثير القلاقل والفتن ضد المسلمين، وقد أعلنت الحـرب ضـدهم بتعرضـها لغـزوات الرسول(ﷺ) وسراياه في وادي القرى[8]، والتعرض لتجـارة المـسلمين إلـى بـلاد الـشام[9] ومشاركتها مع قريش واليهود في غزوة الأحزاب سنة(٥هـ/٦٢٦م) كأحد الحلفـاء الفـاعلين والرئيسيين في هذه الغزوة بقيادة زعيمها عيينة بن حـصن[10]، وأخـذت تغيـر علـى لقـاح الرسول(ﷺ) وتهدد أطراف المدينة، فأرسل لهم الرسول(ﷺ)حملة تأديبية بقيادة زيد بـن حارثـة (٦هـ/٦٢٦م)، وارتبطت –كذلك- بمصالح وتحالفات مع اليهود في خيبـر مـصدر تمـوينهم بـالميرة [11]، وكـان لهـم تحـالف آخـر مـع بعـض يهـود وادي القـرى

---

(1) ابن الكلبي، جمهرة النسب، ص٤١٤. ابن حزم، الجمهرة، ص٢٥٥. القلقشندي، قلائد الجمان، ص٣٣.

(2) ابن حزم، الجمهرة،ص٢٥٥-٢٥٦. القلقشندي، قلائد الجمان، ص٣٣.

(3) ابن حزم، الجمهرة، ص٢٥٦. القلقشندي، قلائد الجمان، ص٣٣. كحالة، معجم قبائـل العـرب، ج١، ص ٦٨.

(4) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص٦٧. ابن خلدون، تاريخ، ج٢، ص٣٠٦.

(5) ابن خلدون، تاريخ، ج٢، ص٣٠٥. وجبلي طي: هما جبلاً؛ أجا وسلمى من جبال قبيلة طي. انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص ٩٥.

(6) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص ٣٧٩.

(7) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص ١٠٩-١١٠.

(8) ابن هشام، السيرة، ج٤، ص٢٦٥. الواقدي، المغازي، ج١، ص٢٢٤. ابن سعد الطبقات، ج٢، ص٩٠.

(9) الواقدي، المغازي، ج١، ص ٥٦٤. ابن سعد، الطبقات، ج٢، ص٨٧. الهلابي، عبد العزيز صالح، سرية زيد بن حارثة إلى بني فزارة، مجلة كلية الآداب، جامعة الملك سعود، ١٩٨٦مجلد ١٣،العدد١،ص ٦٤.

(10) ابن هشام، السيرة، ج٣، ص٢٢٤. الواقدي، المغازي، ج١، ص١٧٤.

(11) الزبير بن بكار، جمهرة نسب قريش، ص ٨.

أيضاً[1]. قدم وفدها إلى الرسول(ﷺ) في المدينة سنة (٩هـ/٦٢٩م)، وكان بضعة عشر رجـلاً فيهم خارجة بن حصن، والحر بن قيس بن حصن، جاؤوا مقرين بالإسلام [2]، لكـن لـم يكـن انتشار الإسلام واسعاً بين قبيلة فزارة، ويبدو أنها أقل القبائل تقبلاً للإسلام في تلك المرحلة فـي منطقة وادي القرى مقارنةً مع القبائل الأخرى، نظراً لأعرابيتها وعصبيتها، وكذلك مـصالحها الاقتصادية كالطمع بالغنائم، بل كان إقراراً بسلطان المدينة لا سلطان الدين[3]، ومـا أن تـوفي الرسول(ﷺ) حتى كانت فزارة من أوائل المرتدين بزعامة عيينة بن حصن، وقد انـضمت إلـى طليحة الأسدي في بزاخة ومنيت بهزيمة كبيرة على يد خالد بن الوليد(ﷺ)[4].

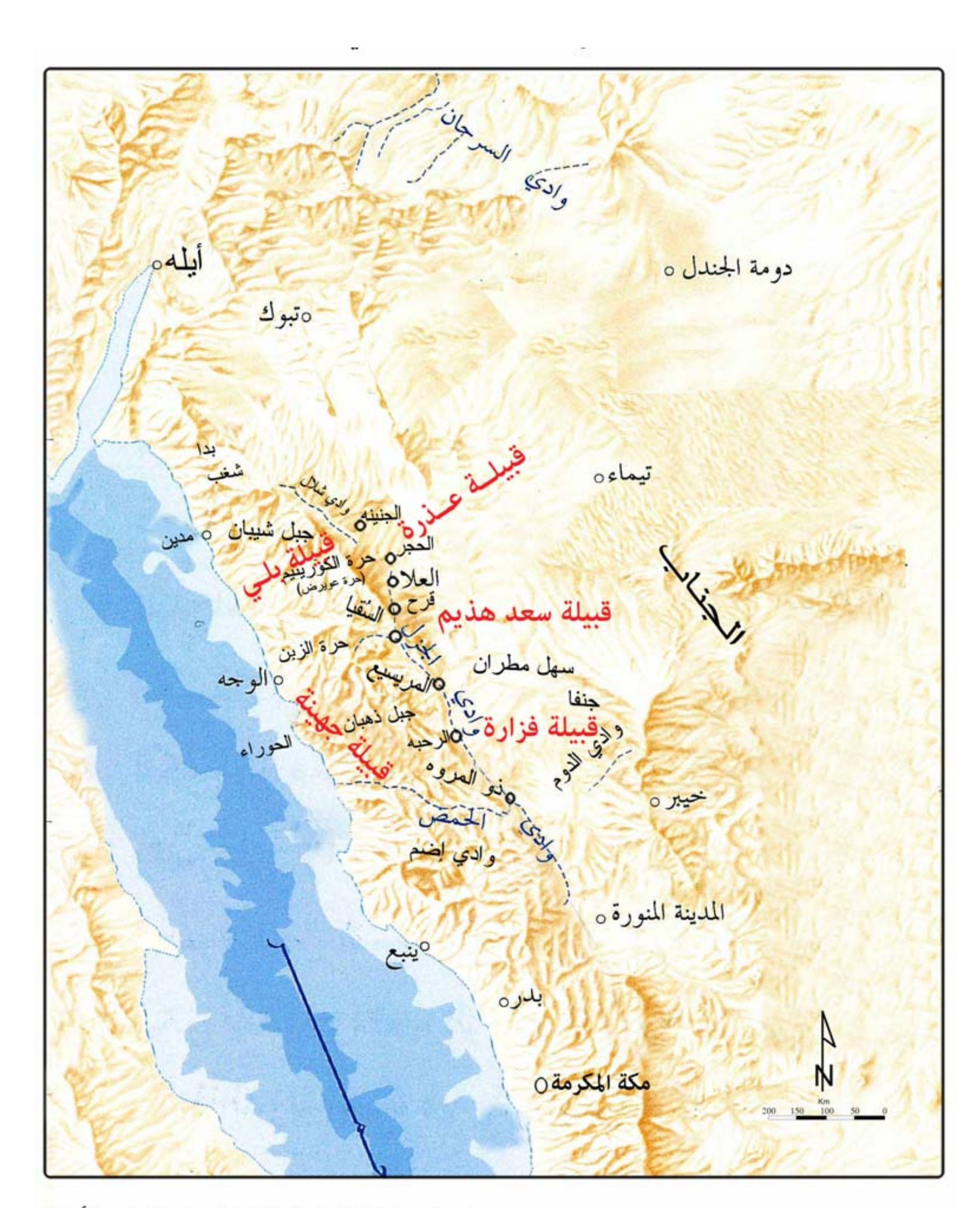
(1) الواقدي، المغازي، ج١، ص١٨٨. اليعقوبي، تاريخ، ص١٣٢. خليفـة، تـاريخ خليفـة، ج١، ص ٤٦. الحادرة، قطبة بن أوس(توفي قبيـل الإسـلام)، الـديوان، تحقيـق ناصـر الـدين الأسـد، القـاهرة، ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م، ص٣٤٥. أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج٣، ص ٤٨٠.

(2) ابن سعد، الطبقات، ج١، ص٢٥٧. ابن كثير، السيرة، ج٤، ص ١٧٢.

(3) الواقدي، المغازي، ج١، ص ٩٣٧. غيداء، الردة، ص ١٤٥.

(4) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٣، ص ٢٤٨، ص٢٥٧.

خريطة توضح أماكن تواجد القبائل في وادي القرى



المصدر : اعداد الباحث بالاعتماد على المصادر الأولية

٢- العبيد والموالي

انتشر في وادي القرى مجموعة من السكان التي لا تعود بنسبها إلى العـرب، حيـث عرفوا بالموالي؛ وهم بالدرجة الأولى من الرقيق الذين قدموا أو جلبوا من أماكن متنوعة مثل: فارس، والحبشة[١]، والروم وغيرهم[٢]. وكان للفتوحات الإسلامية دور كبير في وجـودهم فـي وادي القرى، إذ انتشر الرق نتيجة الفتوحات الإسلامية واستخدموا في الأعمال الفلاحية[٣]، كمـا هو الحال عند الخليفة عثمان بن عفان(ﷺ) إذ كان لدية ضياع في وادي القرى[٤]، والخليفة علي بن أبي طالب(ﷺ) كان له بعض الرقيق والموالي يعملون في صدقاته هناك [٥]، وعبـد ا بـن عمر(ﷺ) الذي كان لدية مجموعة من الموالي والعبيد الذين يعملون في مزارعه في وادي القرى [٦]. وكان عند الصحابي أسامة بن زيد(ﷺ) مولاً له يعمل في ضيعته في وادي القرى[٧].

وانتشر الرق والموالي بين القبائل في وادي القرى عند قبيلة عذرة وسعد هذيم، وقبيلـة بلي، ونسب عدد من الموالي إلى هذه القبائل، منهم: سفران مولى سعد هذيم[٨]، وأفلح مولى أبي الغيث، وهو رجل من أهل وادي القرى[٩]، والشاعر نصيب الذي نسب إلى قضاعة وقيل إلـى قبيلة بلي[١٠].

وقد زاد عدد الموالي في وادي القرى في العصر الأموي أيضاً، إذ كانوا يعملـون فـي أعمال مختلفة، كالزراعة والتجارة، قد برزت في وادي القرى طبقة من الموالي من بينهم أعلام مشهورين، اشتهروا بالفن، والغناء، كعمر الوادي الذي كان أستاذاً للفن حيث تعلـم علـى يـده

---

(1) أبو الفرج الأصفباني، ج٨، ص ٢٨٥٦. ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ج١، ص٣٣.

(2) العمري، الحرف والصناعات في الحجاز، ص ٣٥.

(3) المسعودي، مروج الذهب، ج٢، ص٣٤١.

(4) المصدر نفسه، ج٢، ص ٣٤١.

(5) الصنعاني، المصنف، ج١٠ ،ص ٣٧٤.

(6) الإمام مالك، الموطأ، ج١، ص ٢٨٣. الشافعي، كتاب الأم، ج٢، ص ٦٩. البيهقي، السنن الكبـرى، ج٤، ص٥٦. ابن زنجوية، الأموال، ص١٧٢.

(7) الإمام أحمد بن حنبل، المسند، ص٢١٩. ابن سعد، الطبقات، ج٤ ،ص ٧١. ابن عساكر، تـاريخ دمـشق ،ج٨، ص٤٨. ابن حجر، الإصابة، ج١، ص ٦٧.

(8) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج٢، ٣٥.

(9) المصدر نفسه، ج١، ص٣٣٣.

(10) المصدر نفسه، ج٣، ص٦٧٠.

مجموعة من المغنيين[1]، والحكم بن ميمون من الموالي الفـرس الـذين سـكنوا وادي القـرى المعروف وعاشوا فيه، وكان حسن الصوت، ومن أحسن الناس خُلقاً[2]، ومنهم وطويس المغني، ونصيب بن رباح[3]، الذي أصبح من موالي عبد العزيز بن مروان وكـان شـاعراً، ومدحـه، فوصله واشترى ولاءه [4].

استعملت الجواري بكثرة في وادي القرى، إما في مجال الخدمات المنزلية كغسل الثياب، وتصبيغها[5] أو الرعي، إذ كان عند بني عذرة الكثير من الجواري[6] وقد يتخذن أمهات ولد[7].

ويعمل الموالي والعبيد بأعمال متنوعة منها الزراعة، والتجارة، وكـان عمـر الـوادي تاجراً يحمل الزيت مابين وادي القرى والمدنية ومكة [8]، ومنهم من كان يعمل برعـي الإبـل والأغنام كما كان نصيب بن رباح، الذي كان راعياً عند رجل من قضاعة يرعى له إبله قبل أن يكاتب على نفسه[9].

وقدم بعض الموالي الخدمات لبعض الثوار، كالتجسس والدلالة كما فعل العلاء بن أفلـح مولى أبي الغيث من سكان العلا، حيث قدم بعض المعلومات لأبي حمزة الخارجي الذي استولى على وادي القرى في حربه ضد مروان بن عبد الملك، ودله بالمياه والعيون في الوادي، وكذلك المسالك والطرق، مقابل بعض الدراهم[10].

---

(1) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج٧، ص ١٥. ابن عبد ربه، العقد، ج٧، ص ٣٥. ابن عـساكر، تـاريخ دمشق، ج٢٠، ٣٥.

(2) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج١٥، ص٦٠.

(3) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج٣، ص١٢٥.

(4) ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ج١، ص ٤١٠. أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج٧، ص٣٥.

(5) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج٨، ص٢٨٥٢.

(6) أبو الفرج الأصفهاني، ج٨، ص ٢٨٥٥.

(7) البيقهي، السنن الكبرى، ج٩، ص٧٤٠.

(8) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج٥، ص٦٣.

(9) المصدر نفسه، ح٨، ص٥٠.

(10) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٧، ص٣٩٨.

ووجدت الجواري والإماء في وادي القرى وكن يجلبن من الحبشة وبلاد الروم وفارس، واتخذت بعض النساء في وادي القرى بعض الجواري والإماء يخدمنهن في كثير من الأمـور. وكانت لبثينة خادمات من أماكن متنوعة يخدمنها ويقمن بواجباتها(١).

وكان من الموالي، الذين عاشوا في وادي القرى، الحسن بن يسار مولى أبي بن أبـي كعب والد الحسن البصري وكان من سبي فارس، ونشأ ابنه الحسن البـصري مـدة فـي وادي القرى أيضاً، ثم انتقل إلى البصرة في خلافة علي بن أبي طالب(ﷺ)(٢).

---

(1) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج٨، ص١٤٥.

(2) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٣، ص٣٥٢. ابن عساكر، تاريخ، ج٢، ص٨٧.

العادات والتقاليد

تتكون الطبقة الاجتماعية في وادي القرى من طبقتين: حضرية مستقرة في القرى تعمل بالزراعة والتجارة، وأخرى بدوية تنتقل وراء الماء والكلأ. فأما السكان المستقرون فيشتغلون بزراعتهم ويعمهم الترابط والتعاون، لأن حياتهم قائمة على تبادل المنافع فيما بينهم.

ولا شك أن الثروات التي انهالت على الحجاز نتيجة الفتوحات الإسلامية لها أثرها الكبير حتى في وادي القرى الذي شارك سكانه في الفتوحات [١]، فاستفادوا من العطاء والغنائم، فكثرت الأموال في أيدي الناس وأخذت تُصرف في أحوال الترف، وشراء ما يحتاجون إليه من الأمصار؛ لذا دعتهم هذه الأحوال من الرفاه والغنى إلى الترف وحاجته من التأنق في المساكن والملابس واستجادة الآنية والماعون، واتخاذ الخدم والمركب[٢].

وقد انتشر الرق والعبيد في وادي القرى نتيجة لتلك الفتوحات، واستخدم الرق في الأعمال الفلاحية[٣]، وفي الرعي عند القبائل البدوية[٤]، وفي خدمة أسياد القبيلة وشيوخها[٥].

ولم يكن البدو في وادي القرى بمعزلٍ عن الحضر في قراهم، بل كانوا يترددون على القرى في كثير من المواسم كالأعياد وصلاة الجمع[٦]، ولسد بعض حوائجهم من الأسواق.

وتبدو صورة المرأة البدوية في وادي القرى أكثر وضوحاً من المرأة في القرية؛ إذ تذكر لنا بعض المصادر أن للمرأة - المرأة الشريفة خاصة - حظاً كبيراً في المجتمع؛ إذ تبقى مكانتها عند أهلها درعاً لها بعد زواجها. فقد غضب أهل بثينة على زوجها وسبوه وقالوا له كل قبيح عندما تحدث عن ابنتهم وهي زوجته[٧].

وتقوم المرأة البدوية في وادي القرى بالطبخ وتقديم الطعام وغسل الثياب[٨] وخياطة الملابس وغزل الصوف[٩].

---

(1) الواقدي، فتوح الشام، ج١، ص٨٥.

(2) ابن خلدون، المقدمة، ج١، ص٣٦٠.

(3) المسعودي، مروج الذهب، ج٢، ص٣٤١.

(4) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج١، ص ٣٣٣.

(5) المصدر نفسه، ج٨، ص ٢٨٥٦.

(6) المصدر نفسه، ج٨، ص ٢٨٨٠.

(7) المصدر نفسه، ج٨، ص٢٨٦٢.

(8) ابن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء، ج١، ص٨٥. أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج٨، ص ٢٨٥٢.

(9) الأنطاكي، تزيين الأسواق، ج١، ص٣١.

أما في شأن الزواج فمن المعروف أن أول خطوات الزواج هي الخطبة، التي يتم فيهـا خطبة الرجل للمرأة، وكان الزواج عادة ما يتم عن طريق الخطبة، ثم يعقد القِران [١]، ليتم بعد موافقة المرأة والاتفاق على الصداق الذي أوجبه الإسلام على الرجل؛ أي يلزمه دفـع مهـر أو صداق لم يحدد. وذكر ابن سعد أن الخليفة علي بـن أبـي طالـب(ﷺ) خطـب فاطمـة مـن الرسول(ﷺ) فقال له الرسول ما تصدقها[٢].

وقد بذل في بعض الأنكحة في وادي القرى كثير من الأموال، وفي هذا إشارة إلى كثرة الأموال بيد الناس في ذلك العصر بسبب الفتوحات، فقد بذل نبيه بن الأسود الكثير من الأمـوال لوالد بثينة مقابل تزويجها إياه ووافق والدها على ذلك [٣]. وكذلك والد عفراء التي تزوجت مـن ابن عم لها من أهل البلقاء بالشام وكان كثير المال[٤].

ويعد الصيد من الحرف المنتشرة في بلاد العرب في العصر الجـاهلي، وفـي صـدر الإسلام ويعده بعضهم رياضة، إلا أنه كان بالدرجة الأولى لقصد المعاش والاستفادة من لحـوم الصيد[٥]، وذلك لحاجة أهل الزمان إلى الصيد بوصفه مصدراً من مصادر العيش لكثيـر مـن الناس، وعرف بعض الناس صيد الوحوش[٦]، ومارس السكان في وادي القرى الـصيد سـواء بالطيور أو الكلاب ،وقد سأل وفد بني سلامان من سعد هذيم عندما وفدوا إليه في السنة التاسعة عن الصيد بالكلاب، فأجازه لهم وأمرهم أن يذكروا اسم ا عليه ويـأكلوه[٧]، وتـشير بعـض المصادر إلى الصيد على نحوٍ كبير في وادي القرى، وكان جميل بن معمر قد خرج ذات يـوم مع أصحاب له إلى الصيد فعنت لهم ظبية يتبعها خِشف لها[٨]،. وكانوا يخرجون إلى الصيد في أودية وادي القرى والأماكن المحيطة به مثل صحراء قو وأوديتها حيث تكثر بها الظباء[٩].

---

(1) ابن سعد، الطبقات، ج٤، ص٥٠.
(2) المصدر نفسه، ج٨، ص ٢٠.
(3) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج٢، ص٢٣٨.
(4) ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ج١، ص١٣٤. الأنطاكي، تزيين الأسواق، ج١، ص ٢٩.
(5) العمري، الحرف والصناعات، ص٤٩.
(6) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب، ج٧، ص ١٢٤.
(7) ابن سعد، الطبقات، ج٦، ص٣١٥.
(8) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج٨، ص ٢٨٥٢.
(9) جميل، الديوان، ص٢٥.

ومن أنواع الحيوانات التي يصطادونها في وادي القرى الظبـاء، والحمـار الوحـشي، والأسود، والنمور وغيرها، وعادة ما يستخدمون السِهام والنبال عند الخروج للصيد؛ لـسهولة حملها وسرعتها [١].

(1) جميل، الديوان، ص١٤٨. أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج٨، ص٢٨٥٦.

الملابس

كانت الملابس عند سكان وادي القرى هي الألبسة المعروفة عند العرب في تلك المرحلة، ومن أهم الألبسة التي يرتديها الأهالي في وادي القرى ما يلي:

بالنسبة إلى الرجال فإن في مقدمة ما يلبسونه العِمامة، وهي لباس الرأس[١]، وعادة ما يلبسها الأشراف من كبار القوم وشيوخ القبائل؛ لأنها تعد تيجان العرب[٢]، ومع ذلك كان الآخرون يلبسونها أيضاً، وقيل مازالت العرب عرباً ما لبست العمائم، وتقلدت السيوف، ولم تعدد الحلم ذلاً، ولا التواهب فيما بينها ضعةً[٣]، وكانت عمامة سيد القوم تتخذ لواء في الحرب ويشدون بها أوساطهم عند المجهَدَة[٤]، والعصابة والعمامة سواء[٥]، وتعرف العِمامة في وادي القرى باسم السيب والسبيب أيضاً[٦]، وعادة ما تكون من الكتان الذي يعرف بالسبيب[٧]، وكان الكتان يصل إلى وادي القرى من مصر[٨]، وقد ذكرها جميل بن معمر في إحدى قصائده[٩]:

ألا تلك أعلام لبثنة قد بدت   كأن ذراهَا عمـمَنه سَبِـيب

وهناك الحلة: وهي من ثلاثة أقسام: القميص والإزار والرداء، وعادة ما تلبسه الأعراب[١٠]، ولا يقال لها حلة حتى تكون من ثوبين، وهما من ثياب اليمن[١١]، وكان جميل بن معمر يلبس حلّتين جميلتين لم يتر مثلهما قط[١٢]، وأجودها ما يعرف باسم حلل الملوك ويرتديها

---

(1) ابن منظور، لسان العرب، مادة (عمم)، ج٦، ص١٢٣.

(2) الجاحظ أبو عثمان عمر بن بحر(ت٢٥٥/٨٦٨م)، البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ط٢، مكتبة الخانجي بمصر، ومكتبة المثنى ببغداد، ١٣٨٠هـ/١٩٦٠م، ج٢، ص٨٨.

(3) المصدر نفسه، ج٢، ص٨٨.

(4) المصدر نفسه، ج٣، ص١٠٥.

(5) المصدر نفسه، ج٣، ص٩٩.

(6) ابن منظور، لسان العرب، مادة (سبب)، ج٦، ص ١٣٧.

(7) ابن سعد، الطبقات، ج٥، ص ١٧٧.

(8) ابن منظور، لسان العرب، مادة (سبب) ج٦، ص١٣٨. الثعالبي، ثمار القلوب، ص٥٣٠.

(9) جميل، الديوان، ص٣٢.

(10) ابن منظور، لسان العرب، مادة (حلل)، ج٣، ص ٣٠٢.

(11) الفراهيدي، العين، ج١، ص ١٦٨.

(12) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج٨، ص ٢٨٨١.

مجنون ليلى[١]، وهي نوع من البرود اليمانية[٢]. وفي حلل الملوك يقول الفرزدق مادحاً علقمـة الفحل[٣]:

والفحلُ علقمـةُ الـذي كانـت لـه　　　حلل الملـوكِ ثلاثـة لا تنتحـلُ

أما النساء فيلبسن على رؤوسهن الخمار، وهو غطاء تغطي به المرأة رأسها، وجمعـه أخمرة [٤]، ويبدو أن الخمار كان من ألبسة الحرائر[٥]، إذ أمر عمر بن عبد العزيز ولاته بأن لا تلبس أمه خماراً ولا يتشبهن بالحرائر [٦].أما نساء البادية في الحجـاز فكـن يلبـسن البراقـع والنقاب[٧]، وكانت نساء الأعراب لا يسفرن عن وجوههن ولا يرفعن براقعهن إلا لأمرٍ خطير، وكانت ليلى الأخيلية قد سفرت لتنذر صاحبها توبة الحمير وفي ذلك يقول[٨] :

وكنت إذا ما جئـت ليلـى تبرقعـتْ　　　فقد رابني منها الغداةَ سـفورها

ومن الملابس المشتركة بين الرجال والنساء الثوب، وقد ورد ذكره في القران الكريم قال تعالى: ﴿ عَٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوٓاْ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾ ﴾ [٩]. وهناك الثياب السايرية التي تلبسها، النساء أيضاً في وادي القرى، ويقول شاعر عذرة جميل بن معمـر واصفاً محبوبته[١٠] :

لـها مقلتـا ريمٍ وَجيـد جَـدَايـةٍ　　　وَبَطْـن كَـطَي السـايريـةِ أهـيَفُ [١١]

---

(1) أبو الفرج الاصفهاني، الأغاني، ج١، ص ١١٧.

(2) ابن منظور، لسان العرب، مادة (حلل)، ج٥، ص٢٣٠.

(3) الفرزدق، الديوان، ص ٤٦٧.

(4) ابن سيدة، المخصص، ج١، ص٣١١. ابن منظور، لسان العرب، مادة (خمر)، ج٤، ص ٢١٣.

(5) السيف، الحياة الاقتصادية والاجتماعية، ص٢٧٣.

(6) ابن سعد، الطبقات، ج5، ص ٣٨١.

(7) أبو نعيم، حلية الأولياء، ج٢، ص١٧٧. ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ج١، ص٩٢.

(8) ابن قتيبة، المصدر نفسه، ج١، ص ٩٢. أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج٦، ص155.

(9) سورة الإنسان، الآية رقم (٢٢).

(10) جميل ،الديوان، ص ١٢٧.

(11) الريم: الغزال. الجـداية: الذكر من أولاد الظبـاء.

وهناك القميص: وهو مفاضةٌ تحت النطاق، وتشد بالأزرار والجمـع أقمـصة وقمـص وقمصان [1]، وقد ورد ذكره في القرآن الكريم في عدة آيات نذكر منها قوله تعـالى: ﴿ ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ ۝٥٢ ﴾[2]، وهناك القمصان التي يلبسها الرجـال وكـان بعضها يصنع من الكتان[3]، ويعد القميص من أردية الصيف والشتاء[4].

ويعد المرط من الألبسة المعروفة في وادي القرى، ويلبسه الرجال والنساء علـى حـدٍ سواء، وهو نوع من الثياب التي تصنّع من الخز أو الصوف وبعضه من الكتّـان، وقيـل: هـو الثوب الأخضر، وجمعه مروط[5]، وقد قال جميل بن معمر يصف محبوبته بثينة[6]:

منعمةٌ لـو يـدرج الـذر بيـنـ ـها وبين حـواشي ثوبهَا ظـلّ يجـرح
إذا ضَرَبَتْهَا الريح في المرطِ أجفلَـتْ مآكِمها والـريح في المـرطِ أفْضَح

وهناك البرد، وأعظمها البرد التي تُنسج باليمن، ويضرب بها المثل، ومنه يصدر إلـى مختلف الأقطار المجاورة[7]، وقد ذكر عروة بن حزام العـذري -صـاحب عفـراء- الثيـاب والقمصان اليمنية في بيتٍ له وهي مستوردة من اليمن في قوله [8] :

أغـركُما منـ ـي قمـيص لَبِـ ـستُه جـديداً وبرد أيمـنةٌ زَهيـانـ ـي

وتتعددت أنواعها، منها: البرد العدني المستورد من مدينة عدن باليمن، وهو ذو جـودة عالية، وهناك البرد المعافرية نسبة إلى مدينة معافر باليمن[9]، وكانت البرود ذات شهرة كبيرة، ويبدو أن مدينة المعافر كانت تنتج الكثير من هذه الثياب مما جعل الرسول(ﷺ) يقبلها من أهـل اليمن بدل الجزية [10]، وهناك البرد الأعرابية أو برد الأعراب[1]، وربما كانت تـصنّع محليـاً؛

---

(1) الفراهيدي، العين، ج٢، ص ١٠٠. ابن منظور، لسان العرب، مادة (قمص)، ج١١، ص٣٠٣.

(2) سورة يوسف، الآية رقم (٥٢).

(3) ابن سعد، الطبقات، ج٥، ص ١٩٧.

(4) أبو يوسف، الخراج، ص ١٦٣.

(5) ابن منظور، لسان العرب، مادة (مرط)، ج١٣، ص٨٣.

(6) جميل بن معمر، الديوان، ص٤٤.

(7) الثعالبي، ثمار القلوب، ص ٥٣٤. جواد علي، المفصل، ج٨، ص ١٦٩.

(8) الأنطاكي، تزيين الأسواق، ج١، ص ٥٩.

(9) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص ١٢٤.

(10) يحي ابن آدم، الخراج، ص٦٨. أبو عبيد، الأموال، ص٦٣. حقي إسماعيل، أسواق العرب، ص ١١٥.

يصنعها البدو في الحجاز، ويعتقد بعضهم أنها سميت بذلك لأنها امتازت بخـشونتها ورخـص أسعارها[٢]. وقد ذكر ابن سعد في طبقاته أن الرسول(ﷺ) كسا أحد أفراد بني عذرة عنـد قـدوم وفدهم إلى المدينة في السنة (٩هـ/ ٦٢٩م) بـرداً[٣].

وهناك البرد الملوكية التي يرتديها الرجال في وادي القرى، حيث روي أن جميل بثينـة في لقاءٍ له مع محبوبته بثينة قد لبس بردين ملوكيين من برد الخلافة فـأتزر بأحـدهما واتـشح بالآخر[٤].

وهناك الإزار وهو من الألبسة الداخلية للرجال[٥]، وهو ما يلتحف به أو يستر به البـدن من أسفله، ويوجد إزارخاص بالنساء فقد ذُكر أن عفراء صاحبة عروة بن حزام العذري كانـت تلبس إزاراً أخضرَ منسوجاً من الخز[٦]. ويقول دوزي أن الإزار قد استخدم منذ مستهل الإسلام، للدلالة على الغطاء الكبير أو الرداء الواسع الذي تلتف به نساء المشرق[٧].

وعرفت الملحفة أو الملاحف، وعادة ما تلبس فوق سائر الملابـس مـن دثـار البـرد ونحوه[٨] وتختلف ألوانها بين الأحمر والأصفر، وقد تكون مورسة أي مصبوغة بالورس، كالتي أعطتها بثينة لمحبوبها جميل بن معمر[٩]، وشاعت الملاحف المعصفرة فـي الحجـاز أيـضاً، وعرفت في وادي القرى؛ فقد أهدت بثينة لمعبد ملحفة معصفرة[١٠] وهناك الملاءة وهي نوع من الملاحف التي لم تبطن أو تحشى، فإذا حشيت أو بطنت تعرف بالملحفة[١١]، وتختلـف ألوانهـا، وقد كان طويس المغني، وابن عائشة المغني –أيضاً- يلبسانها، فكان الأول عليه مـلاءة رقيقـة

---

(1) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج١، ص ١٦٥.

(2) حقي إسماعيل، أسواق العرب، ص ١١٥.

(3) ابن سعد، الطبقات، ج٥، ص٢٧٣.

(4) الأنطاكي، تزيين الأسواق، ج١، ص ٣٢.

(5) الأصفهاني، مقاتل الطالبيين، ص٨٩.

(6) الأنطاكي، تزيين الأسواق، ج١، ص٥٨.

(7) دوزي، المعجم المفصل لأسماء الملابس عند العرب، ص ٣١.السيف، الحياة الاقتـصادية والاجتماعيـة، ص٢٧٦.

(8) ابن سيدة، المخصص، ج٤، ص ٧٦. ابن منظور، لسان العرب، مادة (أزر)، ج١، ص٣٦٩.

(9) ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ج١، ص ٩٢.

(10) الأنطاكي، تزيين الأسواق، ج١، ص٣٢.

(11) ابن منظور،لسان العرب، مادة (لحف)، ج٨، ص٢٦٦.

مصقولة[١]، أما الثاني فكان يلبس ملاءة مدلوكة[٢]، وكانا قد عاشا في وادي القرى مـدة مـن الزمن[٣].

وعرفت الحبرة بوصفها لباساً مشترك بين الرجال والنساء –أيضاً- في وادي القـرى، وهي ضرب من برود اليمن[٤]، وهي من التحبير أي التزيين فيقال ثوب حبيـر أو موشـى[٥]، ويروي الأصفهاني أن طويس المغني كان يلبس قميص قوهي وحبرة قد ارتدى بها[٦]، ويـذكر الأصبهاني أن بثينة صاحبة جميل بن معمر كان لها برد من حبرة[٧].

وهناك العباءة التي يلبسها الرجال أيضاً، وهي ضرب من الأكسية واسعة فيها خطـوط سود كبار والجمع عباء[٨]، وهي من اللباس الخارجي للرجال، وتلـبس فـوق سـائر الألبـسة الأخرى[٩]، وقد روي أن أبا بكر الصديق قد لبس العباءة[١٠]، وكان النخـار العـذري مرتـدياً عباءته عندما قدم على معاوية بن أبي سفيان فازدراه في عباءته فقال لـه النخـار: يـا أميـر المؤمنين إن العباءة لا تكلمك، وإنما يكلمك من فيها[١١].

---

(1) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج٦، ص٢٨.

(2) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج٢، ص ١٢٣.

(3) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج٢، ص ١٢٦. العقد الفريد، ج٦، ص ٢٩. بن عساكر، تـاريخ دمـشق، ج١١، ص٨٦.

(4) ابن سيدة، المخصص، ج٤، ص ٧٣. ابن منظور،لسان العرب، مادة (حبر)، ج٣، ص١٦.

(5) ابن سيدة، المخصص، ج٤، ص ٧٣.ابن منظور، المصدر، مادة (حبر)، ج٣، ص١٦.

(6) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج٤، ص ١٧٦.

(7) المصدر نفسه، ج٨، ص ٢٨٦٠.

(8) ابن منظور، لسان العرب، مادة (عبا) ج٦، ص٥٢.

(9) السيف، الحياة الأقتصادية والاجتماعية، ص٢٨٠.

(10) اليعقوبي، مشاكلة الناس لزمانهم، ص١٠.

(11) ابن قتيبة، عيون الأخبار، ج٣، ص ٢٩٧.

كما استعملت الريط، جمع الريطة، وهي كل ملاءة من نسج واحد، وقطعـة واحـدة[١] كنوع من اللباس يرتديه الناس في وادي القرى، وفيه يقول جميل بن معمر[٢] :

أنـاةٌ على نيرين أضـحى لِـ ـداتُها　　بلين بلاء الـريـط وهـي جديـد

ويروي الإمام مالك أن الريط في الحجاز كان من نسج الولائد [٣]؛ أي أولاد الجواري أو المولدين من الجواري، وقيل الشواب من الجواري [٤].

(1) ابن منظور، لسان العرب، مادة (ريط)، ج٣، ص ١١٣.

(2) جميل، الديوان، ص٦٩-٧٠.

(3) الإمام مالك ابن أنس، المدونة، ج٨، ص ٤٥٠.

(4) ابن منظور، لسان العرب، مادة (ولد)، ج١٥، ص٣٩٥.

مظاهر الزينة

عرف المجتمع في وادي القرى بعض مظاهر الزينة لا سيما في مواسم الأعياد وأوقات الفرح والسرور كالزواج وغيرها، فقد جاء في الأغاني " أن جميل بن معمر خرج في يوم عيد والنساء إذ ذاك يتزين ويبدو بعضهن لبعض، ويبدون للرجال، وأن جميلاً وقف على بثينة وأختها أم الجسير.... فرأت منهن منظراً، وأعجبنه وعشق بثينة" [١].

ومن مظاهر الزينة عند أهالي وادي القرى الخضاب، وهو الحناء الذي شاع استخدامه بين الرجال والنساء في وادي القرى وفي الحجاز بعامة، وكان من الرجال الذين يخضبون رؤوسهم ولحاهم بالحناء، مجموعة من الصحابة والتابعين يخضبون رؤوسهم ولحاهم مثل عبد ا بن عباس[٢] والحسين بن علي[٣] ومحمد بن الحنفية[٤].

ويعد الخضاب من أدوات الزينة التي يتزين بها النساء في وادي القرى حيث يخضبن رؤوسهن وأيديهن، ويقول في ذلك جميل بن معمر مادحاً محبوبته بثينة [5] :

فخرجتُ خوفَ يمينها فتبسمت ... فعلمت أن يمينها لم تخْرَجِ

فَتَنَاولتْ رأسي لتعرف مسه ... بمخضبِ الأطراف غير مشنج

ومخضب الأطراف: أي مصبوغ الأطراف يريد أصابعها [٦]، وكانت عفراء محبوبة عروة بن حزام العذري –أيضاً- تستخدم الخضاب، وفيها يقول عروة [٧]:

وآخر عهدي من عفيراء أنها ... تدير بناناً كلهن خضيب [٨]

واستخدم في وادي القرى عدة أنواع من المواد التي يتخضب بها، كالزعفران، والكتم، وهو نبات فيه حمرة ويخلط مع الوسَمَة، وهي نبات يستخدمه أهل الحجاز للتخضيب أيضاً[٩].

---

(1) أبو الفرج الأصفهاني الأغاني، ج٨، ص ٢٨٤٤.

(2) الذهبي، تاريخ الإسلام، ج٣، ص١٢.

(3) المصدر نفسه، ج٣، ص ١٣.

(4) ابن سعد، الطبقات، ج٧، ص١١٤.

(5) جميل، الديوان، ص٢٣٤-٢٣٥.

(6) المصدر نفسه، ص٢٣٥.

(7) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٤٠، ص٢٢٦.

(8) أي أن أصابعها كانت مخضبة.

(9) ابن قتيبة، أدب الكاتب، ص٨٠. ابن منظور، لسان العرب، مادة (كتم)، ج١٧، ص ١٥٠.

كما عرفت النساء في وادي القرى الاعتناء بشعورهن وتزيينها؛ حيث جعل الشعر على شكل ضفائر، وتسمى –أيضاً- القرون[1] والغدائر والذوائب[٢]، وكانت هذه الغدائر والذوائب تترك لتنسدل على الظهر[٣]. بل إن بعض النساء في وادي القرى كن يتخذن لهن ماشطة خاصة تعتني بزينتها وعطرها وغير ذلك من أدوات الزينة، إذ كان لبثينة ماشطة تمشطها وتزينها تدعى أم منظور[٤].

وقد عرف المسك والعنبر في وادي القرى بوصفة مظهراً من مظاهر الزينة وقد مدح جميل بن معمر بثينة بطيب مسكِها الذي يفوح من ثيابها، وفي ذلك يقول[5]:

تأرج بالمسكِ الأحمِ ثيابها　　　　إذا عَرقتْ فيها وبالعنبر الوردِ

كما استخدم الزنجبيل في تعطير بعض المشروبات وتعطير الملابس[٦].

وقد اهتمت النساء في وادي القرى –أيضاً- بتزيين الأسنان ويطلق عليه التفاليج أو الفلجة أو الأشْر[٧]، وهو التباعد بين الثنيتين وكانت العرب تستملحه في المرأة[٨]، ومنه قول جميل [٩] :

مفلجةُ الأنيابِ لو أن ريقَها　　　　يداوى به الموتى لقاموا من القبر

وقد عرفت النساء في وادي القرى أنواعاً من الحلي منها: الأساور، وتعرف بالجبائر أيضاً[١٠]، وهناك القلائد[١١]، والمخانق؛ وهي نوع من القلائد، وكلها من أدوات الزينة التي تلبسها النساء في وادي القرى. وربما صنعتْ محلياً حيث توجد معادن الذهب والفضة في وادي

---

(1) جميل، الديوان، ص ٢٣٥.

(2) ابن قميئة، ديوان، ابن قميئة، عمر بن قميئة(ت منتصف القرن السادس للميلاد) الديوان، تحقيق خليل إبراهيم العطية، ط١، دار الحرية بغداد، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م، ص ٥٦-٥٧. البغدادي، خزانة الأدب، ج٣، ص ٤٨٧.

(3) امرؤ القيس، الديوان، ص٢٩٧.

(4) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج٨، ص١١٢. الأنطاكي، تزيين الأسواق، ج١، ص٢٩.

(5) جميل، الديوان، ص ٧٥.

(6) المصدر نفسه، ص٧١.

(7) ابن منظور،لسان العرب، مادة (فلج)، ج٦، ص٣٨٥.

(8) ابن سيدة، المخصص، ج١، ص ٨٩.

(9) جميل، الديوان، ص ١٠٠-١٠١.

(10) جميل، الديوان، ص١٠٤-١٠٥. أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج٢، ص٣٤٦.

(11) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج٢، ص ٣٤٧.

القرى[١]، أو جلبتْ من الأماكن القريبة من وادي القرى والمشهورة بصناعة الحلي مثل خيبـر التي اشتهر بها آل الحقيق وصناعتهم الحلي[٢].

وهناك الوشاح وهو الذي يغطي منطقة الخصر[٣]، وكذلك الخواتم المصنعة من الذهب والفضة [٤].

واستخدمن – كذلك- الكحل لتزيين العيون وتكحيلها[٥]، حيث يوجد الإثمد بكثـرة فـي منطقة وادي القرى إذ يستدل بوجوده على الذهب والفضة[٦]، ويستخدم الأثمد كذلك في تنظيـف الأسنان[٧].

وقد عرفت صباغة الملابس عند السكان في وادي القرى، وقد كانوا يـصبغونها بمـواد متنوعة مثل: الزعفران ويعطي اللون الأصفر، وعادة ما يستوردونه من المناطق المجاورة لهـم لا سيما البلقاء التي عرفت بالزعفران الجادي[٨]، وكذلك الجساد وهو من المواد التي صبغت بها بعض الملابس كالريط [٩]، والنيلة، وهي نبات ينمو في البلقاء[١٠]، والعصفر وهو نبات أصـفر اللون، ويستخدم في صباغة البرد وغيرها من الملابس[١١]، وكذلك الـورس[١٢]. ويـتم غـسل الملابس وصبغها بأواني متنوعة مصنعة من الخزف أو المعـادن كالإجانـة والمـرحض[١٣]، وكانت بثينة تلبس ثياباً مورسة[١٤].

---

(1) شيخ الربوة، نخبة الدهر، ص٩٢.

(2) الواقدي، المغازي، ج٢، ص٦٧٣. الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٣، ص١٤.

(3) جميل، الديوان، ص٤٨.

(4) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج٨، ص ٢٨٥٦.

(5) جميل، الديوان، ص٥٦.

(6) الهمداني، الجوهرتين، ص١٥٦.

(7) عبيد بن الأبرص، الديوان، تحقيق حسين نصار، القاهرة، ص٣٥.

(8) جميل، الديوان، ص١٢٤. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص١٤٥.

(9) امرؤ القيس، الديوان، ص١٩٦.

(10) ابن حوقل، صورة الأرض، ص١٦٩.

(11) ابن سعد، الطبقات، ج٨، ص٦٨.

(12) المصدر نفسه، ج٤، ص٦٥.

(13) ابن قتيبة، فحول الشعراء، ج١، ص٥٥. ابن منظور، لسان العرب، مادة (رحض)،ج٧، ص١٥٣.

(14) ابن سعيد الأندلسي، علي بن موسى(ت٦٣٨هـ / ١٢٤٨م)، نـشوة الطـرب فـي تـاريخ الجاهليـة والعرب،تحقيق نصرت عبد الرحمن، ط١، مكتبة الأقصى، عمان، ١٩٨٢م، ج٢، ص ٥٠٥.

وعرف الرجال الخواتم كمظهر من مظاهر الزينة، وقد ذكر صاحب الأغاني أن جميـل بن معمر كان يلبس خاتماً في يده[1] وعادة ما تُصنع محلياً.

وتستخدم المساويك كأدوات لتنظيف الأسنان وتبييضها عند العرب[2]، وعرف اسـتخدام المساويك في وادي القرى وكانت تأخذ من شجر الآراك، ومن شـجر البـشام[3]، ولا شـك أن استخدام المسواك من السنة في الإسلام، وقد دلت الأحاديث على ذلك ومنه حديث الرسول(ﷺ)، قال: " لولا أن أشق على أمتي لأمرتُهم بالسواك مع كل صلاة[4].

(1) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج٨، ص ١١٠.

(2) جواد علي، المفصل، ج٤، ص٦٢٣.

(3) جميل، الديوان، ص٣٧.

(4) البخاري، الصحيح، ج٣، ص ٤٠٥.

الأطعـمة والأشربة

عرف في وادي القرى بعض المأكولات والمشروبات التي لا تختلف عن غيرهـا فـي الجزيرة العربية. يمكن ذكر بعضها:

الهريسة: وسميت بذلك لأنها تهرس، أي تدق[1]، وهي من أطعمة الحضر، قال دوسـر المديني: لنا الهرائس والقلايا، ولأهل البدو: اللبأ، والسلاء، والجراد، والكمأة، والخبزة بالرائب، والتمر بالزبد[٢].

وهناك الخزير أو الخزيرة، وهي دقيق يلبك بشحم، كانت العرب تأكله، وكانت قـريش وبنو مجاشع تعير به في الجاهلية[٣]، وكان بنو عريض مـن يهـود وادي القـرى قـد أهـدوا للرسول(ﷺ) خزيراً أو هريسة[٤]، وقيل الخزيرة هي الحساء من الدسم والدقيق[٥].

ويعد التمر الغذاء الرئيس لأهالي وادي القرى، وكانت قبيلة عذرة ممن تُهجـى بأكـل التمر، هي والأنصار وعبد القيس[٦]، وكان التمر في مقدمة ما يقدم للضيوف في وادي القرى[٧].

ومن التمر تصنع أنواع عديدة من الطعام أهمها:

الربيكة: وهي طعام يصنع من التمر والبر[٨].

والوجيئة: التمر يوجأ ثم يؤكل باللبن[٩].

والربيك: وهو سمن وتمر يمرسان بخبز فيطعمهان الصبي إذا قل لبن الأم[١٠].

والعلاثة أو العلاث: وهو خلط الأقط بالسمن[١١]. أمّا الثريد: فهو فـت الخبـز بـاللبن والسمن، أو بالمرق[١٢]، وكان جميل بن معمر قد ضيف رجلاً قدم عليه ثريـداً بـاللبن

---

(1) ابن قتيبة، أدب الكاتب، ص٣٦.

(2) المصدر نفسه، ص ٣٧.

(3) ابن دريد، جمهرة اللغة، ج١، ص٣١٦.

(4) البكري، معجم ما استعجم، ج١، ص٤٤.

(5) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج٣، ص٥٢.

(6) الجاحظ، البخلاء، ج١، ص ٦٢.

(7) الأنطاكي، تزيين الأسواق، ج١، ص٣٢.

(8) ابن عبد ربه، العقد الفريد،ج٤، ص ٦٦.

(9) التوحيدي، الأمتاع والمؤانسة، ص١٣٧.

(10) ابن دريد، جمرة اللغة، ج١، ص ١٤٥.

(11) المصدر نفسة، ج١، ص٢٠٥.

(12) المصدر نفسه، ج١، ص٢٠٠.

والسمن[1]، وهناك الأقط: الذي يصنع من اللبن المخيظ المجفف[2]، وكان الـسكان فـي وادي القرى، - البدو خاصة-، يخلطونه بالسمن والرب ويأكلونه[3]، وكذا عرف العسل في وادي القرى[4].

ومن مشروبات أهل وادي القرى: اللبن، ويعد من أشهر المشروبات عند العرب، ويشتق منه السمن، والزبد، والأقط وغيره، وللبن عدة أشكال، منها الصريف، وهو الحـار منـه حـين يحلب فإذا سكنت رغوته فهو الصريح[5]، وهناك المحض وهو اللبن الخالص الذي لا يخالطـه الماء حلواً كان أو حامضاً[6]، وإذا خالطه الماء فهو نسيئة، وقد قدمته بثينة لمحبوبها جميـل [7]، وهناك الخاثر وهو الرائب[8]، وإذا اشتدت حموضته فهو " حازر "[9].

أما الأواني التي كانوا يستخدمونها فهي من الأقداح المفضـضة المطليـة بالفـضة، أو المموهة بالفضة[10]، وقد استوردوا الصحاف الشامية، ويستخدم في تقـديم الأطعمـة وحفظهـا أدوات متنوعة مصنعة من الحديد أو الفضة أو النحاس أو الجلود كالقرب الخاصة لحفظ اللـبن والسمن[11].

---

(1) السراج، مصارع العشاق، ص١٠٤.

(2) ابن منظور، لسان العرب، مادة (أقط)، ج١ ،ص٢٢٢.

(3) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج٢، ص٣٦٢.

(4) جميل، الديوان، ص٥٥.

(5) ابن قتيبة، أدب الكاتب، ص ١٤٢.

(6) المصدر نفسه، ص ١٤٢.

(7) جميل، الديوان، ص ٧٨.

(8) ابن قتيبة، أدب الكاتب، ص١٤٢. الجاحظ، البخلاء، ج١، ص٦٢.

(9) ابن قتيبة، أدب الكاتب، ص١٤٢.

(10) الأنطاكي، تزيين الأسواق، ج١، ص٣٢.

(11) المصدر نفسه، ج١، ص٣٢.

المباني والمساكن

تتنوع المساكن في وادي القرى بتنوع طبيعة السكان فيه؛ حيث يوجد نوعان من السكان فهناك: أهل المدر، وهم أهل الحواضر وسكان القرى، وكانوا يحاولون المعيـشة مـن الـزرع والنخل والماشية والضرب في الأرض للتجارة[1] ويتخذون البيوت والمنازل سكناً دائمـاً لهـم، وهناك البدو، وهم أهل الوبر قُطان الصحارى، وكانوا يعيشون مـن ألبـان الإبـل ولحومهـا، منتجعين منابت الكلأ مرتادين مواقع المطر، فيخيمون هناك مـا سـاعدهم الخـصب وأمكـنهم الرعي، ثم يتوجهون لطلب العشب وابتغاء المياه فلا يزالون في حل وترحال[2] ويتخـذون مـن بيوت الشعر والخيام بيوتاً لهم، وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك في قولـه تعـالى: ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمۡ سَكَنٗا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلۡأَنۡعَٰمِ بُيُوتٗا تَسۡتَخِفُّونَهَا يَوۡمَ ظَعۡنِكُمۡ وَيَوۡمَ إِقَامَتِكُمۡ وَمِنۡ أَصۡوَافِهَا وَأَوۡبَارِهَا وَأَشۡعَارِهَآ أَثَٰثٗا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٖ ﴾ [3].

أما بالنسبة إلى البيوت في وادي القرى فلا يوجد اختلاف في طبيعتها ومواد تكوينها عما هو موجود في المدينة، وخيبر وربما تيماء أيضاً،وتتسم بالبساطة، وتعتمد على البيئة في مـواد تشييدها وبنائها. وتكاد أن تكون حياة المجتمع في وادي القرى صورة مـصغرة مـن مجتمـع المدينة لتشابهه من الناحية السكانية، وكذلك الطبيعية إلى حدٍ ما.

وتُعد الآطام أو الأطم أبرز المعالم العمرانية في وادي القرى، والآطام: تعني الحصون، واحدها أطم، وهو الحصن المبني من الحجارة، وقيل هو كل بيت مربع مسطح، وتجمع آطـام، وآجام[4]، وهناك من الأطم ما بني بالطين وحده [5] وهناك ما بني بالحجارة السود خاصة الحجر المأخوذ من الحرار[6].

(1) ابن العبري، غريغوريوس أبي الفرج الملطي(ت ٦٨٥هـ/١٢٨٦م) مختصر الدول، تـصحيح وفهرسـة الأب أنطوان صالحاني اليسوعي، دار الرائد اللبناني، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، ص ١٨٥.

(2) ابن العبري، المصدر نفسه، ص ١٨٥.

(3) سورة النحل، الآية رقم (٨٠).

(4) ابن منظور، لسان العرب، مادة (أطم)ج١، ص١٥٥. ابن سيدة، المخصص، ج١، ص ٤٥٢.

(5) الأنصاري، عبد القدوس، بين التاريخ والآثار، د.م ، بيروت، ١٩٦٩، ص٦٨.

(6) السمهودي، وفاء الوفاء، ج١، ص ٧٩.

وتُعد الآطام معاقل لأصحاب الأرض، ومنازل لهم، ومخازن يخزنون بهـا محاصـيل أرضهم وماشيتهم عند دنو الخطر، وقد يحتمي بها أتباعهم[١]. وعندما غزا الرسـول(ﷺ) وادي القرى في السنة٧هـ/٦٢٩م تحصن اليهود فيها وحاصرهم بها حتى استسلموا[٢].

وانتشرت الآطام في منطقة الحجاز على نحو كبير وكانت من الأبنية الرئيـسة فيهـا، وعرفت المدينة بكثرة الأطم، كأطم الضحيان الذي بناه أحيحة بن الجلاح أحد زعماء المدينة من الأوس وهو من أشهر الأطم في المدينة[٣] وهو أطم جاهلي وباقٍ حتى اليـوم[٤] وأطـم راتـج وغيرها من الأطم[5]. وانتشرت الآطام -وهي الحصون- في خيبر أيضاً، مثل حصن نـاعم، وحصن القموص[٦]، وتوجد في تيماء أيضاً لقول امرؤ القيس في معلقته[٧]:

وتيماء لم يترك بهـا جـذع نخلـةٍ ولا أطـــماً إلا مـــشيداً بِجَنْـــدَل

ويرى البعض أن هناك علاقة لا سيما بين الأطام والجهات الشمالية من جزيرة العـرب من المدينة المنورة وشمالها[٨]، ولا يستبعد بعضهم أن تكون الأطم عمارة عربية[٩]، وهو يستند في ذلك إلى قول السمهودي بأن بناء الأطام والمنازل في بني النضير إنما كان بعد نزول بعض القبائل العربية عليهم[١٠]، لا سيما أن هذه القبائل كانت أحياء من اليمن كبني الجـذماء، وبنـى أنيف حي من بلي [١١] وبني معاوية بن قيس عيلان[١٢]. فمن غير المستبعد أن يكـون هـؤلاء النازحون قد حملوا طراز عمارتهم إلى يثرب أو على الأقل طابعها العام[١٣].

(1) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب، ج٧، ص١٣٤.
(2) الواقدي، المغازي، ج٢، ص٧٢١.
(3) الواقدي، المغازي، ج١، ص ١٦٠. السمهودي ،وفاء الوفاء، ج١، ص٣٤٨.
(4) الأنصاري، بين التاريخ والآثار، ص ٦٨.
(5) لمعرفة المزيد عن الأطم، انظر: السمهودي، وفاء الوفاء، ج١، ص ٣٤٣-٣٨٣.
(6) الواقدي، المغازي، ج٢، ص ٦٧٠-٦٧١.الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٣، ص٩.
(7) امرؤ القيس، الديوان، ص ٢٦.
(8) الأنصاري، بين التاريخ والآثار، ص٢٢٦.
(9) ابن إدريس، مجتمع المدينة، ص٤٣.
(10) السمهودي، وفاء الوفاء، ج١، ص١٦١.
(11) المصدر نفسه، ج١، ص١٩٦.
(12) ابن قتيبة، المعارف، ص٨٥. السمهودي، وفاء الوفاء، ج١، ص١٦٢.
(13) ابن إدريس ،مجتمع المدينة، ص٤٣.

وقد عرفت مثل هذه الأطام في وادي القرى، وقد ساعدت الطبيعـة فـي وادي القـرى السكان في بناء مثل هذه الحصون والآطام حيث تتوفر الحجارة، ذات النوع الرملـي، الأحمـر والجرانيتية السوداء، وهي أفضل أنواع الأحجار للبناء، وهي متوافرة بكثرة فـي وادي القـرى وتجلب من المحاجر والمقالع المنتشرة في المنطقة، وهذا مـا أثبتتـه المـسوحات والحفريـات الآثارية[١] ويكثر استخدامها في قرح والعلا [٢].

ويعد الطين والآجر من العناصر الأساسية في عملية البناء في وادي القرى وهـو مـن النوع الجيد، يجلب من ضفاف الوادي، ثم يخلط بالتبن ويبنى منه الجدران الداخليـة والأسـوار الخارجية المستندة على أساسات مبنية من مداميك حجرية متينة[٣]، وحوائط على مزارعهم حيث ذكر أن الرسول(ﷺ) مر بيهودية في حائط لها في وادي القرى وهو في طريقه لغـزوة تبـوك سنة٩هـ/٦٢٩م[٤]، وعثر على الجص بوصفه إحدى مواد البناء في وادي القرى ويعتقد بعـض المتخصصين بالآثار أنها تجلب من الجهات الجنوبية والجنوبية الشرقية لمدينة قـرح[٥]، وذكـر أنس بن مالك أن الجص كان معروفاً ومنتشراً بين الناس في الحجاز في تلك الفترة[٦].

واستفادوا من أخشاب الأشجار لا سيما شجر الأثل المنتشر في وادي القرى[٧] في بنـاء منازلهم، وعادة ما يستخدمها أهل الحواضر لسقف بيوتهم، والإغلاق لأبوابهم[٨]، واستفادوا مـن جذوع النخيل، والسعف في عملية البناء أيضاً.

واستخدمت هذه المواد – الأحجار الرملية، والبازلتية السوداء التـي تلـتقط مباشـرة بالإضافة إلى الطين، والجص – في بيوت قرح والعلا، وكذلك الحجر لتوافر هذه المواد بكثـرة في نواحيهما. ويعتقد أن بيوت السقيا، والرحبة وكذلك ذا المروة كانت تقـوم علـى الأحجـار البازلتية السوداء نظراً لكثرتها في تلك النواحي، وهي تستخدم عند أهالي المنطقة اليوم في معظم أساسات البناء. والطين يعد مادة أساسية في هذه القرى.

---

(1) العمير، حفرية مدينة قرح، عدد١٩، ص٢٣٣.

(2) المرجع نفسه، ص ٢٣٣.

(3) المرجع نفسه، ص ٢٣٢-٢٣٣.

(4) الماوردي، الأحكام السلطانية، ص55.

(5) العمير، حفرية مدينة قرح، ص٢٣٢.

(6) الإمام مالك، المدونة، ج١٠، ص ٣٢٧.

(7) ذو الرمة، الديوان، ص ٤٢١.

(8) ابن خلدون، تاريخ، ج١، ص ٤١٠.

ويوجد في المنطقة اليوم أطلال لبعض القصور في منطقة الدراسة مبنية مـن الطـين وأساسات من الحجر واللبن المجفف، وبعضها مزود بأبراج دائرية في الأركان منهـا: قـصر وادي حرب الذي تنتشر على سطح موقعة كسر من الفخار الأموي والعباسي المبكر[1].

ويمكن الإشارة إلى أن هذه العناصر المستخدمة في عملية البناء تتفق مع طبيعـة وادي القرى التي تفرض على السكان مادة البناء المتوافرة محلياً. وإن للفتوحات أثراً كبيراً في تـشييد المساكن والقصور والتفنن بها في الحجاز بعامة خاصة وأن العرب قد استفادوا من خبرة البنائين من الفرس أمثال عمر بن ذادان المغني المشهور والمعروف بعمر الوادي الذي كـان مهندسـاً مشهوراً، وكان من أهالي وادي القرى[2].

وتذكر بعض المصادر وجود عدة مساجد بنيت في وادي القرى، تم بناؤها في المواقـع التي صلى بها الرسول(ﷺ)، وهو في طريقه لغزوة تبوك سنة ٩هـ/٦٣٠م وهي: مـسجد وادي القرى (قرح)[٣]، ومسجد بالصعيد (صعيد قرح)[٤]، ومـسجد بـذي المـروة[٥]، ومـسجد حوضى[٦]، ومسجد بالرقعة من شقة بني عذرة[٧]، مسجد بالحجر[٨]، ومسجد العلا[٩].

ويعد مسجد قرح من أبرز هذه المساجد وأكبرها، وذكر أن الرسول صلى به في طريقه إلى غزوة تبوك وهو من وضع أساسه هناك. ويقع في سوق قرح، وفي حديث أبي الـشموس البلوي قال: صلى بنا رسول ا (ﷺ) في المسجد الذي في صعيد قرح فعلمنـا مـصلاه بعظـم وأحجار فهو المسجد الذي يصلي فيه أهل وادي القرى اليوم[١٠].

(1) غبان، الأثار الإسلامية، ص ٩٦.

(2) أبو الفرج الأصفاني، الأغاني، ج٣، ص١٨٥.

(3) ابن هشام، السيرة، ج٤، ص١٧٤. السمهودي، وفاء الوفاء، ج٣، ص٤٤٦.

(4) ابن هشام السيرة، ج٤، ص١٧٥. السمهودي، وفاء الوفاء، ج٣، ص٤٤٦.

(5) ابن هشام، السيرة ،ج٤، ص١٧٥. السمهودي، وفاء الوفاء، ج٣، ص٤٦٨.

(6) ابن هشام، السير ة، ج٤،ص ١٧٥. السمهودي، وفاء الوفاء، ج٣، ص٤٤٦.

(7) ابن هشام، السيرة، ج٤، ص١٧٥. السمهودي، وفاء الوفاء، ج٣، ص٤٦٧.

(8) ابن هشام، السيرو، ج٤، ص١٧٥. السمهودي، وفاء الوفاء، ج٣، ص٤٦٧.

(9) ابن زبالة، تاريخ المدينة، ص٥٠.

(10) الحازمي، الأماكن، ج١، ص ٤٣.

الملامح الثقافية

لم يكن السكان في وادي القرى بمنأى عن بداية التطور الثقافي الذي حدث في صدر الإسلام، ويعد الشعر أبرز الملامح الثقافية في وادي القرى، ويمكن عرض أبرز الملامح الثقافية في وادي القرى في تلك المرحلة، التي تتمثل بالآتي:

الشعر

يعد الشعر من أبرز الملامح الثقافية التي برزت في منطقة وادي القرى، بل إن ما يعرف بالحب أو الغزل العذري قد ظهر من منطقة وادي القرى، والغزل العذري: هو غزل نقي طاهر ممعن في النقاء والطهارة، وقد نُسب إلى إحدى قبائل وادي القرى هي قبيلة عذرة؛ وذلك لأن شعراءها أكثروا من التغني به ونظمه[1]، والجمال في عذرة والعشق كثير، قيل لأعرابي من العذريين: ما بال قلوبكم كأنها قلوب طيرٍ تنماث كما ينماث الملح في الماء؟ أما تجلدون؟! قال: إنا لننظر إلى محاجر أعين لا تنظرون إليها!. وقيل لآخر: ممن أنت؟ فقال: من قومٍ إذا أحبوا ماتوا، فقالت جاريةٌ سمعته: عذري ورب الكعبة[2].

ولم تقف حركة الحب العذري عند قبيلة عذرة وفي منطقة وادي القرى حسب، بل شاع في بوادي نجد والحجاز، حتى أصبح ظاهرة عامة عرفت باسم " الحركة العذرية " أو " الشعر العذري "[3]، ويعتقد بعضهم أن ظاهرة الحب العذري إنما جاءت نتيجة تشرب الناس في تلك المنطقة روح الإسلام وتدينها[4]. ومن أبرز الشعراء الذين ظهروا في وادي القرى في تلك المدة:

عروة بن حِزام

وقيل عروة بن حرام بن مهاصر بن ضبة بن عبد كبير العذري(ت ٣٠هـ/ ٦٥٠م)، في خلافة عثمان بن عفان (ﷺ)، واشتهر بحبة لابنة عمه عفراء وتشبيبه بها، وكان له شعر رقيق فيها مثل، قوله[5]:

وإني لتعروني لذكراك رعدةٌ لها بين جلدي والعظام دبيب

(1) شوقي ضيف، تاريخ الأدب العرب " العصر الإسلامي "، ط٧، دار المعارف، مصر، ١٩٦٣م، ص٣٥٩.

(2) ابن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء، ج١، ص ٨٩.

(3) شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، العصر الإسلامي، ص ٣٥٩. عبد القادر القط، في الشعر الإسلامي والأموي، دار النهضة، بيروت، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، ص ٧٢.

(4) المرجع نفسه، ص ٣٥٩.

(5) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج٣، ص ١٢٣.

فوا لا أنـساك مـا هبـت الـصبا ومـا أعقبتهـا فـي الريـاح جنـوب

هدبة بن خشرم

هو هدبة بن خشرم وقيل ابن الخشرم أبو سليمان أحد بني ثعلبة بن عبد ا بن الحارث بن سعد هذيم، من الشعراء المشهورين في منطقة وادي القرى، شاعر مكثر مجيد، وكان حكـم اللغويين على شعره التقدير والإعجاب، وكان شعره في مقطوعات متفرقـة، وعـرف بـالفخر بقبيلته واشتهر بالهجاء أيضاً. وحدث نزاع بينه وبين زيادة بن زيد العذري أيام الخليفة معاويـة بن أبي سفيان أدى هذا النزاع إلى مقتل زيادة بن زيد وسجن على أثرهـا هدبـه فـي المدينـة المنورة وتم قتله قوداً نحو سنة(٥٤هـ/ ٦٧٤م)(1).

جميل بن معمر

وهو جميل بن معمر، وقيل جميل بن عبد ا بن الحارث بن ظبيان العـذري، شـاعر مشهور، ويعد من أشهر الشعراء العذريين، وشعراء وادي القرى وهـو مـن عـشاق العـرب المشهورين، ارتبط اسمه بمحبوبته بثينة، حتى عرف باسم جميل بثينـة(ت ٨٢هـ ـ/ ٧٠١)(٢) وكان جميل راوية للشاعر السابق هدبة بن الخشرم، يروي أشعاره ويحفظها(٣).اشـتهر بـشعره العذب الرقيق، واعتنى به الناس في تلك المرحلة وما بعدها، وكان يتصل ببنـي أميـة كثيـراً ويرحل إليهم(٤). وأحب بثينة لكنه لم يتزوجها وقال فيها أشعاراً كثيرة، وانتهى به الحـال إلـى مصر هارباً من والي وادي القرى الذي أهدر دمه بعد أن شكاه أهل بثينة وبقـي هنـاك حتـى مات(5)، ويقال إن بثينة بكته حتى ماتت ومن روائع أشعار قوله:

ألا ليت شـعري هـل أبيـتن ليلـةً بـوادي القـرى إنـي إذن لـسعيد

وهـل ألقـيَن فـرداً بثينـة مـرةً تجـود لنـا مـن ودِهـا ونجـود

علقْتُ الهوى منها وليـداً فلـم يـزلْ إلـى اليـومِ يَنْمـي حبهـا ويَزيـد

---

(1) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج٢١، ص ٢٦٤.

(2)ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ج١، ص ٥٦. أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج٨، ص ١٢٣.

(3) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج٨، ص ٩٦.

(4) المصدر نفسه، ج٨، ص ٩٩.

(5) المصدر نفسه، ج٨، ص ٨٧١.

جوّاس العذري

جواس بن قطبة بن ثعلبة بن الهون بن عمرو بن الأحب بن حن بن ربيعة بن حرام بن عتبة بن كثير العذري[١]، وهو من شعراء وادي القرى، كان جواس شريفاً في قومة ومنيعاً[٢]، ولـه أشعار يغلب عليها الفخر والمديح.

وبرز في وادي القرى بعض الشعراء من الموالي منهم نصيب الذي كان عبداً أسودَ من أهل وادي القرى، وكان من الشعراء المشهورين[٣].

(1) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج٢٢، ص١٥٢.

(2) المصدر نفسه، ج٢٢، ص ١٥٢.

(3) ابن قتيبة، الشعر والشعرا، ج١، ص ٨٣.

الغنـاء

نتج عن الفتوحات وتدفق الأموال وكثرته بأيدي الناس في الحجاز أن انـصرفوا عـن السياسة إلى اللهو والملاهي المتنوعة، وكان الغناء على رأس هذه الملاهي[1]، وقد انتشر الغناء في بعض مدن الحجاز وكان من بينها وادي القرى[٢]. ويذكر ابن عبد ربة أن الغناء كان ظاهراً ومنتشراً في أماكن متعددة من الحجاز وعلى رأسها وادي القرى، حيث يقول" إنما كان أصـل الغناء ومعدنه في أمهات القرى من بلاد العرب ظاهراً ومنتشراً، وهي المدينة والطائف وخيبـر ووادي القرى ودومة الجندل واليمامة وهذه القرى هي مجامع أسواق العرب.."[٣].

وينظر بعض الباحثين إلى أن الغناء هو نتيجة للفراغ والثراء والتحضر والترف الـذي طرأ على الحجاز [٤].فقد نشأ في وادي القرى معظم مشاهير الغناء في القـرنين الأول والثـاني الهجريين/السابع والثامن الملاديين، لا سيما بين الموالي حيث يأتي في مقدمتهم عمر بـن زاذان المشهور بعمر الوادي نسبة إلى وادي القرى، وقد كان من موالي الخليفة عثمان بن عفان(رضي الله عنه)، يعد من المغنيين المشهورين في وادي القرى وكان يتردد على معظم مدن الحجاز يغني فيهـا، وهو معلم الغناء الأول في وادي القرى وفي مدن الحجاز، تعلم على يديه مجموعة من المغنيين الذين اشتهروا في وادي القرى ثم انتشروا في أنحاء متفرقة من بلاد الشام والعراق، انتقل بعدها إلى عاصمة الخلافة الأموية دمشق أيام الخليفة الوليد بن يزيد، وكان يغني له ويطرب له حتـى سماه جامع لذتي ومحيي طربي[5]. ويذكر – كذلك- حكم الوادي المغني المشهور، الـذي تعلـم الغناء على يد عمر الوادي، غنى للوليد بن عبد الملك، وغنى للرشيد. مات فـي الـشطر مـن خلافته[٦].ومن المغنيين –أيضاً- طويس المغني ويعقوب الوادي[٧]، وكان أول من غنى فـيهم، وقد كان أغلبهم من تلامذة عمر الوادي وقد تعلموا الغناء على يديه.

---

(1) ضيف، شوقي، الشعر والغناء في المدينة ومكة لعصر بني أمية، دار الثقافة، بيروت ،١٩٦٧م، ص٥١.

(2) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج٥، ص ٤٤. وانظر: الأبشيهي، المستطرف، ج٢، ص٥٩٦.

(3) ابن عبد ربة، العقد الفريد، ج٥، ص٤٥.

(4) ضيف، الشعر والغناء، ص ٥١.

(5) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج٣، ص١٠٢.

(6) المصدر نفسه، ج٣، ص ١٨٤.

(7) المصدر نفسه، ج٢، ص ٣٢٧.

وعادة ما تستخدم بعض الآلات الموسيقية في الغناء مثل الطنابير والمعازف والمزامير، والنقر على الدفوف[١]، ويفترض أنها تصنع محلياً في وادي القرى؛ نظراً لوجود أمثال هـؤلاء المغنين الكبار، ويقول ابن رشيق إنه بعد أن فتحت العراق، وجلب الغناء والرقيق مـن فـارس والروم غنوا الغناء المجزأ المؤلف بالفارسية والرومية، وغنـوا جميعـاً بالعيـدان والطنـابير والمعازف والمزامير[٢].

ويبدو أن وادي القرى من المدن الرئيسة التي نما فيها الغناء العربي وتطـور تطـوراً كبيراً، في ظل وجود هؤلاء الموالي الذين نقلوا بعض إيقاعاتهم الغنائية من مواطنهم الأصـلية، وقد أصبح وادي القرى وكأنه معهدً للفنون والموسيقى في ذلك العصر، تخرج فيه مجموعة من المغنيين المشهورين، أخذ يطلبهم الأمراء والخلفاء ويدعونهم إلى قصورهم وخلواتهم.

---

(1) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج٣، ص١٨٤.

(2) ابن رشيق، العمدة، ج١، ص٢١٨.

المنـافرة

المنافرة هي المفاخرة والمحاكمة في الحسب، قال أبو عبيدة: المفاخرة أن يفتخر الرجلان كل واحد منهما على صاحبة ثم يحكما بينهما[١]. وللعرب مفاخرات مشهورة في العصر الجاهلي منها منافرة " بني فزارة " مع " بني هلال "ومنافرة " هاشم بن عبد مناف " و " أمية بـن عبـد شمس "[٢]، وفي وادي القرى كانت تحدث مثل هذه المنافرات وكانوا كثيراً ما يتفاخرون بأنسابهم وقد حدثت عدة منافرات بين جميل بن معمر وبين جواس بن قطبة، وقد لجأ جواس ابن عـذرة إلى يهود تيماء في التحكيم بينهم[٣].

الأنساب

يعد علم الأنساب من العلوم التي حافظ عليها العرب وامتازوا بها، وقد اشتهر في وادي القرى النخار بن أوس العذري وكان خطيباً ونسابة وهو في رأي الكلبي أعظم علماء العرب في الأنساب[٤]، ومولده في حياة الرسول(ﷺ)، وكان معاصراً لجميل بثينة، وعاصر معاوية بن أبـي سفيان وكان يزوره في دمشق وكان أول ما رآه معاوية ازدراه وسخر منه ثم أعجب به وقربـه منه[٥]. وكانت له مكانة كبيرة وله دور كبير في إصلاح ذات البين وفي الحمالات والقود[٦].

---

(1) ابن منظور، لسان العرب، مادة (نفر)، ج٥، ٢٢٤.

(2) ابن حبيب، المنمق، ص٩٩.

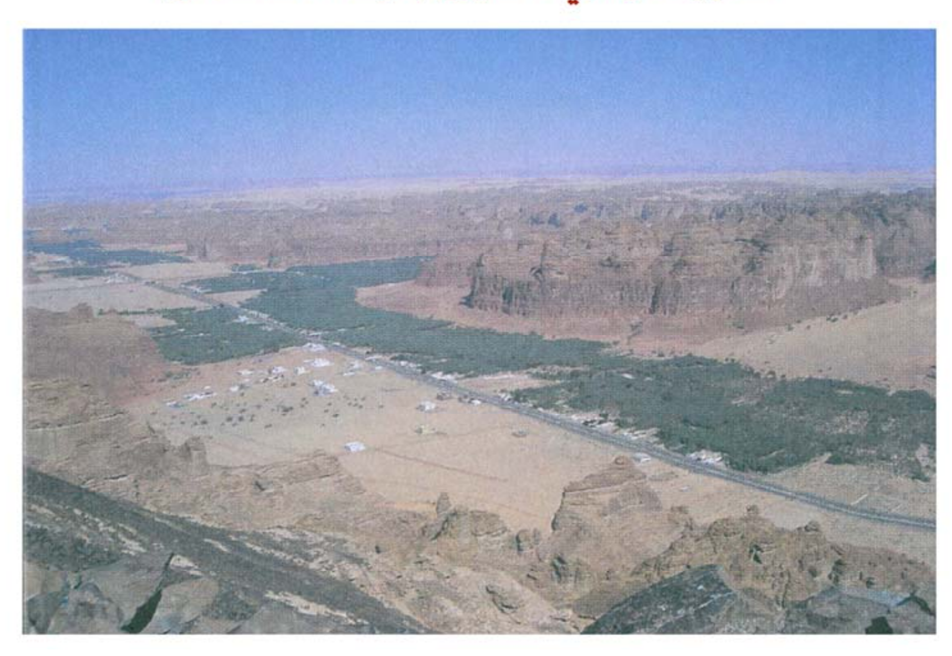
(3) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج٢٢، ص ٢٣١.

(4) الجاحظ، البيان والتبيين، ج٢، ص ٣٢٤.

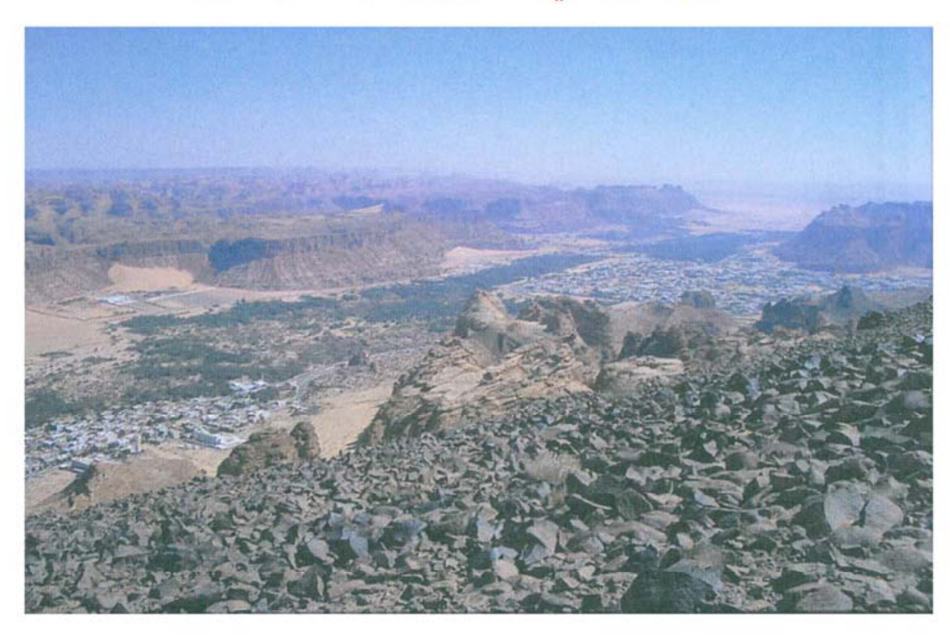
(5) البلاذري، أنساب الأشراف، ج١، ص ٢٣.

([6]) الجاحظ، البيان والتبيين، ج٣، ص ٧٠.

صورة لوادي القرى باتجاه الشمال

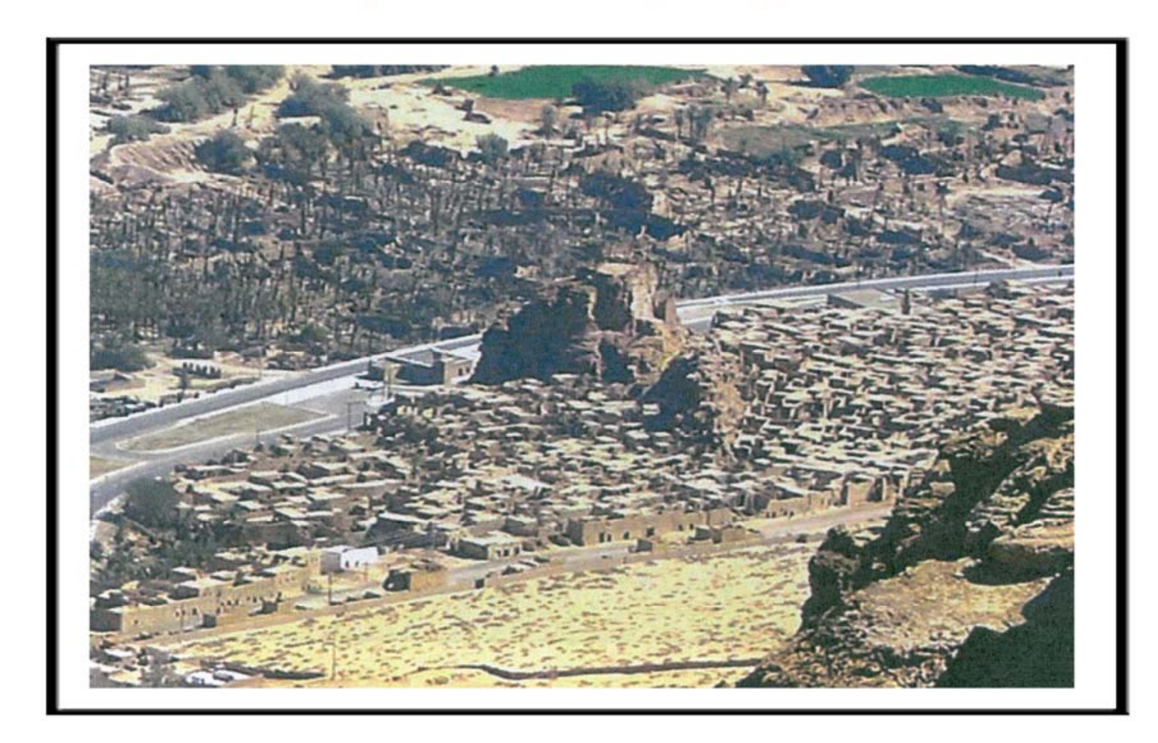


صورة لوادي القرى باتجاه الجنوب



المصدر: بدر الفقير، مدينة العلا

صورة لمدينة العُلا القديمة



المصدر: بدر الفقير، مدينة العلا

صورة لقرية الرحبة(كُتيفة)



المصدر: من تصوير الباحث

قناة مائية حجرية عُثر عليها في قرية الحجر





صور من ابار الحجر القديمة

المصدر: حولية الاثار السعودية (أطلال) عدد ١٩.لوحة ٨/١٠

صور توضح الوحدات المعمارية في مدينة (قرح)

استخدم في بناءها الاحجار والطين



المصدر : حولية الآثار السعودية (أطلال) عدد ١٩ الملحق ١٠/٣

الخـاتمـة

تناولت هذه الدراسة تاريخ وادي القـرى فـي صـدر الإسـلام، وكـان هـدفها الكشف عن تاريخ هـذه المنطقـة ودورهـا فـي التـاريخ الإسـلامي، وقـد خلـصت إلـى مجموعة من النتائج، منها:

- أن منطقة وادي القرى شكلت أهمية كبيـرة فـي التـاريخ العربـي، إذ كانـت منطقـة ربط بين أقاليم رئيسة في الدولة الإسلامية كالـشام ومـصر وأفريقيـة وحتـى العـراق، فكانت تسلكها شرايين التجارة القديمة، وتمر بهـا طـرق الحـج القادمـة مـن مـصر والشام.
- تمتع وادي القرى بالأراضـي الخـصبة، ووفـرة الميـاه التـي سـاعدت فـي انتـشار الزراعة وازدهارها، وقيام عدة تجمعات سكانية مستقرة.
- حرص الرسول(ﷺ)، على ضم هذه المنطقـة إلـى الدولـة الإسـلامية نظـراً لأهميتهـا العسكرية والأستراتيجيه حيث تمثل جبهة استطلاعية لبلاد الشام وكذلك مصر.
- ازدهار التجارة فـي منطقـة وادي القـرى، وتنـوع الـسلع فيهـا، فـضلاً عـن دور الوساطة في نقل السلع التجارية بين بلاد الشام ومصر ومدن الحجاز الأخرى.
- دور القبائل العربية القاطنة في وادي القرى في نشر الإسـلام منـذ وقـت مبكـر، مـن خلال مشاركتها مع جيوش الفتح، وظهور قادة كبار من أبناء المنطقة.
- ظهور ملامح ثقافية ذات قيمة في المنطقة أبرزهـا الـشعر، لا سـيما الـشعر العـذري، ويبرز مجموعة من المغنين الكبار الذين يعدون أساتذة الفن العربي.

المصادر والمراجع

أولاً : المصــادر

- القرآن الكريم.

- الأبشيهي، شهاب الدين محمد بن أحمد (ت ٨٥٠هـ/ ١٤٤٦م)، **المستطرف في كـل فـن مستظرف،** ط١، ٤ أجزاء. تحقيق إبراهيم صالح، دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٩٩.

- ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن محمد(ت ٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م)، **الكامل في التـاريخ،** ط١، دار صادر، بيروت، ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م.

ــــ: **أسد الغابة في معرفة الصحابة، ط١، ٤أجزاء،** تحقيق الشيخ على محمد معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م.

- الأزهري، محمد بن أحمد (ت ٣٧٠هـ/١٠٨٣م)، **تهذيب اللغة،** ط١، تحقيق عبـد الـسلام هارون، المؤسسة المصرية للتأليف، ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م.

- الإدريسي، محمد بن محمد (ت٥٦٠هـ/١١٦٥م)، **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق،** مكتبـة الثقافة الدينية، بور سعيد، ١٩٩٨م.

- ابن آدم القرشي، أبو زكريا، يحيى بن سليمان، (ت٢٠٣هـ/ ٨١٨م)، **كتاب الخـراج،** ط١، تحقيق أحمد محمد شاكر، بيروت، د.ت .

- ابن اسحاق، محمد بن اسحاق بن يسار(ت١٥١هـ/٧٦٢م)، **سيرة ابن اسحاق المسمى بكتاب المبتدأ والمبعث والمغازي،** تحقيق محمد حميد ا ، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

- الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين(ت٣٥٦هـ/ ٩٦٦م)، **كتاب الأغاني،** ط١، ٢٤ جزء تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الشعب، مصر، ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م.

- الإصطخري، إبراهيم بن محمد (ت٣٤٠هـ/ ٩٥١م)، **المسالك والممالك** تحقيق محمد جابر، وزارة الثقافة، القاهرة، ١٣٨١هـ/ ١٩٦١م.

- الأصفهاني، الحسن بن عبد ا المعروف بـ " لغدة "(ت٢١٠هـ/٨٢٥م) **بلاد العـرب،** ط١، تحقيق حمد الجاسر، صالح العلي، دار اليمامة ، الرياض، ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٨.

- الأصمعي، عبد الملك بن قريب(ت٢١٦هـ/٧٣١م)، **كتاب النبات،** تحقيق عبد ا يوسـف الغُنيم، مطبعة المدني، القاهرة، ١٣٩٢هـ.

- ابن أعثم، أبو محمد أحمد الكوفي(ت٣١٤هـ/٩٢٦م)، **كتاب الفتوح،** ط١، تحقيق علي شيري، دار الأضواء، ١٤١١هـ/١٩٩١م.

- الإمام مسلم بن الحجاج النيسابوري(ت٢٦١هـ/ ٨٧٤م)، **الجامع الصحيح المسمى بـصحيح مسلم**، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، القاهرة، ١٣٧٤هـ/١٩٥٥م.

- الأنطاكي، محمد بن محمد(ت ١٠٠٨هـ/ ١٥٩٩م)، **تزيين الأسواق بتفصيل أشواق العشاق**، تحقيق أيمن عبد الجابر البحيري، دار البيان العربي، القاهرة، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م.

- البخاري، أبو عبد الله محمد بن أسماعيل(ت٢٥٦هـ/٨٧٠م)، **صحيح البخاري**، ط٥، ضبط وتحقيق مصطفى ديب البغا، دار اليمامة، دمشق، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.

- البغدادي، عبد القادر بن عمر (ت ١٠٩٣هـ/ ١٦٨٢م)، **خزانة الأدب**، ١٣جزء، تحقيق محمد نبيل طريفي، أميل بديع اليعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨م.

- ابن بكّار، الزبير (٢٥٦هـ/٨٦٩م)، **الأخبار الموفقيات**، تحقيق سامي مكي العاني، بغداد، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م.

ـــ: **جمهرة نسب قريش وأخبارها**، تحقيق محمود شاكر، القاهرة، ١٣٨١م.

- البكري، أبو عبيد الله عبد الله بن عبد العزيز(ت٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م)، **معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع**، ط٣، تحقيق مصطفى السقا، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.

ـــ: **المسالك والممالك**، تحقيق أدريان فان ليوفين، أندري فيري، الدار العربية للكتاب، تونس، ١٩٩٢م.

- البلاذري، أحمد بن محمد (٢٧٩هـ/ ٨٩٢م)، **أنساب الأشراف**، ط١، ١٢جزء، تحقيق سهيل زكار و رياض زركلي، دار الفكر، بيروت، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.

ـــ: **فتوح البلدان**، تحقيق محمود نصار، دار صادر، بيروت ١٩٧٦م.

- البلوي، خالد بن عيسى (ت٧٦٥هـ/١٣٦٤م)، **تاج المفرق في تحلية علماء المشرق**، تحقيق الحسن السائح، مطبعة فضالة، المغرب، د.ت.

- البهوتي، منصور بن يونس (ت١٠٥١هـ/ ١٦٤١م)، **كشاف القناع على متن الاقناع**، مراجعة وتحقيق هلال مصيلحي مصطفى، بيروت؛ دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢.

- البيهقي، أحمد بن الحسين (ت٤٥٨هـ/١٠٦٦م) **السنن الكبرى**،١٢جزاء، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

- التنوخي، عز الدين، **الرحلة التنوخية من الزرقاء إلى القريات**، ط١، تحقيق يحيى عبد الرؤوف جبر، ١٩٨٥م.

- التوحيدي، أبو حيان علي بن محمد بن العباس(ت٤١٤هـ/ ١٠٢٣م)، **الإمتاع والمؤانسة**، ط١، تحقيق محمد حسن محمد حسن أسماعيل، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

- الثعالبي، عبد الملك بن محمد(ت٤٢٩هـ/ ١٠٣٧م)، **ثمار القلوب في المضاف والمنسوب**، ط١، ٢جزء، تحقيق محمد أبو الفضل، دار المعارف، القاهرة، ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٥م.

ـــ: **لطائف المعارف**، ط١، تحقيق إبراهيم الأبياري وحسن كامل الصيرفي، دار إحياء الكتب العربية، ١٣٧٩هـ/١٩٦٠م.

- ابن حبيب، أبو جعفر محمد (٢٤٥هـ/٨٩٧م)، **كتاب المحبر**، تصحيح إيلزه ليختن شتيتر، المكتب التجاري، بيروت، د.ت...

ـــ: **المُنمق في أخبار قريش**، ط١، تعليق خورشيد أحمد فاروق، القاهرة، ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م.

- الجاحظ، أبو عثمان عمر بن بحر(ت٢٥٥هـ/ ٨٦٨م)، **التبصر بالتجارة**، تحقيق عبد السلام هارون، المطبعة الرحمانية، القاهرة، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م.

ـــ: **البيان والتبيين**، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ط٢، مكتبة الخانجي ، ومكتبة المثنى ببغداد، ١٣٨٠هـ/١٩٦٠م.

ـــ: **البخلاء،** ٢ جزء، تحقيق أحمد العوامري بك، وعلي الجارم بك، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

- ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي(ت٢٥١هـ/٨٦٥م)، **المنتظم في تاريخ الملوك والأمم**، دار الفكر، دمشق، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.

- جميل بن معمر العذري(ت٨٢هـ/٧٠١م)، **ديوان جميل**، جمع وتحقيق أميل يعقوب، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.

- الحازمي، محمد بن موسى(ت٥٨٤هـ/ ١١٨٨م)، **الأماكن أو ما اتفق لفظة وافترق مسماه من الأمكنة**، ٢جزء، تحقيق حمد الجاسر، دار اليمامة، الرياض، ١٤١٥هـ.

- الحربي، إبراهيم بن اسحاق(٢٨٥هـ/ ٨٩٧م)، **المناسك** تحقيق حمد الجاسر، دار اليمامة، الرياض، ١٤٢٠هـ.

- ابن حزم الأندلسي، محمد بن أحمد (ت٤٥٦هـ/ ١٠٦٣م)، **جمهرة أنساب العرب**، ط٤ تحقيق عبد المنعم خليل، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٩م.

ـــ: جوامع السير، تحقيق إحسان عباس، دار المعارف ،مصر، ١٩٩٠.

- الحميري، محمد بن عبد المنعم (ت٧١٠هـ/ ١٣١٠م)، **الروض المعطار في خبر الأقطار،** ط٢، تحقيق إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٧٥م.

- ابن خرداذبة، أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله (ت٢٧٢هـ / ٨٨٥م)، **المسالك والممالك،** مطبعة بريل، ليدن، ١٨٨٩م.

- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد(ت٨٠٨هـ/١٤٠٥م)، **كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر،** دار أحياء التراث بيروت، ط٤، .

- الخوارزمي، محمد بن أحمد(ت ٣٨٧هـ/ ٩٩٧م)، **مفاتيح العلوم،** تحقيق إبراهيم الأبياري، ط٢، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.

- ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن (ت٣٤٥هـ/٩٥٦م)، **الاشتقاق،** تحقيق عبد السلام محمد هارون، ط٣، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٥٨.

- داود، سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني، (ت٢٧٥هـ/ ٨٨٨م)، **سنن أبي داود،** ط١، القاهرة، ١٣٧١هـ/ ١٩٥٢م.

- الدواداري، أبو بكر بن عبد الله (ت ٧٣٠هـ/ ١٣٣١م)، **كنز الدرر،** تحقيق صلاح الدين المنجد، ط١، القاهرة، ١٩٦١م.

- الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد،(ت ٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م)، **تاريخ الإسلام وطبقات مشاهير الأعلام، ط١،** ٥٢ جزء، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

ـــ: **سير أعلام النبلاء،** تحقيق شعيب الأرناؤوط، وحسين الأسد، ط٩، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٣م.

- ابن رسته، أحمد بن عمر، (ت ٣٦٠هـ/٩٧٠م)، **الأعلاق النفيسة،** دار أحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٨٨م.

- زبالة، ابن زبالة أبو الحسن محمد بن الحسن، (ت١٩٩هـ/٨١٥م) ، **أخبار المدينة المنورة،** ط١، جمع وتحقيق صلاح عبد العزيز سلامة، دار الأرقم، بيروت، ٢٠٠١.

- الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني(١٢٠٥هـ/ ١٧٩٥م)، **تاج العروس من جواهر القاموس،** تحقيق عبد الستّار أحمد فراج، وزارة الأرشاد والأنباء، الكويت، ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م.

- الزبيري، مصعب بن عبد الله (٢٣٦هـ/ ٨٥٠م)، **نسب قريش،** نشر ليفي بروفنسال، القاهرة، ١٩٥٣م.

- ابن زرعة الدمشقي، عبد الرحمن بن عمرو(ت٢٨٢هـ ـ/ ٨٩٤م)، **تـاريخ أبـي زرعـة الدمشقي**، تحقيق شكر ا الفوجاني، مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٩٨٢م.

- ابن زكريا، أحمد بن فارس (ت٣٩٥هـ/١٠٠٤م)، **مقاييس اللغة**، تحقيق عبد السلام محمـد هارون، الناشر اتحاد الكتّاب العرب، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢.

- الزمخشري، محمود بن عمر(ت٥٣٨هـ/ ١١٤٣م)، **الأمكنة والجبـال والميـاه**، تحقيـق إبراهيم السامرائي، دار عمان، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.

- السرخسي، محمد بن أحمد(٤٨٣هـ/ ١٠٩١م)، **كتاب المبـسوط**، ط١، دار الكتب العلميـة، بيروت، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م.

- ابن سعد، محمد بن سعد (ت٢٣٠هـ/٨٤٤م)، **كتاب الطبقات الكبير**، ١٠ أجـزاء، تحقيـق علي محمد عمر، ط١، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤٢١هـ ٢٠٠١م.

- ابن سعيد الأندلسي، علي بن موسى (ت٦٣٨هـ/١٢٤٨م)، **نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب**، ط١، ٢جزء، تحقيق نصرت عبد الرحمن، مكتبة الأقصى، عمان، ١٩٨٢م.

- السلمي، عرام بن الأصبغ (ت نحو٢٧٥هـ/٨٨٨م)، **أسماء جبال تهامة وسكانها وما فيهـا من القرى وما ينبت عليها من الأشجار وما فيها من المياه**، تحقيـق عبـد الـسلام هـارون، القاهرة، مطبعة أمين عبد الرحمن، ١٣٧٣هـ.

- السمعاني، أبو سعد عبد الكريم بن محمد (ت٥٦٥هـ/١١٦٩م) **كتاب الأنـساب**، ٦ أجـزاء، صححة وعلق عليه عبد الرحمن اليماني، حيد أباد الدكن، مطبعة دائـرة المعـارف العثمانيـة، ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٢م.

- السمهودي، علي بن عبدا (ت٩١١هـ/١٥٠٥م)، **وفاء الوفاء في أخبـار دار المـصطفى**، ط١، ٤أجزاء، تحقيق قاسم السامرائي، مؤسسة الفرقان بمكة والمدينة، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

- السهيلي، عبد الرحمن بن عبد ا (ت٥٨١هـ/ ١١٨٥م)، **الروض الأنف في تفسير الـسيرة النبوية لإبن هشام**، ٥ أجزاء، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٩هـ ـ/ ١٩٨٩م.

- ابن سيدة، أبو الحسن علي بن أسماعيل الأندلـسي(ت٤٥٨هـ ـ/ ١٠٦٥م):**المُخـصص**، ٥ أجزاء، تحقيق مكتب دار إحياء التراث العربي، قدم له الدكتور خليل إبراهيم جفّـال، بيـروت، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.

- الإمام الشافعي، أبو عبد ا محمد بن إدريس(ت٢٠٤هـ ـ/ ٨١٩م)، **كتـاب الأم**، ط٢، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

- ابن شبة، عمر النميري (ت٢٦٢هـ/٨٧٥م) **تاريخ المدينة المنورة**، ٢ج، تحقيق علي دندل و ياسين بيان، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.

- شيخ الربوة، شمس الدين محمد بن أبي طالب (ت ٧٤٧هـ/ ١٣٤٦م)، **نخبة الدهر في عجائب البرّ والبحر**، ليدن، د. ت.

- الصنعاني، عبد الرزاق أبو بكر بن همام، **مصنف عبد الرزاق**، ط٢، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، بيروت، ١٤٠٣.

- الطبري، محمد بن جرير(ت٣١٠هـ/ ٩٢٢م)، **تاريخ الرسل والملوك**، ط١، ١٠أجزاء، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار سويدان، بيروت، ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٢م.

ـــ: **جامع البيان في تأويل القرأن**، تحقيق أحمد محمد شاكر، ط٣، مؤسسة الرسالة، الرياض، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

- الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد(ت٣٦٠هـ/٩٧٠م)، **الأوائل**، ط١، تحقيق محمد شكور بن محمود الحاجي أمرير، دار الفرقان، عمان، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

- الصالحي، محمد بن يوسف (ت٩٤٢هـ/١٥٣٥م)، **سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد**، ط١، ١٢جزء، تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

- ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد ا (ت ٤٦٣هـ/ ١٠٨١م)، **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**، ٤أجزاء، تحقيق علي محمد البجاوي، مطبعة نهضة مصر، الفجالة، د.ت.

- ابن عبد الحكم،أبو محمد عبد ا (ت٢١٤هـ/٨٢٩م)، **سيرة عمر بن عبد العزيز**، تحقيق أحمد عبيدات، بيروت، ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م.

- ابن عبد ربه، أحمد بن محمد(ت٣٢٨هـ/ ٩٣٩م)، **العقد الفريد**، ٦أجزاء، تحقيق أحمد أمين وآخرين، مطبعة لجنة التأليف والنشر، القاهرة، ١٩٥٣م.

- ابن العبري، غريغوريوس أبي الفرج الملطي(ت٦٨٥هـ/١٢٨٦م)، **تاريخ مختصر الدول**، وضع حواشيه الأب أنطوان صالحاني اليسوعي، دار الرائد اللبناني، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

- ابن الفقيه، أحمد بن محمد (ت ٢٩٠هـ/ ٨٩٠م)، **البلدان**، تحقيق يوسف الهادي، عالم الكتب، بيروت، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.

- الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد، (ت١٧٥هـ/٧٨٦م) **كتاب العين**، ٨ أجزاء، تحقيق: مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، (١٤١٨هـ/١٩٩٨).

- الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب(٨٢٣هـ/١٤٢٠م)، **المغانم المطابة في معالم طابة**، تحقيق حمد الجاسر، دار اليمامة، الرياض، ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م.

ـــ:**القاموس المحيط**، ٤أجزاء، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، د.ت.

- القاسم بن سلاّم، أبو عبيد (ت ٢٢٤هـ/ ٨٣٧م)، **كتاب الأموال**، ط١، تحقيق خليل محمد، نشر مكتبة الكليات الأزهرية، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م.

- القالي، اسماعيل بن القاسم(ت٣٥٦هـ/٩٦٧م)، **النوادر**، دار الكتاب العربي، بيروت، د.ت

- ابن قانع، عبد الباقي بن قانع أبو الحسن(ت٣٥١هـ/٩٦٢م)، **معجم الصحابة**، ٣أجزاء، تحقيق صلاح بن سالم المصراتي، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة المنورة، ١٤١٨هـ.

- ابن قتيبة الدينوري، أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت٢٧٦هـ/ ٨٨٩م)، **المعارف**، ط١، ٢ جزء، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

ــ: **أدب الكاتب**، ضبطه وحققه محمد محي الدين عبد الحميد، ط٤، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٣م.

ــ: **الشعر والشعراء**، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٦م.

- قدامة، عبد الله بن أحمد (ت٦٢٠هـ/ ١٢٢٠م)، **المغُني**، دار الكتب بيروت، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

- القلقشندي، أحمد بن علي (ت٨٢١هـ/ ١٤١٨م)، **صبح الأعشى في صناعة الإنشاء**، تحقيق محمد حسين، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٧م.

ــ: **قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان**، ط٢، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتب الإسلامية، ودار الكتاب العربي بالقاهرة، ودار الكتاب اللبناني ببيروت، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

- الكتّاني، عبد الحي، **التراتيب الإدارية**، نشر حسن جعنا، بيروت، د.ت .

- ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء اسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م)، **تفسير القرآن العظيم**، ط٢، ٨ أجزاء، تحقيق سامي محمد سلامة، دار طيبة، المدنية المنورة، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

ــ: **البداية والنهاية**، ط٢، ١٤جزء، مكتبة النصر، الرياض، ١٩٦٦هـ.

- أبو الفداء، إسماعيل بن عمر بن محمد (ت٧٣٢هـ/١٣٣٢م)، **تقويم البلدان**، دار المعرفة، بيروت، ١٩٨٨م.

- ابن الكلبي، أبو المنذر هشام بن محمد(٢٠٤هـ/ ٨١٩م)، **نسب معد واليمن الكبير**، ط١، ٤ أجزاء، تحقيق ناجي حسن، عالم الكتب، مكتبة النهضة بيروت، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

- كثير بن عبد الرحمن المشهور بكثير عزة (ت١٠٥هـ/٧٢٤م)، الديوان، ط١، شرح قـدري مايو، دار الجيل، بيروت، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.

- الكندي، أبو يوسف يعقوب بن أسحاق(ت٢٥٦هـ/ ٨٧٠م)، **السيوف وأجناسها**، أخرجه عبد الرحمن زكي، مطبعة جامعة فؤاد، القاهرة، ١٩٥٢م.

- ابن ماكولا، الحسين بن علي(ت ٤٤٧هـ/١٠٢٠م)، **الإكمال في رفع عارض الأرتياب عـن المؤتاف والمختلف من الأسماء والكنى والألقاب**، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١هـ.

- الإمام مالك بن أنس الأصبحي، (١٧٩هـ/٧٩٥م)، **الموطـأ**، ط١، تحقيـق خليـل مـأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.

ـــ: **المدونة الكبرى**، تحقيق حمد الـدمرداش محمـد، ط١، المكتبـة العـصرية، بيـروت، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.

- الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد (ت٤٥٠هـ/ ١٠٥٨م)، **الأحكام السلطانية والولايـات الدينية**، ط٣، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ١٣٩٣هـ.

- المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد (ت ٢٨٥هـ/ ٨٩٨م)، **الكامـل فـي اللغـة والأدب**، ٤أجزاء، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار نهضة مصر بالفجالة، القاهرة د.ت.

- ابن المجاور، جمال الدين أبي الفتح يوسف بن يعقـوب (ت ٦٩٠هـ/ ١٢٩١م)، **تـاريخ المستبصر**، مطبعة بريل ليدن، ١٩٥١م.

- المرزوقي، أبو علي أحمد بن محمد (ت٤٢١هـ/ ١٠٢٠م)، **الأزمنـة والأمكنـة**، ٢ جـزء، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد الدكن، الهند، ١٣٣٢هـ.

- مقبل، تميم بن أبي مقبل العجلاني(ت بعد ٣٧هـ/٦٥٧م)، **ديوان بن مقبـل**، تحقيـق عـزة حسن، دمشق، إحياء التراث العربي، دمشق، ١٣٨١هـ/ ١٩٦٢م.

- المقريزي، أحمد بن علي، (ت ٨٤٥هـ/ ١٤٤١م)، **شذور العقود في ذكر النقـود**، تحقيـق: محمد بحر العلوم، المكتبة الحيدرية، ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م.

- السيوطي، جلال الدين (ت٩١١هـ/١٥٠٥م)، **حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقـاهرة**، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، القاهرة ٢٠٠٣.

- ابن منظور، محمد بن مكرم (ت٧١١هـ/١٣١١م)، **لسان العرب**، ١٨جزء، دار أحياء التراث العربي، بيروت، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣.

- الميداني، أحمد بن محمد بن أحمد، **مجمع الأمثال**، ط٢، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الجيل، بيروت، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

- النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب(ت٧٣٣هـ/ ١٣٣٢م)، **نهاية الأرب في فنون الأدب**، ط١، ٣٣جزء، تحقيق مفيد قمحية، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م.

-ابن هذيل، علي بن عبد الرحمن(ت٧٩٣هـ/١٤١٣م)، **حلية الفرسان وشعار الشجعان**، طبعة محمد عبد الغني حسن، دار المعارف، المغرب، ١٩٥١م.

- ابن هشام، عبد ا بن عبد الملك المعافري(ت٢١٨هـ/ ٨٣٣م)، **السيرة النبوية**، ٤أجزاء تحقيق مصطفى السقاء وآخرين، دار أحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٥٥م.

- الهمداني، الحسن بن أحمد بن يعقوب(٣٣٤هـ/ ٩٤٥م)، **صفة جزيرة العرب**، تحقيق محمد بن علي الأكوع، دار اليمامة، الرياض، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م.

ـــــ: **الجوهرتين العتيقتين المائعتين الصفراء والبيضاء**، ط١، تحقيق حمد الجاسر، المطابع الأهلية، الرياض، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م.

- الواقدي، محمد بن عمر(ت٢٠٧هـ/٨٢٣م)، **المغازي**، تحقيق جونس سدرن، مطبعة جامعة اكسفورد، د.ت.

ـــــ: **فتوح الشام،** (منسوب)، ط١، ٢جزء دراسة وتحقيق صالح درادكة، مؤسسة حمادة، أربد، الأردن، ٢٠٠٧م.

- ياقوت الحموي، ياقوت بن عبد ا (ت٦٢٦هـ/ ١٢٢٩م)، **معجم البلدان**، ط١، ٥ أجزاء، دار صادر، بيروت، ١٩٧٧م.

- اليعقوبي، أحمد بن يعقوب بن جعفر(ت٢٨٤هـ/ ٨٩٧م)، **تاريخ اليعقوبي**، ٣ أجزاء، دار صادر، بيروت، ١٣٧٩هـ/ ١٩٦٠م.

ـــــ: **مشاكلة الناس لزمانهم**، تحقيق وليم مليورد، دار الكتاب الجديد، بيروت، ١٩٦٢م.

ـــــ: **البلدان**، مطبعة بريل، ١٨٨٩م.

- أبو يوسف، يعقوب بن إبراهيم(ت ٢٨٢هـ/ ٧٩٨م)، **كتاب الخراج**، تحقيق أحمد محمد شاكر، دار المعرفة بيروت، د.ت.

ثانياً : المراجع :

- الأفغاني، سعيد، ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م، **أسواق العرب في الجاهلية والإسلام**، ط٣ ، دار الفكر، دمشق.

- إدريس، عبد ا بن عبد العزيز، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م، **مجتمع المدينة في عهد الرسـول(ﷺ)**، ط٣، مطابع جامعة الملك سعود، الرياض.

- البلادي، عاتق بن غيث ، ١٣٨٩هـ/١٩٧٩م، **معجم معالم الحجاز**، ط١، ٣أجزاء، دار مكـة للنشر، مكة المكرمة.

- علي، جواد، ١٩٧٧م، **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، ط٢، (١٠أجـزاء)، دار العلـم للملايين، بيروت ومكتبة النهضة، بغداد.

- الجاسر، حمد، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م، **المعجم الجغرافي للبلاد السعودية** " شمال المملكة "، دار اليمامة للنشر، الرياض.

ـــ: ١٣٧٠هـ/١٩٦٠م، **في شمال غرب الجزيرة**، دار اليمامة للنشر، الرياض.

ـــ: ١٩٦٨م، **أبو علي الهجري وأبحاثة في تحديد المواضع**، دار اليمامة، الرياض.

ـــ: **بلاد ينبع ،لمحات تاريخية جغرافية وانطباعات خاصة**، دار اليمامة، الرياض.

- جوسن، أنطوان و سافيناك، رفائيل، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م، **رحلة استكشافية أثرية إلى جزيرة العرب**، ط١، ترجمة صبا عبد الوهاب الفارس، مراجعة سليمان الذييب و سـعيد الـسعيد، دارة الملك عبد العزيز، الرياض.

- **دائرة المعارف الإسلامية**، ترجمة أحمد الشيناوي، إبرهيم زكي خورشيد، وعبد المجيد يونس، حافظ جلال، مراجعة محمد أحمد جادالمولى بيك.

- دوتي، تشارلز، ٢٠٠٥م، ٤أجزاء، **ترحال في صحراء الجزيرة العربية**، ترجمة صبري محمد حسن، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة.

- الدوري، عبد العزيز:

ـــ: **مقدمة في تاريخ صدر الإسلام**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت.

ـــ: ٢٠٠٧م، **مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي**، ط١، مركز دراسات الوحـدة العربيـة، بيروت.

ـــ: ٢٠٠٣م، **التكوين التاريخي للأمة العربية**، دراسة فـي الهويـة والـوعي، ط٤، مركـز دراسات الوحدة العربية، بيروت.

ـــ: ٢٠٠٥، **نشأة علم التاريخ عند العرب**، ط١، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت.

- الحسيني، محمد باقر، ١٩٦٩م، **تطور النقود الإسلامية**، ط١، دار الجاحظ، بغداد.

- حقي، اسماعيل إبراهيم، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م، **أسواق العرب التجارية في شبة الجزيرة العربية**، ط١، دار الفكر، عمان.

- خزنة كاتبي، غيداء، ٢٠٠٩، **أوليات الفتوح حروب الردة في الإسلام**، ط١، دار المدار الإسلامي، بيروت.

- الزهراني، عوض بن علي، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م، **تل الكثيب بالعلا، دراسة آثارية مقارنة**، ط١، وكالة الآثار والمتاحف، الرياض.

- السيف، عبد ا بن محمد، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، **الحياة الاقتصادية الاجتماعية في نجد والحجاز في العصر الأموي**، ط٢، مؤسسة الرسالة، بيروت.

- السيد رجب، عمر الفاروق، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م، **الحجاز**، ط١، دار الشرق، جدة.

- الشريف، عبد الرحمن صادق، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م، **جغرافية المملكة العربية السعودية**، ط٦، ٢جزء، دار المريخ، الرياض.

- العلي، صالح أحمد، ٢٠٠١م، **دولة الرسول(ﷺ) في المدينة**، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت.

ـــ:١٩٦٠م، **محاضرات في تاريخ العرب**، مكتبة المثنى، بغداد.

- عبد الرحمن، فهمي، ١٩٦٥م، **فجر السكة العربية**، ط١، القاهرة.

- أديب سلامة، عواطف، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م، **قريش قبل الإسلام، دورها السياسي والاقتصادي والديني**،ط٢، دار المريخ، الرياض.

- أبو العلا، محمود، ١٩٩٥م، **جغرافية شبة الجزيرة العربية**، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة.

- غبان، علي بن إبراهيم، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م، ط١، **الآثار الإسلامية في شمال غرب المملكة العربية السعودية**، الرياض.

- ضيف، شوقي، ١٩٦٣م، **تاريخ الأدب العربي**، ط٧، دار المعارف، مصر.

ـــ:١٩٦٧م، **الشعر والغناء في مكة والمدينة في العصر الأموي**، دار الثقافة، بيروت.

- النافع، عبد اللطيف، ١٤٢٥هـ-م٢٠٠٤م، **الجغرافيا النباتية للمملكة العربية السعودية**، ط١، مطابع نجوم المعارف، الرياض.

- النعيم، نورة، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م، **الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية من القرن الثالث قبل الميلاد وحتى القرن الثالث الميلادي**، ط١، دار الشواف، الرياض.

- نصيف، عبد ا آدم، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م، **العـلا دراسة في التاريخ الحضاري والاجتماعي،** ط١، الرياض.

- فاخوري، محمود ٢٠٠٢م، **موسوعة المقاييس العربية والإسلامية وما يعادلها من المقادير الحديثة،** مكتبة لبنان، بيروت.

- فالين، جورج أوغست، ٢٠٠٨م، **رحلات فالين إلى جزيرة العرب،** ط١، ترجمة سمير سـليم شبلي، دار الوراق للنشر.

- كحالة، عمر رضا، ١٩٤٥، **جغرافية شبه جزيرة العرب،** مطبعة الترقي، دمشق.

- الكرملي، انستانس، ١٩٨٧م، **رسائل في النقود العربية والإسـلامية،** ط٢، مكتبـة الثقافـة الدينية، القاهرة.

- حميد ا ، محمد ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، **مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبـوي والخلافـة الراشدة،** ط5، دار النفائس، بيروت.

- المناوي، محمد عبد الرؤوف،١٤١٥هـ/١٩٩٤م، **فيض القدير،** (٦أجزاء)، ط١، دار الكتـب العلمية، بيروت.

- موزل، ألويس، ١٩٨٨م، **شمال الحجاز،** ترجمة ، عبد المحسن الحـسيني، مؤسـسة الثقافـة الجامعية، الأسكندرية.

- القط، عبد القادر، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، **في الشعر الإسلامي والأموي،** دار النهضة، بيروت.

ثالثـاً: الدوريـات

- الأنصاري،عبد الرحمن الطيب،(١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م)، **لمحات عن بعض المدن القديمة فـي شمال غربي الجزيرة العربية، مجلة الدارة،** العدد الأول، السنة الأولى، الرياض.

- الجاسر، حمد، (١٣٩٧هـ/١٩٧٧م)، **رحلة إلى العلا،** مجلة العرب، ج٣، السنة١٢، الرياض.

- العلي، صالح أحمد (١٣٨٥هـ/ ١٩٦٦م)، **الألبسة العربية في القرن الأول الهجري،** مجلـة المجمع العلمي العراقي، مجلد١٣، بغداد.

ـــ: **طرق المواصـلات القديمـة فـي بـلاد العـرب،** مجلـة العـرب، ج١١، الريـاض، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م.

ـــ: **(١٣٨٨هـ/١٩٦٨م)، تحديد الحجاز عند المتقـدمين، مجلـة العـرب،** الـسنة٣، ج١، الرياض.

ـــ: (١٣٨٩هـ/١٩٦٩م)**تنظيم جباية الصدقات في القرن الأول الهجـري**، مجلـة العـرب، (ج١٠)، الرياض.

- الدوري، عبد العزيز،(١٩٥٩م)، **نشوء الأصناف والحرف في الإسلام**، مجلة كليـة الآداب، جامعة بغداد، (العدد١).

- الوهيبي، عبد الله بن ناصر، (١٣٩٠هـ/١٩٧٠م)، **الحجاز كما حدده الجغرافيـون العـرب**، مجلة كلية الآداب، جامعة الرياض(جامعة الملك سعود حالياً)، (المجلد الأول)، السنة الأولـى، الرياض.

- حسين، فالح، (١٩٩٢م)**من طرق استثمار الأرض في الحجاز في صدر الإسلام المزارعة بين النظرية والتطبيق**، مجلة دراسات تاريخية، جامعة دمشق، السنة١٣، (العـدد٤٣،٤٤) أيلـول- كانون أول، دمشق.

- خزنة كاتبي، غيداء،(١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م)، **الحمى بين الجاهلية وصـدر الإسـلام**، مجلـة دراسات تاريخية، العددان، ٨٧، ٨٨، أيلول- كانون أول، دمشق.

- نصيف، عبد الله آدم(١٤٠٦هـ/١٩٨٩م)، **القنوات والنظام الزراعي في المدينـة المنـورة**، مجلة العصور، دار المريخ، الرياض.

ـــ: (١٤١٨هـ ١٩٩٨م)، حمام الجُنينة (تدعل) بالعلا، مجلة كلية الآداب، جامعـة الملـك سعود، المجلد العاشر، الرياض.

رابعـاً: بحوث الندوات ودراسات المؤتمرات العلمية

- خريسات، محمد عبد القادر، **دور العرب المتنصرة في الفتوحات**، المؤتمر الـدولي الرابـع لتاريخ بلاد الشام،(بلاد الشام في صدر الإسلام)، عمان، ١٩٨٧م.

- الراشد، عبد الرحمن، **منطقة الحجاز وشمال غرب الجزيرة وصلتها ببلاد الشام فـي صـدر الإسلام والخلافة الراشدة**، بحث مقدم للمؤتمر الدولي الرابع لتاريخ بلاد الشام (بلاد الشام فـي صدر الإسلام)، عمان، ١٩٨٧م.

- السيف، عبد الله بن إبراهيم، **العوامل المؤثرة في النشاط الزراعي في الجزيرة العربية خلال العصر العباسي**، بحث مقدم للندوة العالمية الخامسة لدراسات تاريخ الجزيرة العربية فـي(٢١-٢٣محرم ١٤٢٤هـ/الموافق ٢٤-٢٦مارس/ آذار ٢٠٠٣م)، قـسم التـاريخ وقـسم الآثـار والمتاحف، كلية الآداب، جامعة الملك سعود، الرياض، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦.

- الشبول، أحمد، **علاقات الأمة الإسلامية في العصر النبوي مع بلاد الشام وبيزنطـة،** بحـث مقدم للندولة العالمية الثالثة لدراسات تاريخ الجزيرة العربية في (١٥-٢١ محـرم ١٤٠٤هـ ـ الموافق ١٧-٢١ أكتوبر(تشرين الأول) ١٩٨٣م، قسم التاريخ وقسم الآثـار والمتـاحف، كليـة الآداب، جامعة الملك سعود، ط١، الرياض، ١٤١٠هـ/١٩٨٩م.

- صالح، محمد أمين، **النظام المالي والاقتصادي بالجزيرة العربية في عصر الراشدين،** بحـث مقدم للندوة العالمية الثالثة لدراسات تاريخ الجزيرة العربية في في (١٥-٢١ محرم ١٤٠٤هـ ـ الموافق ١٧-٢١ أكتوبر(تشرين الأول) ١٩٨٣م، قسم التاريخ وقسم الآثار والمتـاحف، كليـة الآداب، جامعة الملك سعود، ط١، الرياض، ١٤١٠هـ/١٩٨٩م.

- صالح، محمد أمين، **النظام المالي والاقتصادي بالجزيرة العربية في عصر الراشدين،** بحـث مقدم للندوة العالمية الثالثة لدراسات تاريخ الجزيرة العربية فـي (١٥-٢١ محـرم ١٤٠٤هـ ـ الموافق ١٧-٢١ أكتوبر(تشرين الأول) ١٩٨٣م، قسم التاريخ وقسم الآثار والمتـاحف، كليـة الآداب، جامعة الملك سعود، ط١، الرياض، ١٤١٠هـ/١٩٨٩م.

- العمير، عبد ا وآخرون "**حفرية مدينة قرح (المابيات) الإسلامية بمحافظة العلا** " أطـلال، حولية الآثار العربية السعودية، وكالة الآثار والمتاحف الـسعودية، (عـدد ١٩)، ١٤٢٧هـ ـ/ ٢٠٠٦م.

- محمدين، محمد محمود، **الزراعة في الحجاز في العصر النبوي وعصر الخلفاء الراشـدين،** بحث مقدم للندوة العالمية الثالثة لدراسات تـاريخ الجزيـرة العربيـة، فـي (١٥-٢١ محـرم ١٤٠٤هـ الموافق ١٧-٢١ أكتوبر(تـشرين الأول) ١٩٨٣م، قـسم التـاريخ وقـسم الآثـار والمتاحف، كلية الآداب، جامعة الملك سعود، ط١، الرياض، ١٤١٠هـ/١٩٨٩م.

- الهلابي، عبد العزيز بن صالح، **الأحوال العامة في الجزيـرة العربيـة عنـد قيـام الدولـة العباسية،** بحث مقدم **للندوة** العالمية الخامسة لدراسات تاريخ الجزيـرة العربيـة فـي(٢١-٢٣ محرم ١٤٢٤هـ الموافق ٢٤-٢٦مارس/آذار ٢٠٠٣م)، قسم التاريخ وقسم الآثار والمتـاحف، كلية الآداب، جامعة الملك سعود، ط١، الرياض، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.

- يحي، لطفي عبد الوهاب،(١٣٩٧هـ/ ١٩٧٩م)، **الوضع السياسي في شبة الجزيرة العربية حتى القرن الأول الميلادي،** بحث مقدم **للندوة** العالمية الثانية لدراسات تاريخ الجزيرة العربيـة، قسم التاريخ والآثار، كلية الآداب، جامعة الريـاض(الملـك سـعود حاليـاً)، ط١، الريـاض ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

المراجع الأجنبية.

1- Walter .W. Muller. **Survey of the History of the Arabian Peninsula from the first Century A.D.to the Rice of Islam**.king Saud niversity,Riyadh 1399 A.H. 1979 A.M.

2- Hoyland.G. Robert. **Arabia and the Arabs " from the Bronze Age to the coming of Islam** , Landon and New York, 2001..

3- AL- Wohaibi. A., **The Northern Hijaz in the Writings of the Arab Geographers** 800-1150. Beirut, AL-Risalah Est.1973.

4- Nasif: Abdallah." The Identification of the **Wadi AL-Qura and the Ancient Islamic site of AL-Mibyat** " Arabian Studies.

6- Walker. J. , **Acatalogue of Arab-Sassanian Coins**, London, 1941.

7- **Encyclopadia Britannica** vol.1, 1973- 1974.

8- The Encyclopadia of Eslam, Leiden Brill, xi, 2000.

History of Wadi Al-Qura in the Early Islamic Period

by

Hamad Mansour Obid Abu shamh AL-Balawi

Supervisor

Dr: Ghidaa Adel Khaznh Katibi

Abstract

This study addresses the history of Wadi Al-Qura (Villages's Vally) in Islam. It included the most prominent geographical features of the region, from mountains, valleys, and cultivated lands. It showed how this environment had contributed to the prosperity and spread of agriculture and emergence of several villages on the banks of that valley stretching between the Medina and the Levant.

The study reviewed the importance of the region in military terms, and its role in the war with the Quraish tribe and its allies in the region of (Wadi Al-Qura), and wars with the Jews and some Arab tribes of khyber, especially the Fazarah tribe. This had prompted the Prophet (PBUH) in the Medina to seriously consider the annexation of that area to the Islamic State, as it represents the main front with the Levant and a direct contact area with the Arab tribes in the Levant, which are referred to by primary sources as "tribes becoming Christians". However, this was achieved in the seventh year of IH.

The study highlighted the economic conditions in the region, and the reasons that contributed to the prosperity of economic life in it, such as fertility of land and abundant water till the spread and prosperity of agriculture was witnessed; in addition to benefiting from the trade routes and proximity to the land of Egypt and the Levant, as well as Iraq which

enabled the region to witness a dynamic business activity at that stage. The study also highlighted the extent to which these trade routes had contributed to the availability of commercial goods brought in from neighboring areas such as the Levant, Egypt, and Yemen. The study reviewed, as well, the population in the region, either the Arab tribes, or other tribes, and their role in the dissemination of early Islam. Finally, the study examined some cultural features in the (Wadi Al-Qura).